المجلد الحادى عشر
العدد الأول ٢٠٠٨

علوم اللغة

٤١

فى هذا العدد :

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدُر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

المجلد الحادى عشر | العدد الأول | ٢٠٠٨



بسم الله الرحمن الرحيم

علــوم اللغــة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتــاب دورى

مج١١ ، ع١ ٢٠٠٨

قيمة الاشتراك السنوى :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٢٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في البدء نحمد الله حمد الشاكرين ونثنى عليه ونستعين به ، ونسأله الهدى والسداد – لقد وفقنا الله وحده فى الاستمرار فى إصدار أعداد سلسلة مجلتنا " علوم اللغة " ، ويشرف ا.د. سعيد حسن بحيرى أستاذ علوم اللغة ووكيل كلية الألسن لشؤون التعليم والطلاب بأن يواصل إشرافه على إصدار المجلة . ويضم هذا العدد الأول فى السنة الثامنة مجموعة من الدراسات المختلفة اللغوية أساسا ، وإن أتيح المجال لإصدار بعض تحقيقات محدودة لإثراء دائرة النشر . والدراسة الأولى حول " ربط الجملة الفرعية بالضمير أو الواو ودوره فى تماسك النص " ، والثانية حول " المختصرات النحوية . نشأتها وأغراضها ومناهجها " والثالثة حول " وسائل تنمية اللغة العربية ، والرابعة حول " انتقائية مصادر الشعر العربى الحديث ، تنظيراً وممارسة " والخامسة حول " النبر فى القوافى العربية " وأخيرا تحقيق "رفع الأستار عن دماء الحج والاعتمار " . وهكذا كما نرى تجمع هذه الدراسات بين البحث فى التراث القديم ، والدراسات اللغوية الحديثة ، ومزج بعضها بين القديم والحديث.والتحقيق العلمى لمؤلف من المؤلفات التراثية العربية .

ويسر أسرة المجلة أن تتلقى مباشرة البحوث ، ولكن تحتفظ بحقها فى قبول النشر او عدم قبوله دون إبداء الأسباب ، وتأسف لعدم قدرتها على نشر ما لا يصل إليها مباشرة أو تأخر النشر فقد أشرت مراراً أن للنشر ضوابط ، فمسائل تحديد وقت النشر ، وترتيب البحوث وتنسيق الأعداد وغير ذلك كلها أمور من شأن أسرة تحرير المجلة فقط . ومن المثير للدهشة والعجب أن يرسل باحث بحثه للنشر،ثم يظل يلح على نشر ولو تخطينا لذلك بحوث زملائه التى سبقته . فهل هذا مقبول ؟!

ويسعد المجلة أن تبدأ من هذا العدد بإهداء إصدارها إلى عالم اللغة الكبير الفاضل :

أ . د. محمد عونى عبدالرءوف

والله ولى التوفيق والهادى إلى سواء السبيل ....

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

ربط الجملة الفرعية بالضمير أو بالواو ودوره في تماسك النص
دراسة في كافوريات المتنبي

د. فايز صبحي عبد السلام تركي

محاضر العلوم اللغوية ، ورئيس قسم اللغة العربية
بكلية المعلمين – جامعة سبها
ليبيا – وادى الحياة – الغريفة

مقدمــة :

الحمـد لله رَبِّ العـالمين ، والصـلاة والسلام على خير خَلْقه ، سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين ، أمـا بعـد ،

فإنَّ النَّاظر في النَّص الشعري ، وبخاصة العمودي منه – على مرِّ العصور ، بدايةً من العصر الجاهليِّ ومروراً بصدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر – بوزنه وقافيته على هيئته الوارد بها ، يجد أنَّ فيما وراء الوزن والقافية تكمُن مجموعةٌ من العناصر ، التي يمكن من خلال تلمُّسها إظهار الفاعلية والثراء والكفاءة النَّصية في النَّص ، أي ما بها يكون النَّص نصًّا ، ومن أهمها روابط التركيب ، والتي تسهم في مدى دقَّة السَّبْك والحَبْك في النَّص ، إذ إنَّ التراكيب هي التي يتكون منها النَّص في مجمله .

ولَمَّا كان ذلك كذلك ، فإنَّه من المفيد بمكان الإشارة إلى أنَّ الرَّبْط يعدُّ قرينةً لفظيةً ، تهدف إلى تحقُّق علاقة الاتصال بين المترابطَين ، ولمَّا كان التركيب جزءاً من الكلام – وهذا ما يقصده المبدع – فلابدَّ من رابطة ، تربطه بالجزء الآخر في كثير من المواضع ، وهذا الرابط – كما سنشير فيما بعد – ينقسم إلى الرَّبْط بالضمير في جملة الحال والصفة والموصول والخبر . . . إلخ ، والرَّبْط بتكرار الظاهر ، والرَّبْط بالحرف ، نحو الرَّبْط بالواو في جملة الحال ، والرَّبْط بالفاء في جواب الشرط ، الذي لم تتوفر

فيه شروط جملة جواب الشرط أو في جواب أمّا ، وكذلك اللام الواقعة في جواب لولا ، أو في جواب القسم ، وغير ذلك ممّا يسمى بالرَّبْط بطريق غير المطابقة ، وهو ما يقابله الرَّبْط بطريق المطابقة في الشخص والعدد والتعيين والنوع .

ولمّا كانت هذه الدراسة دراسةً وصفيةً تحليليةً ، مُوضحةً دور الرَّبْط بالضمير والواو في السَّبْك والحَبْك في كافوريات المتنبي ، فإنَّه ممّا لا شَك فيه أنَّ الدراسات قد كَثُرت حول المتنبي ؛ وذلك من مُنطلق أنَّه «عرف كيف يوائم بين نفسه المحتدمة ، وبين ثقافة عصره ، والتي كانت مزيجًا ذكيًا من عدة حضارات ؛ ولأنَّه عرف كيف يفيد من هذا كلّه ، بحيث ينطبق عليه القول بأنَّه كان شاعراً يتفلسف ، وأنّه من خلال شعره قد تفجّرت عبقرية اللُّغة العربية ، ووصلت إلى المدى الأسمى ، الذي يمكن أنْ تُقدِّمه اللُّغة ، بل يمكن القول بأنّه عرف كيف يخاطب القارئ العربي بالطريقة التي ترتضيها مسيرة الحضارة في مُجْملها ، والتي نعني بها البساطة والحيوية»[1] . وعلى الرغم من هذه الكثرة في الدراسات ، فلم أرَ مَنْ تناول روابط الجملة أو التركيب في شعر المتنبي ، وبخاصة بيان دورها في تماسك النص أو ما يسمى بالسَّبْك والحَبْك في إطار من الوصف والتحليل والملاحظة والتجريد ، وإذا كان ثَمَّة مَنْ تناولها ، فإنَّ هذا البحث يتناولها من منطلق أنَّه «ليس للنَّصِّ معنىً محددٌ ، فليست هناك بؤرةٌ مركزيةٌ ، يتمحور حولها هذا المعنى ، ولكن هناك دائمًا لعبٌ للدوال ، وانداحٌ للمعنى نتيجةً لذلك ، إلى غير نهايةٍ وبلا حدودٍ ؛ ومن ثَمَّ تنتفي قابليته للتفسير النهائي»[2] .

وممّا لا شك فيه أنَّ أسباب اختيار هذا الموضوع تكمُن في انتفاء قابلية النَّص للتفسير النهائي ، وكون الرَّوابط تسهم بنصيب كبير في تشكيل المعنى في شعر المتنبي ، أضف إلى ذلك مكانةَ شعره ، الذي ملأَ الدنيا ، وشغل الناس ؛ ومن ثَمَّ كان هذا البحث في رَبْط الجملة بما هي خبرٌ عنه بالضمير والواو دون بقية الرَّوابط اللفظية وغير اللفظية تحجيمًا للبحث ؛ وذلك للتعرف على الخصائص التعبيرية للرَّبْط بالضمير والواو ، ودورهما في توافُق النظام النحوي مع النَّسْج الشعري ؛

ومـن ثم استقامـة الوزن في اتّجـاه صَحّة القافيـة ، أي بيان مدى دورهمـا في تحقُّق ظاهر النَّص (السَّبْك) وعـالم النَّص (الحَبْك) ، وهذا مـا سـأحـاول بيانـه على مـدار البـحث ، معـتـمداً في ذلك على ديوان المتنبي بشـرح أبي العـلاء المعـري (معـجـز أحمـد) ، تحقيق ودراسـة الدكتور عبد المجيد ديـاب ، نشر دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين من الميلاد .

وأشـير هنا إلى أنَّ المقصـود بربْط الجملة الفرعيـة بما هي خبرٌ عنه بالضـمير أو بالواو الجـملُ الجارية على المفردات في الحـال والصِّفـة والصِّلة والخبـر ، حيث إنَّ الضـمير يـأتي رابطًا في كلِّ هذه الجمل بما سبقـها ، أضف إلى ذلك أنَّ جـملة الحـال بجـانب رَبْطهـا بالضـمـيـر ، قـد تأتي مشـتـملةً على الرَّبْط بالواو وحـدها أو بالواو والضـمير معًـا[٣] . وقـد حصرت مـادة البحث في الكافـوريات ، وهي شعْره فـي مصـر ، والذي نظمـه بين الثـالثة والأربعين والسـابعـة والأربعين ، وذلك لكَون شعـره في الكافـوريات – على حـدِّ قول الدكتـور عبـد المجيد دياب – : «بريئًا من السَّخف واللَّغو أو كـاد . والمُدقق في كافوريّاته يرى من جـلال المعنى وجمال اللفظ والصيـاغة ما يشهـد أنَّه بلغ به جمال النُّضج ، ونحن نشاطر بهذا القـول : اليازجي وطـه حسين وأنيس المقـدسي وغيرهم»[٤] ؛ ومن ثَمَّ كـان عنوان البحث لله رَبْطُ الجملة الفـرعيـة بالضـمـيـر أو بالواو ودوره في تماسك النـص ، دراسـة في كـافـوريات المتنبي . وهـذه الكـافوريات ، مادة البـحث قـوامهـا ستمـائة وواحـدٌ وستون بيتًا موزعـةً على تسعٍ وستين قـصيدة ومقطوعـة ، منسوجَةً على بحـور الطويل والخفيف والبسيط والسريع والوافـر والمتقـارب والكامل ، وكـان رَويُّ هذه البـحور متنوّعًـا بين الفـتح والضـم والكسر دون الرَّويِّ المُقيّد ، وقد كـان محَور الكافوريـات حول مَدْح كافـور أو هجائه أو تهنئته ، أو وصَف شيء مـا ، نحو الحُمّى والديار ، كـما كـان بعضهـا في الحِكَم أو ذكْر حال المتنبي ، أو الرثاءَ على نحو رثائه لأبـي شجاع «فاتك» .

والجدير بالذِّكـر أنَّ المنهج المُتّبع في هذا البحث هو المنهج الوصفيّ التحليلي ، يرافقـه الإحصـاء ، مع تأمُّل هذا الإحصـاء ومقارنة بعضه بعضًا كلمّا أمكن والخروج

ببعض السمات التعبيرية من جرّاء هذه المقارنة ، ودور ذلك في الجانب الدلاليّ ، ومن ثم في السَّبْك والحَبْك .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أنْ يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث - حمل المبحث الأول منها عنوان الرَّبْط بالضمير ، والثَّاني عنوان الرَّبْط بالواو ، والثالث عنوان الرَّبْط بالواو والضمير - وخاتمة بأهم النتائج ، ثُمَّ قائمة المصادر والمراجع ، ولا أزعم أنَّ بحثي هذا مبراً من الخطأ و النسيان ، فكلاهما جائزٌ على الإنسان ، وما توفيقي إلا بالله .

التمهيد :

جاءت دراسة الرَّبْط عند القدماء - باستثناء المتأخرين منهم ، نحو ابن هشام في مغني اللبيب - في أماكن متفرقة من مؤلفاتهم ، لكنَّهم لم يُفصِّلوا القول فيه على قدر تفصيلهم في ظواهر أخرى ، نَحو الحذف والتقديم والتأخير والإعراب ، وغير ذلك ، وإنَّما أشاروا إليه إشارات ، نستطيع من خلالها التوصُّل إلى أنَّهم أدركوه (٥) ، وعرفوا قيمته ، وما حديثهم عَن الرَّبْط بالضمير ، ووجوب الرَّبْط بالواو وامتناعها وجوازها إلاَّ في إطار هذه المعرفة وتلك القيمة ، وهذا ما سيظهر لنا على مدار هذا البحث ، يقول الرضي مثلاً : «الجملة في الأصل كلامٌ مستقلٌّ ، فإذا قصدت جَعْلها جزءاً من الكلام ، فلابدَّ من رابطة ، تربطها بالجزء الآخر ، وتلك الرَّابطة هي الضمير ، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغَرَض» (٦) .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن ?من المحدثين مَنْ يقول : «يمكننا القول بأنَّ العلماء العرب الأوائل ، أمثال الخَليل وسيبويه والكسائي والفرَّاء وغيرهم ، لم يشيروا في مؤلفاتهم ودراساتهم إلى الرَّبْط ومفهومه إشارةً ، تؤكِّد إدراكهم لدوره وقيمته باعتباره قرينةً لفظيةً ، أو بوصفه ظاهرةً تركيبيةً مؤثرةً على توثيق عناصر التراكيب والجمل العربية وتماسكها . وإنَّما جاءت إشارات تمثل بعض الملاحظات المبثوثة هنا وهناك في ثنايا الأبواب النَّحويّة ، بحيث لا يمكننا القول معها بأنَّهم أدركوا قيمة الرَّبْط أو وقفوا على أهميته باعتباره عنصراً أساسيًا من عناصر التماسك بين

أجزاء الجملة أو أنَّ لهم نظرةً منهجيةً أو رؤيةً علميةً شاملةً حول فاعلية الرَّبْط» (٧) . ومّما لا شك فيه أنَّ الرَّبْط يعدُّ قرينةً من قرائن الإفادة في الدرس اللغوي ؛ ومن ثَمَّ البيان والوضوح في النَّص ، وهو ما يترتب عليه القول بحُسْن السَّبْك والحَبْك من عدمه . فهذا السَّبْك بما يتضمنه من الرَّبْط والتضام والرتبة والإعراب والبنية ، وغير ذلك من القرائن ، كلٌّ ذلك يُطلق علية قرائن الإفادة ، التي يعتمد عليها النظام النَّحويّ (٨) ، وهى ما يترتب عليها تحقُّق الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص « الحَبْك» .

ولّما كان ذلك كذلك ، فإنَّه يترتب عليه التواصل بين المبدع والمتلقي ؛ ومن ثَمَّ تحقُّق التواصلية النَّصية للنَّص ، وهنا يحضرني ما قاله الدكتور سعد مصلوح نقلاً عن روبرت ألن دي بوجراند حيث يرى أنَّ النَّص «حدثٌ تواصليٌّ municative occurence يلزم لكَونه نصّا أنْ تتوافر له سبعة معايير مجتمعة ، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحدٌ من هذه المعايير :

١ – السَّبْك cohesion . ٢ – الحَبْك coherence . ٣ – القَصْد intentionality .

٤ – القبول acceptability . ٥ – الإعلام informatlvity . ٦ – المقامية situationality .

٧ – التَّناص intertextuality .

ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في :

١- ما يتصل بالنَّص في ذاته text-centered وهما معيارا السَّبْك والحَبْك .

٢ – ما يتصل بمستعملي النَّص ، سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا user centered ، وذلك معيار القصد والقبول .

٣- ما يتصل بالسِّياق الماديّ والثقافيّ المحيط بالنَّص ، وذلك معايير الإعلام والمقامية والتَّناص . ولاشك أنَّ إعمال تلك المعايير السبعة في تحديد ما به يكون الكلام نصّا إنَّما يعدِّل من نظرتنا إلى التقابل المفترض بين مفهومي الجملة والنَّص» (٩) .

وتوضيحًا لّما سبق في المقدمة ، فإنَّ ما في هذا البحث من روابط يُقصد به الرَّوابط اللفظية في التركيب ، وما يكتنفها من ضبط العلاقة بين أجزاء التراكيب ،

وهو ما يندرج تحت ما يسمى بالرَّبْط بطريق غير المطابقة[١٠] . ولا شك في أنَّ ما يقوم عليه هذا البحث من روابط دون غيرها تشكِّل أظهر الرَّوابط في كافوريات المتنبي ؛ ومن ثَمَّ كان تسليط الضوء عليها لما لها من أهمية بالغة في تحقُّق التماسك النَّصي - على الرغم ممّا يُعرف عن المتنبي أنَّه من شعراء البَيت الواحد - حيث إنَّ المقصود بقرينة الرَّبْط في النظام النَّحويّ لله إحكام العلاقة بين أطراف التراكيب ، سواءٌ أكان هذا التركيب من متعاطفين ، أو مستثنى منه ومستثنى ، أو من شرط وجزاء أو كان من ذي جواب وجوابه . . إلخ . ويكون الرَّبْط بعود الضمير وباسم الإشارة وإعادة الذِّكر وإعادة المعنى أو بأل أو بحرف الجواب أو الأدوات الداخلة على الجمل أو الحروف الداخلة على المفردات كحرف الجرّ وحرف العطف وهلم جرًّا ، والمعنى بدون هذه الرَّوابط عُرْضةٌ للَّبس أو البطلان»[١١] .

نأتي إلى توضيح مفهوم السَّبْك والحَبْك ، واللذان بهما يتحقق الإفصاح والإبانة عن النَّص ، فيمكن الإشارة إلى أنَّ معيار السَّبْك يختص» بالوسائل التي يتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص surface text ونعني بظاهر النَّص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزَّمنيّ ، والتي نخطُّها أو نراها بما هي كمٌّ متَّصلٌ على صفحة الورق . وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النَّحويّة ، ولكنَّها لا تشكّل نصًّا إلا إذا تحقق لها من وسائل السَّبْك ما يجعل النَّص محتفظًا بكينونته واستمراريته . ويجمع هذه الوسائل مصطلحٌ عامٌّ هو الاعتماد النَّحويّ grammatical dependency ، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي :

١ - الاعتماد في الجملة intra - sentential .

٢ - الاعتماد فيما بين الجمل inter-sentential .

٣ - الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .

٤ - الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات .

٥ - الاعتماد في جملة النَّص»[١٢] .

ومعنى ذلك أنَّ نحو اللغة العربية والعمليات النَّحويّة نفسها داخل النَّص مثل الحذف جزءٌ من السَّبْك بالإضافة إلى انتقاء المفردات ، وهو ما جعل كلاً من هاليداي ورقية حسن يقسّمانه إلى سبك نحويٍّ وآخر معجميٍّ[١٣] .

ولمّا كان السَّبْك (التلاحم النَّصيّ) يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النَّص ، فإنَّ معيار الحَبْك (التماسك النَّصيّ) لله يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النَّص textual world ، ونعني بها الاستمرارية الدلالية ، التي تتجلى في منظومة المفاهيم concepts والعلاقات relationsالرَّابطة بين هذه المفاهيم . وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجًا وإبداعًا أو تلقيا واستيعابًا ، وبها يتم حبك المفاهيم من خلال قيام العلاقات (أو إضفائها عليها إن لم تكن واضحةً مستقلةً) على نحو يستدعي فيه بعضها بعضًا ، ويتعلّق بواسطته بعضها ببعض»[١٤] .

والجدير بالملاحظة أنَّ السَّبْك والحَبْك لم يكن من مصطلحات المحدثين شرقيين ، وغربيين فحسب ، بل وجدَ المصطلحان عند القدماء أيضًا في حديثهم عن تلاحم الشعر وجودته ، يقول الجاحظ مثلاً : «وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فيُعلم بذلك أنّه أُفرِغَ إفراغًا جيداً وسُبِكَ سبكًا واحدًا ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى على الدهان»[١٥] . وقد عقد أسامة بن منقذ في كتابه البديع في نقد الشعر بابًا بعنوان «الفك والسَّبْك» ، معرِّفًا السَّبْك بقوله : «وأمّا السَّبْك ، فهو أنْ تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ، كقول زهير :

يَطْعَنُهم ما ارتَموا حتَّى إذا اطَّعنوا   ضَارَبَ ، حتَّى إذا مَا ضَاربُوا اعتنقَا

ولهذا قيل : خير الكلام المحبوك المسبوك ، الذي يأخذ بعضه برقاب بعض»[١٦] .

وبناءً على فَهْم القدماء للسبك والحَبْك يقول الدكتور تمام حسان لله السَّبْك إحكام علاقات الأجزاء ، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة ، وقرينة الرَّبْط النَّحويّ من جهة أخرى ، واستصحاب الرتب النَّحويّة إلا حين

تدعو دواعي الاختيار الأسلوبيّ ، ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل»[١٧] .

ومن خلال ما سبق أوافق الدكتور جميل عبد المجيد في تعقيبه على كلام القدماء وكلام الدكتور تمام ، إذ يقول : «وهذا الكلام يكاد يتطابق – معنىً – مع ما قاله هاليداى ورقية حسن وغيرهما ، من انقسام السَّبْك إلى سبك معجميٍّ وسبك نحويٍّ»[١٨] وفيما سبق أيضًا يتضح لنا أنَّ الرَّوابط بأنواعها المختلفةَ تعدُّ من الوسائلَ التي ينسبك بها النَّص ؛ ومن ثَمَّ إسهامها في إيجاد الاتصال في ظاهر النَّص ، وهو ما يمكن القول معه بتحقُّق الحَبْك ؛ ومن ثَمَّ التلاحم بين بنية ظاهر النَّص ، والاستمرارية الدلالية في عالم النَّص» ، وهذا ما سأحاول تلمُّسه من خلال تناول الرَّبْط بالضمير ، والرَّبْط بالواو ، والرَّبْط بهما معًا في المباحث التالية .

المبحث الأول

الرَّبْط بالضمير

يعدُّ الضمير من الرَّوابط الإحالية في النَّصوص متصفًا بأنَّه معرفةٌ ، متنقلٌ ، مبهمٌ ، أي يحتاج إلى عنصر ، يعود عليه ، يتَّضح به المقصود من الضمير ، يقول ابن يعيش : «المضمر ضربٌ من الكناية ، فكلُّ مضمر كناية ، وليس كلُّ كناية مضمرًا ، وإنَّما المضمرات معارف ؛ لأنَّك لا تضمر الاسم إلا وقد علم السامعَ على مَنْ يعود ، فلا تقول : ضربته ولا مررت به حتى يعرفه ويدرى من هو . وقالوا المضمر يصلح لكلِّ مذكور ، فلا يخص شيئًا بعينه ، وقد يكون المذكور قبله نكرة ، فيكون نكرة أيضًا على حسَب ما يرجع إليه ، وأمّا قولهم : إنَّه يعود إلى نكرة ، فيكون نكرةً ، فنقول : لا نسلم إنَّه يكون نكرة ؛ لأنّا نعلم قطعا مَنْ عُنى بالضمير»[٢٠] .

ولمّا كان الضمير رابطا إحاليًا ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ ثمة تراكيب يكون الرَّبْط فيها بالضمير ، أو بغيره ، نحو جملة الحال وجملة الصفة وجملة الصلة وجملة الخبر ، وبدل الاشتمال وبدل البعض من الكل والتوكيد المعنوي . وهذا

الرَّبْط بالضمير يعدُّ فرعًا عن الظاهر إذ إنَّ الظاهر أصلٌ والضمير أحدث عمرًا في اللغة منه . وهنا يحضرني قول الأستاذ على النجدي ناصف – على الرغم طول النَّص : لله يبدو أنَّ الظاهر أقدم عهدًا وأسبق ظهورًا في اللغة من الضمير ؛ لأنَّ الضمير كما تقدم بديلٌ منه ، وكنايةٌ عنه . . . ماذا كانت اللغة تصنع إذًا حين كانت تريد التعبير بأسلوب يحتاج في صياغته إلى الضمير ، كأساليب الموصول وصلته ، وبعض أنواع البدل والحال ؟ لا يخلو الأمر حينئذ من إحدى اثنتين . فإمّا أنّها لم تكن تعرف هذه الأساليب جملةً ، وأنّها كانت لذلك تصطنع بديلا منها ، يمكن أنْ يغنى غناءها ما كان ذلك ممكنا ، وإمّا أنّها كانت تعرفها ، ولكنها تصطنع فيها روابط أخرى غير الضمير . وليس بعيدًا أنْ يكون كلا هذين الفرضين مرحلةً متميزةً من مراحل النمو ، مرت اللغة بها حالاً بعد حال ، كما مرت بمراحل غيرها في سبيل الغاية التي قُدِّر لها أنْ تبلغها . فكانت أول الأمر خاليةً من الأساليب التي لابد فيها من الرَّبْط بالضمير ، ثم بدا لها بعدُ أنْ تأخذ بها حين أحسّت حاجة إليها ، وأدركت أنّها يمكن أنْ تتَّسع لها وتطيق الوفاء بمطالبها ، فكانت هذه الأساليب ، ولكن بروابط غير الضمير . ولا نزال نرى في اللغة أنواعًا منها إلى اليوم ، قد تكون بقيةً من أساليب اللغة في العصر الذي نزعم أنّه كانت فيه خُلوًا من الضمير ، وأشهر هذه الرَّوابط اثنان : تكرار الاسم الظاهر ، ثم الألف واللام عند كثير من العلماء . . . وثمة ظواهر أخرى ثلاث ، تؤيد أنَّ الضمير أحدث عمرًا في اللغة من الظاهر ، وهي أنّه عامل تهذيب في الأسلوب ، وداعية ثراء وافتنان في التعبير ،وعون على الإيجاز» (٢١) . ومن ثَمَّ فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ إحلال المضمر محل الظاهر يتصل بما يسمى عند النَّصيين بالبنية الإحالية في النَّصوص أو قضية الإشارة والإحالة في الكلام .

وهذا الأمر قد نال اهتمام النحاة والبلاغيين وعلماء اللغة ، فهي «ظاهرةٌ تقع في أساس كل منظومة فكرية . فاللغة نفسها نظامٌ إحاليٌّ ، إذ يحيل على ما هو غير اللغة ، وهي نفسها تشتمل على نوعين من العناصر : إشاريةٌ وإحاليةٌ ، وهما وجهان لابدَّ من النظر فيهما عند دراسة الدلالة اللغوية ، إذ هما أساسها . وقد درس

اللسانيون والمناطقة هذه الناحية ، ونظروا فيها من حيث اتصالها بالمقام ، لكنَّهم لم يتجاوزوا فيها مستوى الجملة . . . وتتسم دراسة النَّصوص قصد إقامة النحو ، الذي يحكمها بأهمية بالغة في بيان كيفية عمل المضمرات فيها من حيث الرَّبْط والإحالة »(٢٢) .

وفيما يلي وصفٌ وتحليلٌ للربط بالضمير ، ودوره في السَّبْك والحَبْك في التراكيب التي هي خبرٌ عما قبلها في المعنى في كافوريات المتنبي .

المطلب الأول- الرَّبْط بالضمير في جملة الحال:

لَمّا كانت الحال تأتي مفردةً وجملةً خبريةً وشبة جملة ، والجملة إمّا أنْ تكون اسميةً أو فعليةً ، وكانت تُرْبَط في الأصل بالضمير – على الرَّغم من أنَّها تُربط بالواو أو بالواو والضمير معًا – فإنَّ هذا الجزء من هذا البحث يدور حول الرَّبْط بالضمير ، سواءٌ أكان هذا في المواضع التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، أي التي يتعين فيها الرَّبْط بالضمير ، أم في المواضع التي يجوز فيها الرَّبْط بالواو والضمير معًا إذا لم يجب الرَّبْط بالواو ولم يمتنع(٢٣) ، وجاءت مربوطة بالضمير فقط ، على الرغم من إمكانية ربطها بالواو أيضا مع الضمير على أنْ يخصص جزءٌ آخر من هذا البحث للحديث عن الرَّبْط بالواو ، يليه الحديث عن الرَّبْط بالواو والضمير معًا .

وهنا أشير إلى أنَّه لَمّا كان النحاة(٢٤) قد أشاروا إلى أنَّ شبه الجملة (الجار والمجرور والظرف) الواقع حالا يتعلق بمحذوف واجب الحذف ، وهذا المحذوف هو الحال وتقديره (استقر) إنْ قُدِّر أنَّه في محل الجمْلة ، وبمستقر إنْ قُدِّر في محل المفرد – شأن شبه الجملة إذا وقع نعتًا أو صلةً للموصول أو خبراً – والرَّابط لشبه الجملة بصاحب الحال الضمير المُسْتكنُّ في المتعلّق ، فإنَّني نظراً لهذا الوجوب لن أتعرض فيما هو آت من البحث للربط بالضمير في شبه الجملة – وهو كثيرٌ في كافوريات المتنبي شأن بقية شعره – الواقع حالاً أو خبراً أو نعتًا أو صلةً ؛ وذلك منعًا لاستطالة البحث دون فائدة تذكر .

وبالنظر في الكافوريات تبين لي أنَّ الرَّبْط بالضمير في جملة الحال قد جاء في الجملة الفعلية والاسمية ، وشبه الجملة . أمّا عن الجملة الفعلية فقد جاء ذلك في

ثمانية وأربعين موضعًا ، منها أربعون موضعًا حالة كون الجملة مبدوءةً بمضارع مثبت غير مسبوق بقد ، أو بمضارع منفيٍّ بأداة النفي لا[٢٥] ، ومنها ثمانية مواضع حالةً كونها مبدوءةً بفعلٍ ماضٍ مثبتٍ مصدّر بقد أو غير مصدَّر بها[٢٦] .

وأمّا عن الجملة الاسمية ، التي جاء الرَّبْط فيها بالضمير ، فقد جاء ذلك في أحد عشر موضعًا[٢٧] ، سواء أكانت الجملة اسميةً مجردةً من الناسخ الحرفيّ أو الفعليّ أم منسوخةً بأيِّهما ، وقد يجتمع أكثر من رابط في أكثر من جملة في بيت واحد ، ولكن التقسيم والتجريد فيما يلي من أجل تسهيل التناول[٢٨] ، هذا بالإضافة إلى أنَّ هذه الجمل موضع الرَّبْط في بعض منها يحتمل احتمالا آخر غير الحال ، نحو الحالية والاستئنافية ، لكن ترجيح الحال في مثل ذلك أفضل من الاستئناف ، بناءً على أنَّ النَّص وَحْدةٌ واحدةٌ ،

وإنْ تعددت موضوعاته الجزئية[٢٩] .

ولعلّه من المفيد الإشارة إلى أنَّ هذه المواضع قد جاء الرَّبْط فيها بالضمائر (هو) فاعلا ونائب فاعل و(هي) ، وهاء الغائب للمذكر - حيث تنوع محلُّها بين الجر بالإضافة ، أو بحرف الجر ، أو النَّصب على المفعولية - وهاء الغائبة للمؤنث - حيث تنوع محلها مثل هاء الغائب للمذكر - وتاء الفاعل ، وأنت ، وواو الجماعة ، ونون النسوة ، ونحن ، وأنا ، وكاف الخطاب ، وألف الاثنين ، وفيما يلي تمثيلٌ لهذا الرَّبْط في أنماط الجمل المختلفة .

أولاً - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع:

(أ) في الفعلية ذات المضارع المثبت :

جاءت الجملة الحالية ذات المضارع المثبت غير المسبوق بقد في كافوريات المتنبي بدون واو الحال ، ومعنى هذا أنَّها مربوطةٌ بالضمير فقط ؛ «وذلك لأنَّ المضارع على وزن اسم الفاعل لفظًا وبتقديره معنى»[٣٠] ، وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني أيضًا : «وإن كانت الجملة من فعلٍ وفاعلٍ ، والمضارع مثبتٌ غير منفيٍّ لم

يكد يجيء بالواو ، بل ترى الكلام على مجيئها عاريةً من الواو ، كقولك : جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه ، وكقوله :

وَقَدْ عَلَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي ... يَوْمٌ قُدَيْدِيمَةَ الجَوْزاءِ مَسْمومُ[٣١]

لا فصل بين أنْ يكون الفعل لذي الحال ، وبين أن يكون لِمَن هو من سببه ، فإنَّ ذلك كلَّه يستمر على الغنى عن «الواو» ، وعليه التنزيل والكلام[٣٢] . ومثال الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت المجرد من (قد) قول المتنبي[٣٣] : (من الكامل)

فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لا رِمَاحُكَ شُرَّعٌ ... فِيمَا عَرَاكَ ولاَ سُيُوفُكَ قُطَّعُ

بِأَبِيَ الوَحِيدِ وجَيْشُهُ مُتكَاثِرٌ ... يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السِّلاحِ الأَدْمُعُ

وذلك في قصيدته ، التي قالها في رثاء أبي شجاع (فاتك) بمصر ، وهجاء كافور[٣٤] ، وفي هذين البيتين يقول لفاتك : لمّا نزل بكَ حادث الموت ، لم تُغْنِ عنك رماحك وسيوفك ، لكنَّك ظللت تنظر إلى أصحابك ، ولا يقدر أحدٌ على دَفْعه عَنك ، ويعنى في البيت الثاني منهما أنَّ جيش فاتك لا يقدر على دَفْع الموت عنه ، فجعله وحيدًا لا ناصر له ، وكان جيشه يبكى عليه ؛ لأنَّهم لا يملكون له شيئا سوى البكاء ، ثُمَّ قال مستأنفًا بالجملة الاسمية – التي تقدَّم خبرها ، شبه الجملة جوازًا (ومن شرِّ السِّلاح) على مبتدئها المُعرَّف بأل ، المؤخَّر إلى مكان القافية (الأدمع) – : والدموع شر السلاح ؛ لأنَّه لا يدفع بها حادثة[٣٥] .

وفى البيت الثاني نلاحظ أنَّ جملة (يبكى) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، ذات فعلٍ مضارعٍ مثبت ، قد عاقبت المفرد ، أي حلّت محله ؛ لأنَّ «مضمون الحال قيد لعاملها ، ويصح أنْ يكون القيد مضمون الجملة كما يكون مضمون المفرد»[٣٦] ، يقول ابن يعيش : « فإذا قلت : جاء زيدٌ وثوبه نظيف ، في موضع جاء زيد نظيفا ثوبه فكما أنَّ نظيفا نُصب بما قبله من الفعل ، فكذلك الجملة الواقعة موقعه في موضع منصوب ، والعامل فيها ذلك الفعل . . . وقد يقع الفعل موقع الحال إذا كان في معناه ، وكانَ المراد به الحال المصاحبة للفعل»[٣٧] .

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ المهم أنَّ هذه الجملة قد اشتملت على رابط لفظيٍّ ، وليس معنويًا ، يربطها بصاحب الحال ، المعرَّف بالإضافة إلى الضمير (جيشه) المبتدأ في جملته ، ولا غرابة في ذلك ، فالحال يبين هيئة ما قبله من فاعل أو مفعول أو هما معًا ، أو غيرهما كالمبتدأ والخبر والمضاف إليه[٣٨] - والرَّابط هو الضمير المُسْتكنُّ (هو) في الفعل (يبكى) ، مطابقًا صاحبه ؛ «لأنَّ الجملَة كلامٌ مستقلٌّ بنفسه مَفيدٌ لمعناه ، فإذا وقعت الجملة حالاً ، فلابدَّ فيها ممّا يعلّقها ويربطها به ؛ لئلا يُتَوهّم أنَّها مستأنفةٌ»[٣٩] . وبذلك أصبحت جملة الحال جزءًا غير إسناديٍّ من أجزائها ، يقول أستاذي الدكتور محمد حماسة : «ويكون الجملة الحالية خبريةً ومصاحبةً لزمن الفعل في الجملة ، ومشتملةً على رابط ، يربطها بجملتها ، ويكونها دالةً على هيئة صاحبها ويكونها في محل نصبٍ تترابط الجملة الحالية مع جملتها ، وتصبح جزءًا غير إسناديٍّ من أجزائها»[٤٠] ، وهو ما أدى فيما نحن بصدده من تحليل إلى تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص ، بالإضافة إلى الاستمرارية الدلالية في عالَم النَّص ، حيث كانت جملة الحال بما فيها من رابط مبيّنةً لهيئة صاحبها ، ومرتبطةً به عن طريق هذا الرَّابط اللغوي الواضح في ظاهر النَّص على الرغم من استتاره ، فالفعل (يبكي) يدلُّ عليه بهيئته ، وهو ما يسهم في حَبْك البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص .

والملاحظ أنَّ هذه الجملة الحالية قد خلت من الرَّبْط بالواو ، إذ إنَّ مجيء جملة الحال مضارعيةً مثبتةً غير مسبوقة بقد يعدُّ من المواضع التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، بل تُربط بالضمير وحده ؛ وذلك لأنَّ المضارع على وزن اسم الفاعل لفظا ، وبتقديره معنى ، فجاءني زيدٌ يركب ، بمعنى جاءني زيدٌ راكبا ، ولا سيّما وهو يصلح للحال وصفًا ، وبين الحالين تناسبٌ ، وإنْ كانا في الحقيقة مختلفين . . . وقد سُمِع : قمت وأصكُّ عينه ، وذلك إمّا لأنَّها جَملةٌ ، وإنْ شابهت المفرد ، وإمّا لأنَّها بتقدير : وأنا أصكُّ ، فتكون اسميةً تقديرًا»[٤١] . وقد لوحظ أيضًا أنَّ هذه الجملة الواقعة حالاً قد خلت من حرف الاستقبال ، نحو السين ولن ، وغيرهما ؛ وذلك «لتناقُض الحال والاستقبال في الظاهر»[٤٢] .

(ب) الفعلية ذات المضارع المنفى :

لمّا كان الرَّبْط بالضمير قد جاء في الجملة الفعلية الحالية ذات الفعل المضارع المثبت في الكافوريات في ثمانية وثلاثين موضعًا ، فانَّ الرَّبْط بالضمير في المضارعية المنفية لم يأت إلاّ في موضعين منفيين بحرف النفي (لا) ، ومثال ذلك قول المتنبي [٤٣] (من البسيط)

لا يَعْـرِفُ الرُّزْءَ في مَـالٍ ولا وَلَدٍ ... إلاّ إذا حَـفَـزَ الضِّـيفَـانَ تَرْحَـالُ

فقوله : (لا يَعْرِفُ الرُّزْءَ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ منفيةٌ ، ذات فعل مضارع ، في محل نصب على الحالَية ، وتحتمل الاستئناف ، لكنَّني أرجِّح الحالية في هذا الموضع ؛ لأنَّ الأبيات كلَّها نسيجٌ متَّصلٌ ، يدور حول مَدْح المتنبي لكافور ، حيث إنَّ فاتكا لله كان في أيام كافور مقيمًا بالفيوم (من أعمال مصر) ، وهو بلد كثير الأمراض لا يصحُّ به جسمٌ [٤٤] ، وإنَّما أقام به أنفةً من الأسود وحياءً من الناس أنْ يركب معه . . . فاستحكمت العلَّة في بدَن فاتك ، وأحوجته إلى دخول مصر ، فدخلها ، ولم يمكِّن أبا الطيب أنْ يعوده ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ، ثُمَّ التقيا في الصحراء ، فحمل إلى منزله للوقت هديةً ، قيمتها ألف دينار ذهبًا ، ثم أتبعها هدايا بعدها» [٤٥] . وبناء على هذا فإنَّ أول ذكر جرى لفاتك كان في البيت الثامن ، مشكِّلاً بذلك عنصرًا إشاريًا أو مرتكزًا ضوئيًا ، يشكِّل مرجعًا للضمائر ، التي تنحبك بها القصيدة حتى نهايتها [٤٦] ، وذلك إذ يقول :

غَـيْثٌ يُبَـيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَـوْقِـعُـهُ ... أنَّ الغُـيُـوثَ بِمَـا تَأْتِيـهِ جُـهَّـالُ

أي أنَّ «فاتكًا غيثٌ ، يُولي بإنعامه مَنْ هو أهله ، فإذا نظر الناس علموا أنَّ الغيوث جاهلةٌ بما تفعله من سَقْي المكان السَّبِخ والطيِّب ، فموقع نعَمه يبيِّن هذا المعنى» [٤٧] . وقد جرى الحَديث عن (فاتك) فيما بعد باستخدام الضَمائر ، مُشكِّلة عناصر إحالية ، وذلك إلى أنْ يصل إلى البيت العشرين الذي معنا ، مشيرًا إلى أنَّ فاتكا : «لا يغتمُّ لشيءٍ أصابه في ماله وولده ، وإنَّما يحزن عندما يتأهّب الضيف

للرحيل»[٤٨] . وفيه يُرَجَّح لدينا أنَّ جملة (لا يَعْرفُ الرُزْءَ) حالٌ من الضمير المحذوف جوازًا ؛ لدلالة السياق عليه في قوله : (غيثٌ) ، إذ إنَّ التقدير : هو غيثٌ ، والرَّابط أيضا في جملة الحال بصاحبها الضمير المستتر (هو) في الفعل (يعرف) ، وهو ما ترتب عليه الإسهام في الترابط النَّصيّ بين أبيات القصيدة ، وهو ما يمكن القول معه إنَّ عنصر الإحالة ، يسهم بدورٍ فعّالٍ في ترابط النَّص وتماسكه ، أو في سَبْكِه وحَبْكه .

والملاحظ أنَّ هذه الجملة قد امتنع فيها الرَّبْط بالواو مع الضمير ؛ لأنَّ النحاة يرون أنَّ المضارع المنفى بالحرف (لا) بمنزلة اسم الفاعل المخفوض بإضافة غير ، فيجرى مجراه في الاستغناء عن الواو ، بمشابهته إيّاه وزنًا ومعنىً ، فكما لا تدخل الواو على اسم الفاعل فكذلك ما أشبه[٤٩] ، نحو قوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[٥٠] فجملة (لا يبصرون) جملةٌ فعليةٌ ذاتَ مضارعٍ منفيٍّ ، في محل نصبٍ على الحال من الضمير (هم) في (تركَهم) ، أي تركَهم في ظلُماتٍ غير مبصرين .

ثانياً - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي المثبت:

وقع الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين حول وقوع الماضي المثبت حالاً ، حيث إنَّ البصريين يرون أنَّه لا يقع حالاً ، مسبوقًا بقد أو غير مسبوق بها[٥١] ، وهو ما يؤيِّده الواقع اللغوي في شعر المتنبي وخاصة كافورياته ، يقول أبو حيّان : «ولا يحتاج إلى إضمار قد ؛ لأنَّه كثُر وقوع الماضي حالاً في لسان العرب بغير قد ، فساغ القياس عليه»[٥٢] . وهذا رأيٌ له وجَاهَته على حدِّ قول أحد الباحثين في قوله صدد البحث في القرآن الكريم : «فما معنى القول : وقد مقدرة ؟ هل ذلك التقدير عند القارئ للقرآن الكريم أم عند منشئه ، وهو الله تعالى ؟ وإنَّ القول بالأول – التقدير عند قارئ القرآن – لا داعي لإلزامه بذلك ؛ لأنَّ دلالة الماضي على الحال واضحةٌ لديه بدون هذا الإلزام ، والقول بالثاني لا يستطيع مؤمنٌ أنْ يقول به»[٥٣] . وقد جاء

الرَّبْط بالضمير في الجملة الفعلية ذات الماضي المثبت مُصدَّرةً بقد أو غير مُصدَّرة بها في ثمانية مواضع ، فمثال الماضية المثبتة بدون (قد) قول المتنبي [٥٤] :
(من البسيط)

لمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ	لاَ يُدْرِكُ المَجْدَ إلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ
وَلاَ كَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَئَّالُ	لاَ وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ
إنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَذَّالُ	قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ
أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ	تَدْرِي القَنَاةُ إِذَا اهتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ
كَالشَّمْسِ قُلْتُ ، وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ	كَفَاتِكٍ وَدُخُولُ الكَافِ مَنْقَصَةٌ
بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْيَ أَشْبَالُ	القَائِدُ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ

فهذه الأبيات في مَدْح فاتك - وقد ذكَرتُ ذلك فيما مضى - وفي البيت الأخير منها يرى المتنبي أنَّ فاتكا «يقود غلمانًا ربَّاهم بأسلاب أعدائه ، حتى صاروا كالأسُود . وقوله : بمثلها ، أي غذَّتهم براثنه : أي سيوفه بأسلاب أسُود أمثالهم من أعدائهم ، وهذه الأسود أشباله» [٥٥] ، وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ جمَلة (غذَّتها براثنه) في محل نصب على الحال من (الأسْد) ، مشيرةً إلى أنَّ فاتكًا يقود غلمانًا كالأسُود حالة كون سَيوفه مغذِّيةً للأسود بأسلاب أسُود مثلهم من أعدائهم ، والرَّابط في هذه الجملة مذكورٌ في البنية السطحية للجمَلة ، وهو هاء الغائب للمؤنث ، العائدة على (الأسْد) ، رابطًا جملة الحال بصاحبها ، وهو ما أدى إلى صحّة البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص على مستوى الاستعمال الأصولي [٥٦] ، فَحَسُنَ السَّبْك فيَ ظاهر النَّص ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية (الحَبْك) ، ولا شك في ذلك ؛ لأنَّ «إحداث العلاقات المتنوعة هو السمة المميِّزة لعملية التركيب الشِّعْريّ ، التي ينشغل فيها الشَّاعر ، وهو يشكِّل المعني في القصيدة» [٥٧] .

والجدير بالملاحظة أنَّ هذا الرَّابط - بالإضافة إلى غايته الدلالية في الرَّبْط بين الحال وصاحبها - قد أسهم في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛

ومن ثَمَّ الإسهام في تحقُّق السَّبْك والحَبْك ، فالبيت كما عرفنا من بحر البسيط ، وتقطيعه هكذا :

القائدُلْ / أسْدَ غَذْ / ذَتْهَابَرا / ثنهو بمثلها / منْ عِدا / هو وَهْيَ أشْـ / بَالُو

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن مُتَفْعلن فاعلن مستفعلن فَعْلُن

ومن خلال هذا التقطيع والوزن ندرك مدى إسهام الضمير في استقامة وزن البسيط ، حيث إنَّ عدم وجوده أو تكرار الظاهر (الأسْد) يؤدي إلى انكسار الوزن ، وهو ما يمكن معه القول إنَّ الشَّاعر قد استطاع عن طريق حُسْن السَّبْك والحَبْك بمفهومهما الموضَّح آنفا ووجود الرَّبْط أنْ يستخرج من هذا الوزن (وزن البسيط) الثابت في هذه القصيدة أنغامًا وجملاً موسيقيةً مختلفةً ، تشاكل الموقف النفسي المسيطر عليه في هذه القصيدة ، ومن بينها البيت موضع التحليل [٥٨] .

نأتي إلى التمثيل بالماضي المسبوق بقد ، فنمثِّل له بقول المتنبي [٥٩] : (من الطويل)

كَتَائِبَ مَا انْفكَّتْ تَجُوسُ عَمَائِرًا مِنَ الأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافيَا

وذلك في أول قصيدة مَدَح فيها كافورًا ، معرِّضًا بسيف الدولة ، والتي تبدأ بقوله :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وفي هذا البيت موضع التمثيل يشير إلى أنَّ كتائب كافور «لا تزال تدوس قبائل من أعدائه ، قد سرت إليها من بُعْد ، وقطعت فيافي من الأرض . يعني أنَّه يقصد الأعداء في ديارهم» [٦٠] ، وفيه نلاحظ أنَّ جملة (قد جَاسَت إليها) جملةٌ فعليةٌ مثبتةٌ ذات فعل ماضٍ مصدَّر بقد ، التي قرَّبت الماضي من الحال ، بالإضافة إلى إفادة تحقُّق هذه الحالَ وتأكيدَها [٦١] وأنَّ الضمير في كلمة (إليها) يعود على (عمائرًا) .

وتتضح دلالة الجملة على الحال من شَرْح أبي العلاء وما تقدم من تعْليق ، أي أنَّ هذه الكتائب ، وهي تدوس قبائل أعداء كافور ، تقطع المفاوز والفلوات إلى هذه القبائل . وقد ترابطت هذه الجملة مع صاحبها الضمير المُسْتكِنِّ في الفعل (تجُوس)

عن طريق الضمير في الفعل جاست المطابق لصاحب الحال ، والعائد على كلمة (كتائب) ، إذ إنَّ التقدير : قد جاست هي ؛ ومن ثَمَّ كان الاطراد والاستمرارية في النَّص ، بناء على أن هذا البيت جزءٌ من القصيدة كلِّها .

ثالثاً - الرَّبْط في الجملة الاسمية :

وردت الجملة الاسمية مجردةً ومنسوخةً بناسخ حرفيٍّ أو فعليٍّ في كافوريات المتنبي حاليّةً ، ومربوطةً بالضمير في أحد عشر موضعًا ، وكان الرَّابط الضمائر (تاء الفاعل ، هي ، كاف المخاطب ، هاء الغائب للمؤنث ، ألف الاثنين) ، ومثال الرَّبْط في المجردة من الناسخ قوله [٦٢] : (من الطويل)

وَمَا كُنْتُ لَوْلا أَنْتَ إلاَّ مُهَاجِراً لَهُ كُلَّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ وصِحَابُ

ولَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيْبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إلاَّ إِلَيْكَ ذَهَابُ

فهذان البيتان من قصيدته التي أشار أبو العلاء في مقدِّمتها إلى أنَّها آخر ما أنشده في كافور ، ولم يلقه بعدها ، وفيها يمدحه مفتخراً بنفسه ذاكراً الشيب مستنجزاً وعْد كافور ، وفيها يقول أبو العلاء : « لولا أنت وحُبِّي قربك ما كنت بمصر ، بل كنت كل يومٍ في بلد ، ومعي أصحاب . . . إنَّما أقمت عندك ؛ لأنَّك دُنياي ، فلا منصرف لي عندك ، إذ الدنيا حبيبةٌ إلى كلِّ أحد ، فأنت محبوبٌ إليَّ ، فليس لي ذهابٌ إلا إليك . و(حبيبةٌ) خبر ابتداءٍ محذوف ، أيّ هي حبيبةٌ إليّ » [٦٣] .

وممّا لاشك فيه أنَّ البيت الثاني منهما يشتمل على جملة اسمية حالية مجردة من الناسخ ، مبتدؤها محذوفٌ جوازاً ، والتقدير : هي حبيبةٌ إليَّ ، وصاحبُ الحالَ كلمة (الدُّنيا) ، فهي تبيِّن حالة الدنيا المتمثلة في كافور بالنسبة للمتنبي ، إذ هي حبيبةٌ إلى قلب المتنبي ، وهذا الضمير المحذوف هو الرَّابط بين جملة الحال وصاحبها فيما قبلها .

والجدير بالذِّكر أنَّ حَذْف الرَّابط لفظًا لا تقديراً ، ولا سيّما إذا كان ضميراً كما في الشاهد الذي معنا ، قد أسهمَ في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ

بجانب الغاية الدلالية المرتبطة به ، وهي إعمال ذهن المتلقي في المحذوف ، مشاركًا المبدع في تشكيل المعنى ، فإذا به يجد أنَّ الضمير المحذوف تقديره : هي حبيبةٌ ، فانظر كيف لجأ المتنبي إلى حَذْف الرَّابط في البنية السطحية للتركيب ، فتحقق السَّبْك عبر إتاحة النظام النَّحويّ لهذا الحذف ، ولم يلجأ إلى تكرار كلمة (الدنيا) ؛ اعتمادًا على أنَّ الرَّبْط بهذا الضمير سيكون بمثابة عنصر إحاليٍّ ، يحيل إلى العنصر الإشاري (الدُّنيا) فتتحقق العلاقة الدلالية بينهما (الرَّبْطً) ؛ ومن ثَمَّ الحَبْك ، وهو ما يمكن القول معه : إنَّ حَذْف الرَّابط هنا في ظاهر النَّص يُعدُّ من عناصر التفكير الفني المتجلية في هذا النَّص ، يقول أحد المحدثين : «إن عناصر التفكير الفني تتجلى دائمًا في الحياة العملية في لغة الكلام وفي العمل . . . إلخ ، ولكن القدرة الخارقة على الملاحظة وقوة العاطفة وغنى التداعيات وتنوعها ، والنشوء المستمر للصور والتعميمات المجسمة في الوعي وتراكمها المتواصل فيه ، كلُّ ذلك هو من خصائص الإنسان المبدع ، التي تتجلى في النَّص»(٦٤) .

نأتي إلى الرَّبْط في الجملة الاسمية الحالية ذات الناسخ ، فنمثِّل لها بقول المتنبي(٦٥) : (من السريع)

العَبْدُ لا تَفْضُلُ أَخْلاَقُهُ	عَنْ فَرْجِهِ المُنْتِنِ أَوْ ضِرْسِهِ
لاَ يُنْجِزُ المِيعَادَ في يَومِهِ	وَلاَ يَعِي مَا قَالَ في أَمْسِهِ
وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ	كَأَنَّكَ المَلاَّحُ فِي قَلْسِهِ

فهذه الأبيات من قصيدة ، يهجو فيها كافورًا مشيرًا إلى «أنَّ العبد ليس له همّةٌ إلاَّ في الأكل والجماع ، ولا يتجّاوز همُّه إلى مكرُمة ، فكيف يرجى ؟ ! وإذا وَعَد وعدًا لم ينجزه ، وإذا صار إلى يوم آخر ، نَسي وعْدَه بالأمس لجَهْله ، فَمَنْ هذا حاله فكيف يُرْجى نواله ؟ ! وإذا وعد شيئًا تحتاج إلى الاحتيال في جَذْبه إلى ذلك الموعود ، فإنْ أغفلت جرَّه تأخّر ، كما أنَّ الملاّح يحتاج إلى جرِّ السفينة في النهر مُصْعِدًا لها ، فإنْ ألقى الحبل من يده ، انجرّت مع الماء»(٦٦) .

وفي البيت الأخير من هذه الأبيات نلاحظ أنَّ قوله : (كَأَنَّكَ المَلَاَّحُ في قَلْسه) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ منسوخةٌ بناسخ حرفيٍّ (كأنَّ) ، قد وقعت حَالاً ، وصَاحبها الضمير المُسْتكنُّ وجوبا في الفعل (تُحتال) ، وتقديره : تحتال أنت ، وقد ربط ضمير المخاطب في كَأَنَّك بين جملة الحال والجملة المكتنفة لصاحبها ، مطابقًا إيَّاه ، مُسْهِمًا في استقامة وزن السريع . والجدير بالملاحظة أنَّ الشَّاعر كان بإمكانه أنْ يقول : وكَأَنَّك الملاح في قَلْسه ، لكن الإتيان بالواو يؤدي إلى انكسار الوزن ؛ ومن ثَمَّ كان الرَّبْط بالضمير مُسْهِمًا في حُسْن السَّبْك والحَبْك ، فكان له روعته في موضعه ، محقِّقًا الاطراد في ظاهر النَّص ، والاستمرارية الدلالية في عالم النَّص أيضًا . وقبل أنْ نبرح الحديث هنا إلى تناوُل الرَّبْط بالضمير في جملة الصفة أودُّ الإشارة إلى أنَّه لمّا كان الرَّبْط في الجملة الاسمية يجوز بالضمير وحده ، أو بالواو وحدها ، أو اجتماعهما[٦٧] ، فإنَّ رَبْطهما بالضمير فقط يكون على ضعف ، وهو ما سيتضح لنا إذا قارنا مواضعها هنا بمواضعها حين الحديث عن ربطها بالواو ، وبالواو والضمير معا فيما بعد ، وذلك على الرغم من أنَّ الرَّضيّ يرى أنَّ اجتماع الواو والضمير في الاسمية وربْطهما بالضمير فقط متقاربان في الكثرة ، لكنه يرى أنَّ اجتماعهما أولى احتياطًا في الرَّبْط[٦٨] .

المطلب الثَّاني - الرَّبْط بالضمير في جملة الصفة :

للصفة أو النعت أغراضٌ كثيرةٌ ، توقف النحاة أمامها ، وموصوفها إمّا أنْ يكون نكرة أو معرفة ، فصفة المعرفة للبيان والتوضيح ، وصفة النكرة للتخصيص ، وهو إخراج الاسم من نوعٍ أخصُّ منه ، فهي ترفع وتزيل الاشتراك اللفظي في المعارف ، وتقلِّل الاشتراكَ المعنوي في النكرات ، فهي في الأول جارية مجرى بيان المجمل ، وفي الثاني جارية مجرى تقييد المطلق[٦٩] .

ولمّا كانت الصفة تكون مفردةً ، أي صريحة وتكون بالجملة الاسمية أو الفعلية ، وتكون بشبة الجملة ، وهو ما يُطلق عليه الصفة غير الصريحة ، فإنَّ النحاة قد اشترطوا في جملة الصفة أنْ تكون خبريةً مشتملةً على ضمير يربطها بالموصوف

؛ لأنَّ الصفة كالخبر ، فكما لابدَّ من عائد إلى المبتدأ إذا وقعت الجملة خبرًا ، فكذلك لابدَّ منه في الجملة إذا وقعت صفةً ، ويُشترط في الضمير أنْ يطابق المنعوت في التنكير والتأنيث وغيره ، وقد يكون مذكوراً ، بارزًا أو مستتراً ، وقد يُحْذف إذا عُرِف من خلال السياق ، وحَذْفُه هنا كثيرٌ ، وفي الصلة أكثر ، وفي الخبر قليل [٧٠] .

ونتيجةً لاستقراء الكافوريات فقد جاء ربْط جملة الصفة بموصوفها باستخدام الضمائر (هو ، هي ، هم ، هاء الغائب للمذكّر والمؤنَّث ، واو الجماعة ، نون النسوة) ، وهذا الرَّبْط كان في الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت والمنفي ، المبني للمعلوم والمجهول ، حيث ورد ذلك في أربعة وستين موضعًا [٧١] ، كما ورد الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي المثبت فقط في ثلاثين موضعًا [٧٢] .

أمّا الرَّبْط في الجملة الاسمية المجردة والمنسوخة ، فقد ورد في أربعة وعشرين موضعًا [٧٣] ، منها ستة مواضع كانت الجملة الاسمية فيها منسوخةً بناسخٍ حرفيٍّ أو فعليٍّ ، وبقية المواضع كانت اسميةً مجردةً من الناسخ الفعليّ أو الحرفيّ ، وبذلك يكون الرَّبْط في النعت بالجملة في الكافوريات قد جاء في مائة وثمانية عشر موضعًا ، وهذا قليلٌ إذا ما قورن بالسيفيّات على سبيل المثال ، إذ إنَّ الرَّبْط في النعت بالجملة قد ورد بها في مائتين واثنين وأربعين موضعًا [٧٤] ، وذلك راجعٌ بالتأكيد إلى كثرة شعر السيفيّات إذا ما قورن بالكافوريات ، وفيما يلي تمثيلٌ لهذا الرَّبْط في أنماط الجملة المختلفة مع تلمُّس دوره في السَّبْك والحَبْك .

أولاً - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع :

(أ) في الفعلية ذات المضارع المثبت :

وقعت الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت نعتًا مربوطةً بالمنعوت بالضمير فتي الكافوريات في ستين موضعًا باستخدام الضمائر (هو ، هي ، هاء الغائب للمذكر وللمؤنث ، ونون النسوة) ، وذلك نحو قوله [٧٥] : (من الطويل)

يُخَلِّفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دارَكَ غَايَةً ... وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ

فَـإِنْ نِلْـتُ مَـا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَـرُبَّمَـا   شَـرِبتُ بِمَـاءٍ يُعْـجِـزُ الطَّيْـرَ وِرْدُهُ

فهذان البيتان من قصيدة له ، يمدح فيها كافوراً ، ويستنجز وعْدَه قائلاً : إنَّ «مَن قصد غيرك من الملوك ، فقد خلّف وراءه غايةً ، وإذا قصدك ، فقد بلغ غاية جهده وطاقته ، فإنَّه ليس وراءك غايةٌ يُطْلب الوصول إليها . . . . إنِّي بعيد الهمّة ، شريف المطلب ، لا أطلب إلا غايةً بعيدةً ؛ فلهذا قصدتك ، وقاسيت الأخطار دونك ، وليس هذا بمنكر منِّي ، فإنِّي ربَّما وصلت إلى ما لا يقدر الطير على الوصول إليه ، يعني : وصلت إلى مطالب يعجز عنها غيري»[٧٦] . وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ) في محل نصب ، على أنَّها نعتٌ لكلمة (ماء) مراعاة للمحل ، حيثَ إنَّها مفعولٌ به منصوبٌ ، وعلامة نَصْبه الفتحة المقدرة ، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزائد (الباء) ، ويمكن أنْ تكون جملة النعت في محل جرٍّ مراعاةً للَّفظ . وفي كلتا الحالتين نجد أنَّ الجملة خبريةٌ ، قد ترابطت مع منعوتها عن طريق ضمير الغائب للمفرد المذكر ، المطابق لمنعوته ، وذلك في كلمة (وِرْدُهُ) ، يقول سيبويه : «وإذا كان الفعل في موضع الصفة . . . وذلك قولك : أزيدَ أنت رجلٌ تضربه ، وأكُلَّ يوم ثوبٌ تلبسه . فإذا كان وصفًا ، فأحسنه أنْ يكون فيه الهاء ؛ لأنَّه ليس بموضع إعمالٍ ، ولكنه يجوز فيه كما جاز في الوصل ؛ لأنَّه في موضع ما يكون من الاسم»[٧٧] .

وقد يعدُّ من الفضل هنا أنْ أشير إلى أنَّ كلمة (ماء) نكرةٌ والنعت جملة ، وذلك لمناسبة الجملة بالنكرة – على الرغم من أنَّ الجملة لا معرفة ولا نكرة من جهة أنَّ التعريف والتنكير من عوارض الذات – من حيث يصحُّ تأويلها بالنكرة ، كما تقول في (قام رجل ذهب أبوه) أو (أبوه ذاهب) : قام رجل ذاهب أبوه ، وكذا تقول في (مررت برجل أبوه زيد) إنَّه بمعنى كائنٌ أبوه زيداً[٧٨] .

ومن المفيد أيضا الإشارة إلى أنَّ هذا الضمير قد أسهم في حُسْن السَّبْك والحَبْك ، فلم يتكرر الاسم الظاهر (الماء) ، بل ورد مُسْتبدلاً به الضمير ، رابطًا في ظاهر النَّص ، مُسْهِمًا في تحقُّق وصْف هذا الماء ، الذي يرى المتنبي من خلاله أنَّه ربَّما

وصل إلى ما لا يقدر غيره على الوصول إليه ، فكان بمثابة حلقة اتصال بين المفهومين ، مفهوم الماء ومفهوم جملة الصفة ، فكان الرَّبْط وسيلةً ، تحققت بها خاصّية الاستمرارية في ظاهر النَّص (السَّبْك) ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص (الحَبْك) ، ففي «هذا التلاحم يتحقق الاعتماد المتبادل بين المعيارين على نحو تتجلى به الحَبْكة المضمونية في بنيه ظاهر النَّص ، كما يُعين ظاهر النَّص علىّ تحقيق الحَبْكة المضمونية ، وبكليهما تتحقق استمرارية النَّص صياغةً ومضمونًا»[٧٩] .

هذا بالإضافة إلى أنَّ الرَّابط هنا قد أسهم في تآزُر النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فاستقام الوزن ، وصَحَّت القافية ، أمّا عن إسهامه في الوزن ، فقد أدى إلى استقامة التفعيلة الأخيرة ، التي تمثِّل الضرب (مفاعلن) المقبوضة ، وأمَّا عن إسهامه في صحّة القافية ، فالقصيدة داليةٌ ، رَوِيُّها مطلقٌ ذو حركة مشبعة ، نتج عنها هاءٌ متحرِّكةٌ ، فكانت وصْلاً ، وهو ما جرى عليه الشَّاعر في هذه القَصيدة ؛ ومن ثَمَّ كانت الهاء في (ورْدُهُ) رابطةً للجملة بالمنعوت ، ومُسْهِمةً في تحقُّق الوزن وصحّة القافية ، وهما من أمارات حُسْن السَّبْك والحَبْك .

(ب) في الفعلية ذات المضارع المنفي :

جاءت الجملة الفعلية ذات المضارع المنفى في كافوريات المتنبي في أربعة مواضع ، كان الرَّبْط فيها باستخدام الضمائر (هي ، هو ، ضمير الغائب للمذكر) وكان النفي فيها باستخدام لم ، و (لا) ، نحو قوله[٨٠] : (من الوافر)

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ ؟!
جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلاَ السِّهَامِ

وقد ورد البيتان صدد وصْفه للحمّى ، وهجائه كافوراً ، قائلاً : «يا بنت الدهر ، كيف وصلت إليَّ مع ازدحام حوادث الدهر عليَّ وتراكم الدواهي ؟! . جَرَحْت منّي بدنًا مجرَّحًا ، قد عمّته الجراحات ، فليس فيه موضعٌ صحيحٌ ، تجرحه السيوفَ والسهام»[٨١] . وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (لَمْ يَبْقَ فِيهِ

مكَانٌ للسِّيُوف) جملةٌ فعليةٌ ذات مضارعٍ منفيٌّ بلم ، جاءت نعتًا للمفعول به (مُجَرَّحًا) ، وقد رُبطَت بمنعوتها بضمير الغائب للمذكر في كلمة (فيه) المطابق لمرْجعه ، فكان الضمير بمثابة عنصر إحاليٍّ على العنصر الإشاريّ (مُجَرَّحًا) ، رابطًا بين (المُجرَّح) ومفهوم الجملة التي عيَّنته عن طريق وصْفه ، فكان بمثابة حلقة الاتصال ؛ ومن ثَمَّ كان ذا فاعلية في ظاهر النَّص وفي عالمه في آنٍ واحد ، مُسْهمًا في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ .

ثانيا - الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي :

وردت الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي نعتًا - كما سبق من خلال الإحصاء في ثلاثين موضعًا ، وكان الماضي مثبتًا فقط ، وكان الرَّبْط فيها باستخدام الضمائر (هي ، هو ، هاء الغائب للمذكر والمؤنث ، واو الجماعة ، نون النسوة) وذلك نحو قوله[٨٢] : (من الوافر)

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ : أَكَلْتَ شَيْئًا ... وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الجَمَامِ

وهذان البيتان من القصيدة نفسها ، المشار إليها أنفًا ، والتي يصف فيها الحمّى ويهجو كافورًا ، قائلا : «إذا رآني الطبيب متغير الحال ، قال : قد أكلت شيئًا ضرَّك ، فاحْتَمِ ، فإنَّ ذلك من الطعام والشراب ، إنَّ الطبيب لا يعلم أنَّ مَرَضي من طول مُقامي بمصر ، وتَرْكي ما هو عادتي من السفر ، كما أنَّ الفرس إذا تعوَّد السير عليه ، وتحمّل الكد والنَّصَب ، ثم طال مقامه على الجَمَام ، أضرَّ به ذلك»[٨٣] .

وفي البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (أضَرَّ بجسْمه طُولُ الجَمَام) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، جاءت نعتًا لخبر أنَّ (جَوادٌ) ، ونظرًا لكَونَ الصفة مثل الخبر في احتياجها إلى رابط ، يربطها بالموصوف ، فقد كان الرَّبْط في هذه الجملة بضمير الغائب للمذكر ، الواقع مضافًا إليه في كلمة (بجسمه) والمطابق لمنعوته في الإفراد والتذكير ؛ ومن ثَمَّ أُحْكِمت العلاقة بين المنعوت (جواد) وبين وصْفه بالجملة

الفعلية ، فتعلّقت كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ، وهو ما يمكن معه القول بأنّه على حد قول الجاحظ آنفا - أُفْرِغ إفراغًا جيّدًا أو سُبِك سبكًا واحدًا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان .

ومن الواضح أنّه كان بإمكانه أنْ يقول : أنّي جوادٌ أضرَّ بجسم الجواد طول الجَمَام ، مكرِّرًا الظاهر ، وعلى الرغم من أنَّ تكرار الظاهر له أغراضٌ دلالية ، ترتبط بالسياق ، فإنَّ الشّاعر يريد أنْ يكون بيته حسن السَّبْك والحَبْك ، فآثر الإيجاز بإحلاله الضمير محل الظاهر(٨٤) ، رابطًا بين النعت ومنعوته . هذا بالإضافة «إلى أن المتنبي في لغته اعتمد كثيراً على الإيحاء ؛ وذلك لأنَّ موضوع كلامه كان يشغل حيّزاً كبيراً في ذهنه ؛ ومن هنا كان يستغنى عن تكرار اللفظ المعبِّر عن موضوع الحديث ويعبِّر عنه بالضمير»(٨٥) ؛ ومن ثَمَّ أسهم أيضًا في توافُق النِّظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت كما نعرف من الوافر ، وتقطيعه هكذا :

وما في طِبْ / بهي أنّي / جوادن   أضَرَّ بجِسْ / مِهِي طولُلْ / جَمَامي

مفاعيلن   مفاعيلن   فعولن   مُفَاعلتن   مفاعيلن   فعولن

فلو كرَّر الظاهر ، لَمَا استقام الوزن ، ولَمَا صحَّت القافية ، وهو ما يؤكد أنَّ الضمير كان ذا فاعلية في ظاهر النَّص وفي عالمه .

وبعد هذا العرض أشير إلى أنَّ الرَّبْط بالضمير في الجملة الفعلية ذات المضارع - وبخاصة المثبت منه - قد جاء أكثر منه في الفعلية ذات الماضي ، وهذا يرجع إلى نكتة دلاليّة في الفعل المضارع ، مرتبطة بحُسْن السَّبْك والحَبْك ، لا يستطيع الفعل الماضي الوفاء بها في السياقات التي وردت فيها جملة النعت - وهو ما ينسحب على التعبير بالجملة ذات الرَّبْط بالضمير في الكافوريات ، سواءٌ أكانت حالاً أم نعتًا أم صلةً لموصول أم خبرًا - المكتنفة للرابط العائد على المنعوت ، فعلى سبيل المثال يقول المتنبي في هجائه كافوراً قبل مَسيره من مصر بيومٍ واحد(٨٦) : (من البسيط)

مَا كُنْتُ أَحْسَبنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ   يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمودُ

أي «مـا ظننت أنّي أبقى إلى زمن ، يسيء بي في ذلك الزمـان كلبٌ ، وهو محمودٌ على إساءته لي ، وأحتاج إلى مَدْحه مع ذلك»[٨٧] ، فالتعبير بالمضارع يفيد تجدُّد الإساءة زمانًا بعد زمان ، انظر إلى تعليق الزمخشري – مثلا – على قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[٨٨] ، فقد علّل الزمخشري مجيء معنى الماضي في صيغة المضارع ، وكيف استطاعت صيغة المضارع « يصبح» أنْ تجعل عملية الاخضرار تتجدد وتجيء عبر الأزمان ، فيقول : «فإنْ قلت : هلاّ قيل : فأصبحت ، ولِمَ صرف إلى لفظ المضارع ، قلت لنكتة فيه ، وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان ، ما تقول : أنعم على فلان عام كذا ، فأروح ، وأغدو شاكرًا له ، ولو قلت فرحتُ وغدوت ، لم يقع ذلك الموقع»[٨٩] .

ثالثًا ـ الرّبْط في الجملة الاسمية :

جاء الرَّبْط بالضمير في الجملة الاسمية ، الواقعة نعتًا ، مجردةً ومنسوخةً بناسخ حرفيٍّ أو فعليٍّ في أربعة وعشرين موضعًا – كما مرَّ بنا – وكان الرَّبْط باستخدام الضمائر (هي ، وهاء الغائب للمذكر وللمؤنث وهم ، ونون النسوة) ، وذلك نحو قوله[٩٠] : (من الطويل)

وَإِنِّي لَفِي بَحْرٍ مِنَ الخَيْرِ أَصْلُهُ	عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وهْي مَدُّهُ

فالشّاعر في هذا البيت يمدح كافورًا ، ويستنجز وعده شأن بقية القصيدة ، قائلاً : «أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر من عطاياك ، وأرجو مَدَّ عطاياك ، فهي مدُّ هذا البحر»[٩١] ، وفيه يُلاَحظ أنَّ جملة (أصله عطاياك) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، في محل جرٍّ على النعت لكلمة (بحر) ، وقد ترابطت هذه الجملة مع منعوتها بضمير الغائب للمذكّر في (أصله) ؛ فكان بمثابة حلقة اتصال بين العنصر الإشاريّ (بحر) ومفهوم جملة النعت ، كما أنّه أسهم في استقامة عروض الطويل (مفاعلن) ، وبناء على ذلك كلّه يمكن أنْ يُقال إنّه أسهم في تحقُّق الصحّة النّحويّة .

ومثال ذلك أيضًا في القصيدة نفسها قوله[٩٢] :

فَلاَ يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ   فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالمَالِ عَقْدُهُ

وفيه يُدلي بحكَمه ونصائحه ، التي ضمّنها شعره ، قائلاً : «لا تُتلف مالك كلّه في اكتساب المجد والثناء ، فإنْ فعلت ذلك افتقرت ، وضاع المجد ، الذي كنت تطلبه ، إذ المجد لا يكون إلا مع المال»[٩٣] . ويلاحظ في هذا البيت أنَّ جملة (كَانَ بالمَال عَقْدُهُ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ منسوخةٌ بالناسخ الفعليّ (كان) ، تقدَّم فيها خبر كَانَ على اسمها ، وجاءت نعتًا للفاعل (مجدٌ) في الجملة السابقة . ولمّا كان من اللازم وجود الرَّابط في جملة النعت ، لربطها بالمنعوت ، فقد كان ضمير الغائب للمذكر في اسم كَان المؤخّر إلى مكان القافية ، مُسْهمًا في استقامة الطويل وصحّة القافية ؛ ومن ثَمَّ الصحّة النَّحويّة ، وهو ما يمكن أَنْ ينسحب على بقية الضمَائر الرَّابطة في الكافوريات .

وزيادةً في الإيضاح نشير إلى أنَّ هذه الصحّة النَّحويّة مبنيةٌ على ربْط الضمير بين المفهوم الأول ، أعني مفهوم كلمة (مَجْد) وبَين مفهوم جملة النعت ، التي عيّنت مفهوم كلمة (مَجْد) عن طريق الوصف بأنَّه مجدٌ ، قد تحقّقت كينونته مع وجود المال ، فكان السَّبْك في ظاهر النَّص والحَبْك في عالمه ؛ أي أنَّ الاستمرارية في ظاهر النَّص قد تحقَّقت ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية المتحقِّقة في حلقة الاتصال التي يشكِّلها الضمير الرَّابط بين المفاهيم داخل النَّص . وقبل أنْ أترك هذا الحديث أرى أنَّه قد يكون من المفيد الإشارة إلى أنَّه من خلال تتبُّع الرَّبْط بالضمير في جملة النعت ؛ ومن ثَمَّ النعت كافة ، لوحظ أنَّ ثمة ألفاظًا في الكافوريات لا يستخدم معها المتنبي النعت إلا في مواضع قليلة ، نحو (الناس ، القلب ، المجد ، السيف ، الخيل ، السهام ، المال ، العبد) ، حيث ترد هذه الألفاظ معرّفةً بأل ، تشير إلى أشياءَ واضحة لدى الشَّاعر ؛ ومن ثَمَّ المتلقي ، أمّا ما يحتاج إلى توضيح ولاسيّما النكرات ، فإنَّه يُتْبعها بالجملة الموضحة ، المرتبطة مع منعوتها بالضمير ، وهذا ديدنه في بقية شعره ، ففي السيفيات أيضا نجد «جمل النعت ترتبط بالنكرات ، فالشَّاعر استعمل النعت مع النكرات أكثر مما استعمله مع المعارف ، وحين نلحظ أنَّ كثيرًا من الأسماء

المعرفة المرتبطة بالنعت إنَّما ورد في القوافي ، نتبين أنَّ النكرات المرتبطة بالنعت ترد بنسبةٍ ملحوظةٍ في داخل الأبيات .

ومن خلال التنكير يقدِّم الشَّاعر الأشياء غريبةً مبهمةً ، يحوطها الغموض ، ثم يشرع ثانية في تقديمها من خلال النعت ، الذي يصبغها بصبغة خاصة . ولعلّ كثرة النعوت مع النكرات تحمل شيئًا من التوضيح لقلّة استعمال المتنبي للنعوت في الألفاظ التي تتكرر كثيراً في السيفيات ، مثل : السيف ، والقنا ، والخيل ، والعين ، والقلب ، والناس ، والزمان ، والدهر ، والموت . فهذه الألفاظ في الغالب متسمةٌ بالتعريف «بأل» وصيغة التعريف «بأل» تحمل الإشارة إلى وضوح الأشياء ، وأنَّها ليست بحاجة إلى التحديد أو التمييز ، وربَّما دلَّ هذا على أنَّ هذه الألفاظ الكثيرة تشير إلى أشياءَ واضحة المعالم - في ذهن الشَّاعر - ولذا فهي لا تحتاج إلى التحديد أو التمييز إلا مرات قليلة ، وفي مواقفَ خاصة»[٩٤] ، وفيما يلي عرضٌ للربط بالضمير في جملة الصلة .

المطلب الثالث - الرَّبط بالضمير في جملة الصلة:

تنقسم الموصولات إلى موصولات حرفيّة ، وهي (أنْ) المصدرية ، و (أنَّ) الناسخة و(كي) و(ما) و(لو) وهي لا تحتاج إلى عائد ، وأخرى اسمية نحو الذي والتي والذين . . . إلخ ، وهي التي يُشترط في صلتها أنْ تشتمل على عائد ، يعود على الموصول ، وذلك للربط بين المفهومين ، أعني بين الموصول وصلته ، يقول المبرِّد : لله الذي لا يكون اسمًا إلا بصلة ، ولا يكون صلته إلا كلامًا مستغنيًا ، نحو الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، والظَّرف مع ما فيه ، نحو في الدار زيدٌ ، ولا تكون هذه الجملة صلةً له إلا وفيها ما يرجع إليها من ذكْره ، فلو قلت : ضربني الذي أكرمت هند أباها عنده ، أو في داره ، لَصَلُح لما رددتَ إليه من ذكْره . ونظير الذي ما ، ومن ، وأي ، وأل ، التي في معنى الذين ، وكلُّ موصول ممّا لَم نذكره ، فهذا مجراه»[٩٥] . هذا وقد أشار النحاة أيضًا إلى أنَّ الموصول إنْ طابق لفظه معناه ، فلا إشكال في العائد ، وإنْ خالف لفْظُه معناه ، فيجوز في العائد مراعاة اللفظ ، ومراعاة المعنى ،

ومراعاة اللفظ أكثر ما لم يحدث لبس ، أمَّا إذا خِيف اللَّبس ، فإنَّ مراعاة المعنى واجبٌ(٩٦) .

وقد ورد الضمير رابطًا في جملة الصلة بالاسم الموصول في كافوريات المتنبي في مائة واثنين وثمانين موضعًا ، وقد تنوعت الجملة موضع الرَّابط ، فجاءت فعليةً ذات مضارعٍ مثبت ومنفيٍّ في ثلاثة وخمسين موضعًا(٩٧) ، وذاتَ ماض مثبت في خمسة وستينَ موضعًا (٩٨) ، وجملةً اسميةً مجرَّدةً ومنسوخةً بناسخٍ فعليٍّ فقطً في أربعةٍ وعشرين موضعًا(٩٩) .

ومن خلال هذا الإحصاء نلاحظ أنَّ الموصول الذي عاد عليه الرَّابط من جملة الصلة كان موصولاً اسميًا مختصًا ، انحصر في (الذي) ، و (التي) ، كما جاء موصولاً اسميًا مشتركًا - وهو ما استُعْمل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ، والمفرد والمثنى والجمع - انحصر في (مَنْ) و (ما) . ويُلاحَظ أيضًا أنَّ الضمير العائد في كل هذه المواضع ، قد انحصر في الضمائر (هو) ، و (هي) ، وهاء الغائب للمذكر المفرد والجمع ، وهاء الغائب للمؤنث ، و (أنت) ، وقد جاء الضمير بارزًا ومستترًا ومحذوفًا ، وفي كلِّ هذا كانت له فاعليته في موضعه ، فظهر دوره في السَّبْك والحَبْك في الكافوريات ، وهو ما سيتضح فيما يأتي من تناولٍ .

(أ) الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع :

وردت الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت والمنفي في الكافوريات صلةً للموصول الاسمي ، خاصًا ومشتركًا في ثلاثة وخمسين موضعًا ، مربوطةً بالضمير ، مستترًا ومحذوفًا - وسنخص المحذوف بحديث فيما بعد - ومثال الفعلية ذات المضارع المثبت قوله(١٠٠) : (من الخفيف)

أنْتَ أعْلَى مَحلَّةً أنْ تُهَنَّا … بِمَكَانٍ فِي الأرْضِ أوْ فِي السَّمَاءِ

ولَكَ النَّاسُ والبِلادُ ومَا يَسْـ … ـرَحُ بَيْنَ الغَبْرَاءِ والخَضْرَاءِ

فهذان البيتان من قصيدة المتنبي ، التي قالها بمناسبة بناء كافور لدار بإزاء

الجامع الأعلى على البرْكة ، وتحوُّله إليها مطالبًا أبا الطيب بذكْرها ، يقول لكافور : أنت أجلُّ قدرًا وأعلى محلاً من أن تُهنَّأ بدار في الأرض أو في السماء ، وأنت تملك البلاد ، ومَنْ عليها وما عليها من الحيوانات (١٠١) .

والذي نلاحظه في البيت الثاني أنَّ (ما) موصولٌ اسميٌّ مشتركٌ ، صلته جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ مثبتةٌ ، ذات فعل مضارع مبنيٍّ للمعلوم ، مشتملةٌ على رابط (الضمير المستتر في الفعل يَسْرح) ، والذي حصلَ به الرَّبْط بين الموصول وصلته ؛ ومن ثَمَّ اتضح مفهوم الموصول بالصلة ، وما بها من رابط كان بمثابة حلقة الاتصال بين المفهومين .

أمَّا عن الرَّبْط في صلة الموصول ، ذات المضارع المنفي ، فيمكن الإشارة إلى أنَّه قد جاء في تسعة مواضع ، كان النفي فيها باستخدام (لم) و (لا) مع المضارع المبنيّ للمعلوم والمبنيّ لغير الفاعل ، نحو قوله (١٠٢) : (من الطويل)

أَودُّ مِنَ الأَيَّامِ مَا لا تَوَدُّهُ ... وَأَشْكُو إِلَيْهَا بيْنَنَا وَهْيَ جُنْدُهُ

فقد ورد هذا البيت في بداية إحدى قصائد المتنبي في مدح كافور واستنجاز وعْده ، قائلاً : أريد من الأيام ألاَّ تفرِّق بيني وبين أحبَّائي ، والأيَّام لا تريد ذلك . وأشكو إليها الفراق ، وهى جُنده ، أي أنَّ الفراق هو الذي حكم بها ، فإذا شكوت إليها لم تشكني (١٠٣) .

وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ الجملة المكتنفة للرابط جملةٌ فعليةٌ منفيةٌ ، ذات مضارع منفيٍّ بحرف النفي (لا) ، وهذا الرَّابط هو الهاء في (تودُّه) ، والتي ترجع إلى (ما) مراعاةً للَّفظ ، موضِّحةً لمفهوم الموصول الاسمي المشترك ، محقِّقةً الاتصال بين الموصول وجملة الصلة ، ويضاف إلى ذلك أنَّ عدم حَذْف الضمير قد أدى إلى استقامة الوزن وصحّة القافية ، فالبيت من بحر الطويل ، وتقطيعه هكذا :

أودُّ / مِنَ لأيَّا / مِمَا لا / تودُّهـو ... وأشكو / إليها بَيـْ / نَنَاوهْـ / يَجُنْد هو

فعولُ مفاعيلن فعولن مفاعلن ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ومن خلال ذلك يتضح أنَّ مطلب العروض يحتِّم ذكْر الضمير الرَّابط لإقامة (مفاعلن) المقبوضة ، وهو ما يؤكد إسهامه في تآزُر النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، وفي كلٍّ ذلك ما يبرهن على إسهام الضمير الرَّابط بين الموصول وصلته في الجملة الفعلية ، ذات المضارع في حُسْن السَّبْك والحَبْك .

(ب) الرَّبْط في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي :

ورد الرَّبْط بالضمير وحْدَه في الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي حالة كونها صلةً للموصول في خمسةٍ وستين موضعًا - كما مر آنفًا - نحو قوله[١٠٤] : (من الطويل)

وَلِلّه سَيْري مَا أَقَلَّ تَئِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الحَدَالَى وَغُرَّبُ

عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَينِ الَّذي أَتَجَنَّبُ

فهذان البيتان في بداية مَدْح المتنبي لكافور في بائيته التي يقول فيها :

أُغالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الهَجْرِ و الوَصْلُ أَعْجَبُ

وفيهما يقول : «سَيْرى حين جعلت الحَدَالى وغُرّبُ عن يميني ، وقصدت مصر ، فما كان أسرعه ، وأقل تمكُّني فيه ، وذلك عشية جفوتُ مَنْ هو ألطف الناس بي ، وأشدهم اهتمامًا بأمري ، يعنى سيف الدولة ، ويُظْهر الندم على فراقه ، وأصوب الأمرين الأمر الذي تركته لمّا قصدت كافوراً وجفوتُ سيفَ الدولة مع اهتمامه بأمري . وفي البيت الثاني نلاحظ أنَّ الموصول الاسمي المشترك (مَن) في محل رفع ، خبر المبتدأ (أحفى) ، وقد جاءت جملة (جفوته) الفعلية الخبرية المثبتة ، ذات الفعل الماضي صلةً للموصول ، موضحةً إيَّاه ، والتي ارتبطت به عن طريق الضمير البارز (الهاء) المفعول به في (جفوته) ، وفيه نلاحظ أنَّه طابق الموصول مراعاة للَّفظ ، وهو الأكثر . يضاف إلى ذلك أنَّ هذا الضمير البارز قد أسهم في استقامة الوزن وصحّة القافية ، فالبيت من الطويل ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

عَشِيَّــ/ تأحْفَنَّا/ سُبِي مَنْ/ جفوتهو وَأَهْدَطْ/ طريقينل/ لذي أ/ تَجَنَّبُــو

فعولُ مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلن

ومن خلاله نلاحظ أنَّ مطْلَب العروض يقتضي ذكْر الضمير الرَّابط وعدم حَذْفه، شأن سابقه في الشاهد السابق، ممَا يؤكد إسهامَه في استقامة الوزَن ؛ ومن ثَمَّ صِحّة القافيةٌ، وهو ما يترتب عليه القول بإسهامه في حُسْن سبك النَّص وحَبْكه.

(جـ) الرَّبْط في الجملة الاسمية المجردة والمنسوخة :

جاء الرَّبْط بالضمير في الجملة الاسمية، مجردة ومنسوخة، حالة كونها صلة للموصول في أربعة وعشرين موضعًا - كما تقدم - نحو قول المتنبي[١٠٥] (من البسيط)

لاَ خَـيْلَ عِنْدَكَ تُهْـدِيهـا ولاَ مَـالُ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقَ إنْ لَمْ تُسْعِدِ الحَالُ

وَاجْـزِ الأَمِيـرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ بِغَيـرِ قَـوْلٍ، وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوالُ

هذان البيتان من بداية قصيدته التي يمدح فيها فاتكًا - وقد تقدم ذكْر مناسبتها - وفيهما يقول لنفسه : «ليس عندك خيلٌ ولا غيرها من الأموال، تهديها إلى فاتك، مكافئةً على إحسانه، فأنت قادرٌ على مَدْحه، فساعدْه بالقول الجميل، إنْ لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل . . . كافئ الأمير الذي يَفاجئ بإنعامه من غير وعد، وغيره يقول ولا يفعل، يعرِّض بكافور»[١٠٦] . وفي البيت الثاني منهما نلاحَظ أنَّ الاسم الموصول المختص (الذي) في محل نصب على النعت للمفعول به (الأمير)، وقد جاءت صلته جملةً اسميةً مجردةً من الناسخ، ولَمَّا كان وجود الرَّابط لازمًا لحُسْن السَّبْك والحَبْك، فقد كان ضمير الغائب - المبنى على الضم في محَل جرٍّ على الإضافة - رابطًا بين الموصول وجملة الصلة، مطابقًا الموصول مطابقةً تامةً، موضِّحًا إيَّاه، فهذا الرَّابط اللغوي اللفظي بتشكيله حركة اتصال بين الموصول وصلته، يكون قد أسهم في تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص ؛ ومن ثم الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص أيضًا، وليس هذا فحسب، بل أسهم في توافُق

النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من البسيط ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

وَجْزِلأمِيـ / رِلّذي / نعماهفا / جئتن بغيرقـوْ/ لِنونُعْ / منّاسأق / وَالُو

مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلن متفعلن فاعلن مستفعلن فَعْلُنْ

ومن خلاله يتضح أنَّ الرَّابط قد أسهم في تحقُّق التفعيلة الثالثة (مستفعلن) ، فلو لم يكن الرَّابط ، لتحوَّلت التفعيلة إلى (مستفعلْ) بحَذْف الخامس المتحرك عَقْلاً ، وهو ما لَم يدخل البسيط ، بل يدخل الوافر فقط ، فتتحول إلى مفاعلن ، «وحين تُحْذف هذه اللام يُمْتَنع أن تُحْذف نون مفاعلتن حذراً من اجتماع أربعة متحركات في توالى البيت إذا جاء بعد التفعيلة مفاعلتن أخرى مبدوءةٌ بوتد مجموع» (١٠٧) . وفى هذا ما يؤكد على إسهام الرَّابط في استقامة وزن البسيطً وصحّة القافية ؛ ومن ثَمَّ دوره في حُسْن السَّبْك والحَبْكَ .

(د) حَذْفُ الرَّابط :

يشير الواقع اللغوي إلى أنَّ الضمير الرَّابط في جملة الصلة قد يكون في محل رفعٍ أو نصب أوجرٍّ ، وقد يكون مذكوراً أو محذوفًا ، وأنَّ مع الحذف يُشْترط أمْن اللبس ووضوح المعنى ، بالإضافة إلى شروط أخرى خاصة بمحلِّ كلِّ حالة من حالات الضمير (١٠٨) ؛ ومن ثَمَّ فإنَّ هذا الحذفَ مرتبطٌ بالصحّة النَّحويّة ؛ ومَن ثَمَّ الصِّحة النقدية . وأكثر ما يكون الحذف عندما يكون العائد مفعولاً به ، يقول المبرد : «ولو قلت : ضرب مَنْ أبوك منطلقٌ زيداً لم يَجْز ، فإنْ جَعَلت مكان الكاف هاء ، وقلت : أبوه ، صحّت المسألة بالراجع من ذكره . وكذلك بلغني ما صنعت ؛ لأنَّ ههنا هاءً محذوفة ، وكذلك رأيت مَنْ ضربت ، وأكرمتُ مَنْ أهنت ، في كلٍّ هذا قد حَذَفْتَ هاءً ، وإنما حذفتها ؛ لأنَّ أربعة أشياءَ صارت اسمًا واحداً ، وهى : الذي ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول ، فخَفَّفْت منها ، وإن شئت جئت بها» (١٠٩) .

هذا ، وقد لوحظ من خلال العرض السابق في هذا المبحث أنَّ الضمير الرَّابط كان مذكوراً ، سواءٌ أكان مستتراً مدلولاً عليه بصيغه الفعل أم بارزًا كائنًا بصورته ،

لكن هذا الأمـر لم يكن ديدن الرَّابط في جـملة الصلة في الكافـوريات ، بل أتى محذوفًا ، وذلك في حالة كونه مفعولاً به فقط ، سواءٌ أكان هذا الحذف في الحشو أم في العروض أم في الضرب ، وكان أكثر حذْفه في الحشو ، وقد جاء ذلك في خمسة وثلاثين موضعًا(١١٠) ، تنوّع فيها الاسم الموصول بين (ما) ، والذي ، ومَـنْ ، والتي ، ومثال الحذف في العروض والحشو معًا قوله(١١١) : (من البسيط)

لَيْتَ الحَـوادِثَ بَاعَـتني الَّذي أَخَـذَتْ   مِنِّي بِحِلْمِي الَّـذي أعْطَتْ وَتَجْـريبي

والمعنى كما يقول : «إنَّ الحوادث أخذت منِّي الشباب ، وأعطتني الحكْمة والتجارب ، فليتها ردّت عليّ ما أخذته من الصبى ، وأخذت ما أعطت من الحلم والنُّهى»(١١٢) ، وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ كلا الفعلين (أخذت ، وأعطت) صلةٌ للموصول الاسميّ المختص (الذي) ، والأول منهما في موضع العروض ، والثاني في الحشو ، وفيهما نلاحظ أنَّ الضمير العائد الرَّابط مفعولٌ به محذوفٌ مع اتضاح المعنى وأمْن اللَّبس ، والتقدير في الموضعين (أخَذَتْه ، وأعطَتْه) ، يقول ابن يعيش : « اعلم أنَّ المفعول لمّا كان فضلةً ، تستقلُّ الجملة دونه ، وينعقد الكلام مـن الفعل والفاعل بلا مفعول ، جاز حَذْفه وسقوطه ، وإن كان الفعل يقتضيه»(١١٣) . وممّا لا شك فيه أنَّ هذا الحَذْف من نوع الحذف اختصاراً للمفعول به ، وهو أنْ «يُحْذَف من جهة اللفظ ويُراد من طريق المعنى والتقدير»(١١٤) ، وهو ما يدلُّ عليه المعنى والقرينة اللفظية (الاسم الموصول) ، والغاية من هذا الحذف إشراك المُتلقّي مع المبدع ، وإعمال ذهْنه في الكَشْف عن المحذوف ؛ ومن ثَمَّ مشاركة المبدع في تشكيل المعنى ، وهو ما يترتب عليه إدراك مدى إسهام هذا الحذف في تماسك التراكيب ؛ ومن ثم سبك النَّص وحبكه ، وهم ما يؤدي إلى القول بتحقق الكفاءة النَّصية(١١٥) ، وأنَّ ثمَّة علاقةً بين النَّحو والنَّسْج والدلالة في النَّص .

أضف إلى ذلك – وهو ما لا أمَلُّ منه – أنَّ هـذا الحذف قد أسهم في استقامة الوزن ، حيث إنَّ العروض تتطلب حَذْف الرَّابط ، كما أنَّ الحشو يتطلبه أيضا ، وهو ما ترتب عليه صِحّة القافية ، فالبيت من بحر البَسيط ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

لَيْتَ لحوا/ دثْبَا/ عتَنللذي /أخذت منّي بحلْ/ مي لّذي/ أعطت وتجْ/ ربِبي

مستفعلن فَعِلُن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعْلن

ومنه يتضح أنَّ الحذف أسهم في استقامة العروض المخبونة (فَعِلُن) ، فلو لم يُحْذف الرَّابط ، لَتَحولّت العروض إلى (متفاعل) وهو ما لم يرد في البسيط ، وكذلك لو لَم يُحْذف الرَّابط في (أعطت) لَمَا استقامت التفعيلة الثالثة في الشطر الثاني ، ولَمَا صحّت القافية برويها المراد ، وهو حرف الباء المكسورة .

نأتي إلى التمثيل لهذا الحذف في موضع القافية ، فنمثِّل له بقوله[١١٦] : (من الكامل)

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أنَّي رضِيتَ بحُلَّة لا تُنْزَعُ ؟
مَا زِلْتَ تَخْلعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِسْتَ اليَوْمَ مَا لاَ تَخْلَعُ

وذلك في رثائه لفاتك (أبي شجاع) بمصر ، وهجائه لكافور ، وفيهما يقول لفاتك : كنت تنزع كلَّ يوم حُلّةً للسؤال ، وتلبس حُلّةً جديدة ، فكيف رضيت الآن بحُلّة لاتنزعها أبداً ، ولا تبدِّلها بغيرها ؟ يعنى الكَفَن . لم تزل تخلع حُلَّتك على مَنْ طلبهَا حتى لبست الآن حُلّةً لا يشتهيها أحدٌ ، ولا يسألك أنْ تخلعها عليه[١١٧] ، وفى البيت الثاني منهما نلاحظ أنَّ جملة (لا تخلع) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ منفيةٌ ، ذات مضارعٍ منفيٍّ ، قد جاءت صلةً للموصول الاسميّ المشترك ، غير المختص (ما) ، وأنَّ هذه الصلة قد حُذف منها الرَّابط ، العائد على الموصول ؛ وذلك لدلالة السياق عليه ، حيث إنَّ الهاء في (تخلعها) في الشطر الأول من البيت الثاني ، والتي تعود على (الحُلّة) في البيت الأول تشير إلى المحذوف ، والتقدير : حتى لبستَ اليوم ما لا تخلعها ، وقد أسهم هذا الحذف في استقامة الوزن أولاً ، فاستقامت التفعيلة الأخيرة (لا تخلعُ = مُتْفَاعلن) ، بالإضافة إلى صحّة القافية ثانيًا ، برويها المراد ، وهو حرف العين المضمومة ، حيث إنَّ الوزن والقافية جزءٌ من إنتاج المعنى ، وهو الأمر الذي يؤكِّد إسهام حَذْف الرَّابط في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛ ومن ثَمَّ

كان الرَّابط وسيلةً من وسائل السَّبْك والحَبْك ذات فاعلية في التشكيل اللغوي في النَّص أو البناء النَّصيّ المسبوك غير المترهل (١١٨) .

المطلب الرَّابع - الرَّبْط بالضمير في جملة خبر المبتدأ

في بداية الحديث عن الرَّابط في جملة خبر المبتدأ يمكن الإشارة إلى أنَّ جملة الخبر إنْ لم تكن نفس المبتدأ في المعنى فلابدَّ فيها أنَّ تشتمل على رابط ، حتى لا تكون أجنبيةً عن المبتدأ ، ومن هذه الرَّوابط الضمير ، يقول سيبويه : «واعلم أنَّ المبتدأ لابدَّ له من أن يكون المبنيُّ عليه شيئًا هو هو» (١١٩) . ويقول المبرِّد أيضًا : واعلم أنَّ خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئًا هو الابتداء في المعنى ، نحو : زيدٌ أخوك ، وزيدٌ قائم . فالخبر هو الابتداء في المعنى ، أو يكون الخبر غير الأول ، فيكون له فيه ذكْرٌ ، فإنْ لم يكن على أحد هذين الوجهين ، فهو مُحالٌ ، ونظير ذلك : زيد يذهب غَلامه ، وزيد أبوه قائم ، وزيد قام عمرو إليه ، ولو قلت : زيدٌ قام عمرو ، لم يجز ؛ لأنَّك ذكَرْت اسمًا ولم تخبر عنه بشيء ، وإنَّما خبَّرت عن غيره» (١٢٠) ، وهكذا نرى المبرِّد أيضًا - وهو ما سار عليه النحاة حتى الآن - لا يجيُز : زيد قام عمرو ؛ و ذلك لخلو الجملة من الرَّابط العائد على المبتدأ . وهذا الضمير الرَّابط قد يكون بارزًا أو مستترًا أو محذوفًا ، ويُشترط فيه أنْ يكون مطابقًا للمبتدأ في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ جملة الخبر المشتملة على الضمير تقع اسميةً وفعليةً وشرطيةً ، مع ملاحظة أنَّها (الشرطية) محلٌّ خلاف بين النَّحويّين (١٢١) .

وبعد استقراء كافوريات المتنبي وجدت أنَّ الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر قد جاء في واحد وثمانين موضعًا ، جاء فيها الخبر جملةً اسميةً ، منسوخةً بناسخ فعليٍّ أو حرفيٍّ دون المجردة في ثلاثة مواضع (١٢٢) ، وجملةً فعليةً ذات مضارع مثبت ومنفيٍّ في تسعة وأربعين موضعًا (١٢٣) ، وذات فعل ماض في ثلاثة وعشرين موضعًا (١٢٤) ، وجاء الخبر جملةً شرطيةً في ثمانية مواضع (١٢٥) ، وفي كلّ ذلك كان المبتدأ إمّا مجردًا أو منسوخًا أيضًا ، وكان الرَّبْط في كلّ هذه المواضع باستخدام الضمائر (هو ، وهي ، وتاء الفاعل ، وأنت ، ونحن ، وواو الجماعة ، وأنا ، وألف الاثنين ،

وهاء الغائب للمذكر وللمؤنث) ، وفيما يلي عرضٌ للربط بالضمير في أنماط جملة خبر المبتدأ .

(أ) الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر الاسمية :

من خلال الإحصاء السابق تبين أنَّ الرَّبْط بالضمير في سياق الجملة الاسمية ، كان في الخبر حالة كونه جملةً اسميةً منسوخةً بالناسخ الفعليِّ (ليس) ، وذلك في ثلاثة مواضع ، نحو قول المتنبي[١٢٦] : (من الخفيف)

وكَلامُ الوُشَاةِ لَيْس عَلَى الأَحْبَا ... بِ سُلْطانُه عَلَى الأَضْدَادِ

فقوله : (وكَلامُ الوُشَاة لَيْس عَلَى الأَحْبَاب) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ مجردةٌ من الناسخ ، جاء خبرها جملَةً اسميةً منسوخةً بالناسخ الفعليِّ (ليس) ، ولمّا كانت جملة الخبر ليست نفس المبتدأ في المعنى ، فقد لزم وجود الرَّابط ، ليتحقق اتصالها بالمبتدأ ، ومن ثَمَّ حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وهذا الرَّابط هو الضمير المضمر ، الواقع اسمًا للناسخ (ليس) ، والمطابق للمبتدأ المُعرَّف بالإضافة (كلام الوشاة) في الإفراد والتذكير ، وذلك على إعراب (سلطانه) مبتدأ ، و (على الأضداد) خبره ، واسم (ليس) الضمير المضمر ، و (على الأحباب) خبر ليس ، أو على رواية (سلطانَه) بالنَّصب أيضًا ، على أنَّها خبر (ليس) واسمها الضمير المضمر[١٢٧] فعلى الروايتين يكون الرَّابط الضمير المضمر . ومن المفيد الإشارة إلى أن البيت الذي معنا كان في سياق ذكْرِه للصُّلح بين كافور ومولاه أنوجور والذي بدأه بقوله :

حَسَمَ الصُّلْحُ ما اشْتَهَتْهُ الأَعَادِي ... وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الحُسَّادِ

والمعنى على رواية رفع (سلطانه) أنَّ كلام الوشاة إنَّما يوقع الفساد إذا كان بين الأضداد ، فأمّا بين الأحباب المتصافين ، فلا يوقع الفساد ، وعلى النَّصب يعني أنَّه ليس يتصلت على الأحباب ، بل سلطانه على الأضداد[١٢٨] . والملاحظ أنَّ عدم ظهور الضمير في البنية السطحية قد أسهم في استقامة وزن الخفيف وصحّة القافية ، وهذا ما حدث في جلِّ المواضع التي نحن بصددها[١٢٩] ، وبذلك يكون الضمير

الرَّابط قد شكّل حلقة اتصال بين المفهومين، أعني المفهوم الأول أي المبتدأ (كلام الوشاة)، والمفهوم الثاني (جمّلة الخبر)، وهو الأمر الذي أسهم في الاستمرارية في ظاهر النَّص، أي انتظام المباني النَّحويّة، ومن ثم الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص.

(ب) الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر الفعلية :

فيما سبق كان الرَّبْط بالضمير في جملة الخبر الاسمية في الكافوريات في ثلاثة مواضع، أمّا هنا فإنَّ جُلَّ الرَّبْط بالضمير في الاسمية كان عندما كان الخبر جملةً فعليةً ذات فعلٍ مضارعٍ مثبت ومنفيٍّ، مبنيٍّ للمعلوم وللمجهول، كما جاء فعلاً ماضيًا مثبتًا، ومثال الرَّبْط فيما كان الخبر فيه جملةً فعليةً ذات مضارعٍ قوله [١٣٠] : (من الطويل)

وَأَخْلاَقُ كَافُورٍ، إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ   وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

فالمتنبي في هذا البيت يقول : «إنْ كانت الهموم شغلتني عن الشعر، فإنِّي إذا شئتُ مَدْح كافور، فإنَّ أخلاقه تبعثني على مَدْحه، فأكتبه وإنْ لم أتفكر فيه» [١٣١]، وفيه نلاحظ أنَّ جملة (وأخلاق كافور . . . تُملي عليَّ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ، جاء الخبر فيها جملةً فعليةً ذات فعلٍ مضارعٍ مُثبت، وكان الرَّابط بينها وبين المبتدأ - المعرَّف بالإضافة - الضمير المستترَ (هي) في الفعل تُملي، والتقدير : تملي هي، لكن الصِّحّة النَّحويّة تمنع ظهور الرَّابط المستتر، إذ إن الفعل (تُملي) دالٌّ عليه بصيغته. والملاحظ أنَّ هذا الاستتار قد أسهم في استقامة الوزن وصحّة القافية، فالبيت من الطويل، وتقطيعه ووزنه هكذا :

و أخلا / قُكَافورن / إذا شئـ / تمدحهو   وإنْلم / أشَأتملي / علَيَّ / وأكتبو

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولُ مفاعلن

ومن خلاله يتضح استقامة التفعيلة الثانية في الشطر الثاني ؛ ومن ثَمَّ استقرار كلمة القافية برويها المراد في مكانها، وهو ما يؤكِّد على توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛ ومن ثَمَّ كان الرَّابط مُسْهِمًا في تعلُّق كلمات البيت بعضها ببعض

من أوله إلى آخره ، فكان البيت جيّد السَّبْك ، حَسَن الرصف ، وهـو ما أسهم في سبْك النَّص وحبكه أيضًا . ومثال الرَّبْط فيما كـان الخبر فيه جملةً فعليةً مُصدَّرةً بفعلٍ ماضٍ قَول المتنبي[١٣٢] : (من المتقارب) .

فَلَمَّا أَنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّمَا	حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالعُلاَ
وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا	وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ العِدى
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالعِرَاقِ	وَمَنْ بِالعَوَاصِمِ أَنِّي الفَتَى
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ	وَأَنِّي عَتَوتُ عَلَى مَنْ عَتَا

فهذه الأبيات من القصيدة رقم مائتين وتسعة وستين بشرح أبي العلاء ، يصف فيها منازل طريقه في العراق بعد رحيله من مصر مُتخفيًا ، يائسًا من كافور ، هاجيًا له ، مفتخرًا بمسيره في البادية ، وفيها يقول : لمّا نزلنا الكوفة أنخْنا إبلنا وركزْنا رماحنا فوق العزِّ والمكارم ، يعني أنَّ هذا المسير فخرٌ لنا ، عالي المحل ؛ لأنا أرغمنا به أنف كافور مع مُلكه ، ولمّا وصلنا إلى وطننا ، قبّلنا أسيافنا شكرًا لها ، ومسحنا عنها دماء الأعداء ،الذين قتلناهم بها . يقول : فعلنا هذا ، ليعلم أهل مصر ، وأهل العراق وأهل العواصم (أي سيف الدولة) أنِّي الفتى الكامل في جميع الخصال ، فعلت هذا ، ليعلم مَنْ في مصر أنِّي وفَيْت بما وعدتُ من سَيري ، وأنِّي أَبَيْت خيمة كافور ، وأنِّي قهرت كلَّ طاغٍ[١٣٣] .

هذا وفي البيت الأخير من هذه الأبيات نلاحظ أنَّ الجملة الاسمية الخبرية المثبتة المنسوخة بأنَّ في المواضع الثلاثة قد جاء الخبر فيها جملةً فعليةً مثبتةً ، ذات فعلٍ ماضٍ (أنِّي وفَيْت – أنِّي أَبَيْتُ – أني عَتَوت) . وتحقيقًا للربط بين المفهومين ، أعني مفهومَ المبتدأ (اسم أنَّ) ومفهوم جملة الخبر في المواضع الثلاثة جاء الضمير البارز (تاء الفاعل) رابطًا بين جملة الخبر واسم أنَّ ، مطابقًا إيّاه في الإفراد والتذكير ، مُسْهِمًا في إقامة المباني النَّحويّة ؛ ومن ثَمَّ تحقُّق الصِّحّة النَّحويّة ، بالإضافة إلى استقامة الوزن وصِحّة القافية ، فالبيت من المتقارب ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

وأنِّي / وفَيْت / وأنِّي / أبَيْتُ   وأنِّي / عَتوتُ / على مَنْ / عتا

فعولن فعول فعولن فعولن   فعولن فعول فعولن فعو

ومن خلال ذلك يتضح توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، وذلك من خلال ما أتاحه الضمير البارز الرَّابط ، أضف إلى ذلك إسهام الزحاف المتمثل في القبض بحذف الخامس الساكن في مجيء التركيب في (وفيت وعتوت) على الهيئة التي ورد عليها ، وهو ما سيكون لنا معه وقفةٌ – إن شاء الله – في بحث آخر .

(جـ) الرَّبْط بالضمير في جملة الشرط الواقعة خبراً :

يشير النحاة بناء على ما بين أيديهم من موروث لغويٍّ إلى أنَّ جملة الخبر كما تكون اسميةً وفعليةً وظرفيةً تكون شرطيةً أيضًا ، نحو قولنا : زيد إنْ يقم أقم معه ، «فهذه الجملة كانت من أنواع الجمل الفعلية ، وكان الأصل في الجملة الفعلية أنْ يستقل الفعل بفاعله ، نحو : قام زيد ، إلا أنَّه لمَّا دخل ههنا حرف شرط ، ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالآخر ، حتى صارتا كالجملة الواحدة ، نحو المبتدأ والخبر ، فكما أنَّ المبتدأ لا يستقل إلا بذكْر الخبر كذلك الشرط لا يستقلُّ إلا بذكْر الجزاء ، ولصيرورة الشرط والجزاء كالجَملة الواحدة جاز أنْ يعود إلى المبتدأ منهما عائدٌ واحدٌ ، نحو : زيد إنْ تكرمه يشكرك عمرو ، فالهاء في تكرمه عائدةٌ إلى زيد ، ولم يعد من الجزاء ذكْرٌ ، ولو عاد الضمير منهما جاز ، وليس بلازم ، نحو : زيد إن يقم أكرمه ، ففي يقَم ضميرٌ من زيد ، وكذلك الهاء في أكرمه ، تعود إليه أيضًا »[١٣٤] .

وقد ورد الرَّبْط بالضمير في خبر اسم الشرط في الكافوريات في ثمانية مواضع ، كان الرَّابط فيها الضمير المستتر (هو) باستثناء موضع واحد كان الرَّابط فيه ضمير الغائب للمفرد المذكر في فعل الشرط ، والضمير (هو) في جواب الشرط[١٣٥] ، وذلك نحو قوله[١٣٦] : (من الطويل)

أبَا المسْك أرجُو منْكَ نَصْراً عَلَى العدَا   وآمُلُ عِـزاً يَخْـضبُ البـيضَ بالدَّمِ

ويَـوْماً يَغيظُ الحَاسدينَ وَحَالَةً   أُقيمُ الشَّقَا فيهَا مَقَامَ التَّنعُّمِ

وَلَــمْ أرْجُ إلاَّ أهْلَ ذَاكَ وَمَــنْ يُـردْ   مَـوَاطِـرَ من غـيْـرِ السَّـحَائِب يَظْلِمِ

وذلك صدد دخول أبي الطيب على كافور ، حيث إنَّ المتنبي لمّا دخل على كافور نظر إليه ، وإلى قلّته في نفْسه ونَقْص عَقله ولُؤم كَفه ، وقُبْح فعله ، صار الدم في وجهه حتى ظهر ذَلك فيه ، فخرج ، فركب ، فأتبعه الأسود بعض القواد ، ثم عاد للأسود ، فأخبره بمرض فرسه ، فأنفد الأسود إلى المتنبي مُهراً أدهم ، فقال هذه القصيدة ، التي منها هذه الأبيات ، يمدحه ، ويذكر أسف الحمدانيين عليه[١٣٧] ، وفي هذه الأبيات يقول لكافور : « أرجو أنْ تنصرني على أعدائي حتى أتمكن منهم وأخضب من دمائهم سيوفي ، أرجو يومًا تنعم علي فيه ، فيغيظ ذلك اليوم حُسْادي ، وأرجو منك أنْ تبلغني يومًا ، أقتل فيه أعدائي ، وأغيظ فيه حُسْادي ، وأرجو حالة أقيم الشقاء فيها مقام التنعُّم : يعني يكثر فيها تعب الحرب ، ومشقة القتال ، ويكون ذلك الشقاء عندي بمنزلة التَّنَعُّم ، أُسَرُّ به كما أُسَرُّ بالنعم . إنّما رجوتك لهذا الأمر ؛ لأنّك أهلٌ له ، قادرٌ أن تبلغني ما أريده ، ولو طلبت ذلك من غيرك ، لكنت قد ظلمته ، وكلّفته ما لا يقدر عليه ، ووضعت الشيء في غير موضعه ، وأكون كمن طلب المطر من غير سحاب»[١٣٨] .

والملاحظ أنَّ البيت الثالث من هذه الأبيات قد تضمن جملةً اسميةً هي : ومَنْ يُرد مواطر من غير السحائب يَظْلم ، وفيها جاء المبتدأ اسم شرط جازم (مَن) والخبر جَملة الشرط ، «وإنما توقفت الفَائدة على الجواب من حيث التَعلُّق فقط ، لا من حيث الخبرية» [١٣٩] . ويمكن القول إنَّ جملة الخبر هي جملة الشرط والجواب ، بناء على أنَّ جملة الشرط لا تُتمُّ المعنى إلا بالجملة الجوابية[١٤٠] ، وعلى هذا يكون الفعل يظلم قد اشتمل على رابطَ أيضا يعود على المبتدأ (مَنْ) ، وهو ما حقق الاستمرارية في ظاهر النَّص بإقامة المبنّي النَّحويّ ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية المتحقِّقة في عالم النَّص ، حيث كان الرَّابط بمثابة حلقة اتصال بين اسم الشرط المبتدأ وخبره ، سواء أكان الخبر جملة الشرطَ ، أم جملة الشرط ومعها جملة الجواب .

وفي نهاية العرض للربط بالضمير في الجمل الجارية على المفردات أو بما يُسَمَّى ربط الجملة بما هي خبرٌ عنه ، وذلك في الحال والصِّفة والصِّلة والخبر ، على مدار هذا المبحث أشير إلى أنَّه من خلال هذا العرض يُلاحظ أنَّ للربط بالضمير فاعليته في مكانه ، سواءٌ أكان ذلك في ظاهر النَّص أم في عالمه ، أضف إلى ذلك أنَّه يُلاحظ تفوق الجمل الفعلية المكتنفة للضمير رابطًا على الاسمية مجردةً ومنسوخةً ، المكتنفة للضمير رابطًا ، وذلك راجعٌ إلى غاية دلالية ، يقصدها المبدع ، وهي أنَّ الاسم يقتضي الثبوت ، والفعل يقتضي التَّجدُّد والحدوث ، وليس ذلك في الكافوريات فقط ، فقد استقصى أستاذي الدكتور زين الخويسكي - الجملة الفعلية في شعر المتنبي ، ووجد أنَّها وردت في تسعة آلاف وخمسمائة وسبع مرات [١٤١] ، ويقول عبد القاهر : فمن البيِّن في ذلك قول الأعشىٰ [١٤٢] :

لَعَمْري لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثيرةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

معلومٌ أنَّه لو قيل : إلى ضوء نار متحرِّقة لَنَبَا عنه الطبع ، وأنكرته النفس ، ثم لا يكون ذاك النبو وذاك الإنكار من أجل القافية ، وأنَّها تفسد به بل من جهة أنَّه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال ، وكذلك قوله :

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظٌ قَبِيلَةٌ ... بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِم يَتَوَسَّمُ

وذاك لأنَّ المعنى في بيت الأعشى على أنَّ هناك موقدًا ، يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحالاً ، وإذا قيل مُتَحرِّقة كان المعنى أنَّ هناك نارًا قد ثبتت لها ، وفيها هذه الصفة ، وجرى مجرى أنْ يقال : إلى ضوء نار عظيمة ، في أنَّه لا يفيد فعلاً يفعل . . .» [١٤٣] . وفيما تقدَّم من عرْض ما يؤكِّد على أنَّ ثَمَّة علاقةً بين النَّحو والنَّسْج والدلالة من خلال مواضع الرَّبْط بالضَّمير في كافوريات المتنبي .

المبحث الثاني

الرَّبْط بالواو

لَمّا كان فيما تقدم الحديث عن الرَّبْط بالضمير ، متضمِّنًا الرَّبْط في الجملة الحالية ، فإنَّه من باب استكمال الموضوع أنْ نعرض للربط بالواو في الجملة الحالية دون الجملة التي هي خبرٌ المبتدأ - على سبيل المثال - فقد اكْتُفي فيها بالضمير فقط ، وقد علَّل الرَّضي ذلك بقوله «لأنَّ الحال يجيء فضلةً بعد تمام الكلام ، فاحتيج في الأكثر إلى فضَل ربط ، فصُدِّرت الجملة التي أصلها الاستقلال بما هو موضوعٌ للربط ، أعني الواو التيّ أصلها الجمع ؛ لتؤذن من أول الأمر بأنَّ الجملة لم تبقَ على الاستقلال ، وأمّا خبر المبتدأ والصلة والصفة ، فإنّها لا تجيء بالواو ؛ لأنَّ بالخبر يتم الكلام ، وبالصلة يتم جزء الكلام ، والصفة لتبعيتها للموصوف لفظًا ، وكونها لمعنى فيه معنى ، فاكتُفي في ثلاثتها بالضمير ، بلى قد تُصَدَّر الصفة والخبر بالواو ، إذا حصل لهما أدنى انفَصال ، وذلك بوقوعها بعد ﷲ إلاّ ﷲ نحو : ما حسبتك إلا وأنت بخيل ، وما جاءني رجلٌ إلا وهو فقيرٌ ، وأمَّا الصلة فلا يعرض لها مثل هذه الحال ، فلا تُرَى أبدًا مصدرة بالواو»(١٤٤) .

وقبل العرض لما ورد من الرَّبْط بالواو في كافوريات المتنبي أشير إلى أنَّ الرَّبْط بالواو في الجملة الحالَية يجب في موضعين ، أولهما الجملة الحالية بدون الضمير الرَّابط لفظًا وتقديرًا ، نحو انتظرت وما جاء الضيف ، فقد رُبطت جملة الحال بصاَحب الحال بالواو ؛ لعدم وجود الضمير ، وثانيهما الجملةَ المضارعية المثبتة المُصدَّرة بالحرف «قد» ، نحو قوله تعالى ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ﴾(١٤٥) ، فجملة (قَد تعلمون) حالٌ من واو الجَماعة في (تؤذونني) وجاءت مَربوطةً بالواو(١٤٦) ، كما أنَّ هناك مواضع تُمْتنع فيها الواو أحلْت عليها آنفا .

أمَّا عن جواز الرَّبْط بالواو ، فإنَّ ثمّة ثلاثة أقسام ، هي المضارع المنفيّ ، والماضي المثبت ، والماضي المنفيّ ، يجوز في كلِّ قسمٍ منها ثلاثة أوجه ، هي اجتماع الواو والضمير ، أو الرَّبْط بالواو وحدها أو بالضمير وحده(١٤٧) . ولَمّا كان ذلك كذلك ،

فقد استقريت كافوريات المتنبي ، ووجدت أنَّ الرَّبْط بالواو وحدها قد جاء في الجملة الاسمية دون غيرها ، وذلك في أربعة مواضع[١٤٨] ، كما يلي :

الرَّبْط بالواو في الجملة الاسمية :

جاء الرَّبْط بالواو فقط في الجملة الاسمية الحالية في أربعة مواضع ، منها ثلاثة مواضع كانت الجملة فيها مبدوءةً بمضاف إلي معرَّف بالألف واللام ، والرابع كانت مبدوءة فيه باسم علم . وعلى الرغمِ من تصريح الرَّضي بأنَّ انفراد الواو في الاسمية ، واجتماع الواوِ والضمير متقاربان في الكثرة[١٤٩] ، فإنَّ هذه المواضع الأربعة ، التي نحن بصددها تعدُّ قليلةً في كافوريات المتنبي إذا ما قورنت بمواضع اجتماع الواو والضمير في الاسمية ، كما سيأتي ، ومثال ربط الاسمية الحالية بالواو قَول المتنبي[١٥٠] : (من البسيط)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ في الأَعْرَابِ خَافِيَةٍ ... أَدْهَى - وَقَدْ رَقَدُوا - مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ الليلِ يَشْفَعُ لِي ... وأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

فالجملة الاسمية (وَسَوَادُ الليل يَشْفَعُ لي) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ حاليةٌ ، جاء المبتدأ فيها مضافًا إلى مُعرَّف بالألفِ واللاَم ، ولمّا كانت الجملة خاليةً من الضمير الرَّابط لها بالجملة السابقة (أزورهم) كان وجود الواو الرَّابطة مهمًا ؛ لأنَّ هذه الجملة أصلَها الاستقلال ، فلمّا وجدَت الواو أعلمت أنَّ الجملةَ لم تبقَ على الاستقلال ، وهذه الواو على الرغم من إطلَاق النحاة عليها معنى (إذ)[١٥١] ، فإنَّ تسميتهم لها بواو الحال «لا يخرجها عن أنْ تكون مُجْتلبةً لضَمِّ جملةٍ إلى جملة»[١٥٢] .

والمتنبي في هذين البيتين يخاطب نفسه ، قائلا : «كم مرة ذهبتَ إلى الأعراب حين رقدوا ، فزُرْتَ حبيبتكَ ، وهم لا يشعرون ، وهجمت علَيهم هجوم الذئب ، إذ اختطفتها من بينهم على وجه الاحتيال والاستخفاء ، كما يفعل الذئب لما يختطف من الغنم ، ويهجم عليه من حيث لا يشعر الراعي . . . إنَّ الظلام يسترني عند زيارتي هؤلاء الأعراب ، فكأنَّه يشفع لي إلى ما أريد ، وعند الانصراف يشهرني الصبح ، ويحول بيني وبينهما»[١٥٣] .

ولمّا كانت جملة الحال هنا محتاجةً إلى الواو حتى لا يُظَنَّ أنَّ جملة الحال منفصلةٌ عمّا قبلها ؛ فذلك لأنَّ الحال خبرٌ في الحقيقة من حيث أنَّك تثبت بها المعنى لذي الحال ، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل (١٥٤) ، فالخبر كما نصَّ عبد القاهر «ينقسم إلى خبر هو جزءٌ من الجملة لا تتم الفائدة دونه ، وخبر ليس بجزء من الجملة ، ولكنه في خبر آخر سابق له ، فالأول خبر المبتدأ . . . والثاني هو الحالُ» (١٥٥) ، هذا بالإضافة إلى أنَّ الواو في باب الحال قد جُعلت رابطة ؛ لأنَّها تدلُّ على الجملة ، والغرض اجتماع جملة الحال مع عامل صاحبها (١٥٦) ، وهو ما يُسْهِم في سَبْك البيت وحَبْكه ومن ثَمَّ النَّص .

وبناءً على ذلك فإنَّه يمكن تفسير ذلك بوضوح في بيت المتنبي بقولنا : إنَّ المتنبي أثبت زيارته للأعراب ثم استأنف خبرًا ، وابتدأ إثباتًا ثانيًا ، مضمونه سَتْرُ الظلام له عند زيارته هؤلاء الأعراب ، فكأنَّه يشفع له إلى ما يريد ، ولمّا كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى ، فجيء بالواو ، كما جيء بها في قولك : زيدٌ منطلقٌ وعمرو ذاهب ، ورأيتُ زيدًا وسيفه على كتفه (١٥٧) ، وهو ما يدلّل عليه قول عبد القاهر : «وإذا قد رأيت الجمل الواقعة حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر ، فلابدَّ من أنْ يكون ذلك إنَّما كان من أجل عِلَلٍ توجبه وأسبابٍ تقتضيه» (١٥٨) .

والجدير بالذِّكْر أنَّ هذه العلَل والأسباب ترتبط بالمعنى النَّصيّ ، الذي ترد فيه جملة الحال ، فالحال جيء بها لتَزيد معنى في الإخبار عن زيارة المتنبي للأعراب ، وهو أنْ تجعله بهذه الهيئة في زيارته ، وهي سَتْرُ الظلام له ، ولم يُجَرِّد المتنبي إثباته للزيارة ومباشرته لها ابتداءً ، بل بدأ فأثبت الزيارة ، ثم وصل بها سَتْرَ الظلام له ، فالتبس به الإثبات على سبيل التَّبَع لغيره (١٥٩) ؛ ومن ثَمَّ كانت الإشارة إلى أنَّ المعنى الثاني (جملة الحال) غير موصول بالأول (الجملة المكتنفة لصاحب الحال) في إثبات واحد ، وهو الأمر الذي يبرِّر دور هذا الرَّابط (واو الحال) في حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وذلك من حيث ارتباطه بالمعنى في كافوريات المتنبي - بناءً على استقراء المواضع

الأخرى وفَحْصها – حتى أمكن القول بأنَّ واو الحال في الجملة الاسمية الحالية قد أسهمت في تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص ، فأُقيمت المباني النَّحويّة ، ولم تبقَ الجملة على استقلالها ، كما تحققت أيضا الاستمرَارية الدلالية في عالم النَّص ، وذلك من منطلق كَون هذا الرَّابط يشكِّل حلقة اتصال بين الحال وصاحبها ، وهو الأمر الذي يُظْهر أنَّ ثَمَّة علاقةً بين النَّحو والنَّسْج والدلالة من خلال مواضع الرَّبْط بالواو في كافورَيات المتنبي ، وفيما يلي عرضٌ للربط بالواو والضمير في الجملة الحالية في الكافوريات .

المبحث الثالث

الرَّبْط بالواو والضمير

لقد اتضح لنا فيما سبق من خلال كلام النُّحاة حول الرَّبْط بالضمير أو بالواو في الجملة الحالية أنَّ اجتماع الواو والضمير في الجملة الاسمية ، وانفراد الواو متقاربان في الكثرة – وهو ما لا يؤيده الإحصاء في الكافوريات – لكن اجتماعهما أولى ، احتياطًا في الرَّبْط ، أي أنَّ اجتماعهما معًا من أجْل تقوية الرَّبْط (١٦٠) ، كما اتضح لنا أنَّ كلاًّ من المضارع المنفيّ والماضي المثبت والماضي المنفيّ يجوز فيه اجتماع الواو والضمير ، والاكتفاء بأحدهما . ولمّا كان الرَّبْط بالواو والضمير لا يكون إلا في الجملة الحالية ، ففيما يلي عرضٌ لأنماط الرَّبْط بالواو والضمير في هذه الجملة على النحو التالي :

أولاً- الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية:

لمّا كان الرَّبْط بالواو والضمير في اللغة واردًا في غير ما تجب فيه الواو أو تمتنع ، فقد ورد هذا النمط من الرَّبْط في الجملة الفعلية الحالية بما سبقها في كافوريات المتنبي في عشرة مواضع (١٦١) ، منها ستة مواضع مع الماضي المثبت المسبوق بقد ، وموضعان مع الماضي المنفيّ ، وموضعان مع المضارع المثبت بدون قد ، وذلك فيما يلي :

(أ) الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية ذات الماضي المثبت :

تقع الجملة الفعلية ذات الماضي المثبت حالاً شريطة وجود (قد) ظاهرةً أو مقدَّرةً قبل الماضي ؛ لأنه لمّا كان ظاهره مناقضة الحال ، فقد احتاج إلى (قد) المقرِّبة

له من الحال ، لفظًا أو تقديرًا ، مع ملاحظة - كما أشرت باقتضاب آنفًا في المبحث الأول - أنَّ الأخفش والكوفيين غير الفرَّاء ، ومَنْ رَجَّح مذهبهم مثل أبى حيان في البحر المحيط ، لم يوجبوا (قد) في الماضي المثبت ظاهرةً أو مقدرةً ، استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[١٦٢] وقول أبي صَخْر الهَذَلِيّ :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ العُصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

وغيرهم ، أعنى البصريين الذين أوجبوا (قد) مع الماضي المثبت[١٦٣] ؛ ولذلك نرى القرآن الكريم قد كَثُر فيه وقوع الجمل الحالية ذات الفعل الماضي ، مُصدَّرةً بقد المسبوقة بواو الحال - وإنْ كان الماضي بدون قد حالاً قد جاء في القرآن أيضًا - وذلك في ستة وثلاثين موضعًا[١٦٤] ، أمّا الفعلية ذات الماضي المُصدَّر بقد المسبوقة بالواو ، وليستْ الجملة حاليةً ، فقد ورد في مواضع قليلة[١٦٥] . ولمّا كانت جملة الحال ذات الماضي المثبت تُربط بالواو أو بالضمير أو بهما معًا ، فقد استقريت الكافوريات ووجدت أنَّ هذه الجملة قد جاءت في ستة مواضع مسبوقة بقد ، ومربوطة بالواو والضمير ، نحو قوله[١٦٦] : (من المتقارب)

بُسَيْطَةُ مَهْلاً سُقِيتِ القِطَارَا تَرَكْتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى

فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكِ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكِ المَنَارَا

فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فِيهِمْ وَجَارَا

فالمتنبي في هذه الأبيات الثلاثة يذكر ضلال غلمانه في حَذَر الأشباح ، التي لاحت لهم في البادية المسماة بُسَيْطة[١٦٧] ، فيقول : سُقيت المطر يا بُسيطة مهلاً ، فإنك حَيّرت عيون عبيدي ، فدعا لها بالسُّقيا ، ولم يدعُ عليها ؛ لكي تكفَّ عن التحيُّر ، فلو دعا عليها لزادت في التحيير ، فتلطّف لها بالدعاء والسقيا ، حيّرت عيونهم حتى ظنوا أنَّ النعام نخيلٌ ، وأنَّ الثور منار الجامع ، وفى البيت الثالث يقولَ : لمّا سمع صحابي ذلك ضحكوا حتى خافوا أنْ يسقطوا عن إبلهم ، وفيهم مَن ضحك ضحكًا معتدلاً ، وفيهم من جاوز الحد في الضحك[١٦٨] .

وفي هذا السرد لمضمون الأبيات ما يؤيد القول بأنَّ جملة (وَقَدْ قَصَدَ الضِّحْكُ فيهمْ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ ، ذات ماض مثبت ، متصرِّف ، مسبوق بقد ، وأنَّ صَاحبها كلمة (صَحْب) المضافة إلى ياء المتكلّم ، أيّ أنَّ الصَّحْبَ عندما سَمعوا ظن غلمان المتنبي في أنَّ النعام نخيلٌ وأنَّ الثور منار الجامع ، كان حالهم الضحك بين ضحك معتدل ، وضحك قد تجاوز الحد ، ويُلاحظ أنَّ هذه الجملة الحالية قد رُبطت بصاحبِ الحال عَن طريق واوِ الحال والضمير في قوله (فيهم) العائد على كلمة (صَحْبي) .

وأرى أنَّه لا يعدُّ من نافلة القول الإشارة إلى أنَّ الماضي المثبت (قصد) لمّا وجدَ معه الضمير في كلمة (فيهم) ، والذي يعود على صاحب الحال ، وكانت معه (قد) ، فإنَّ اجتماع الواو وقد - كما في هذه الصورة - أكثر من انفراد أحدهما ، وانفراد (قد) أكثر من انفراد الواو (١٦٩) . وبناءً على هذا يمكن القول إنَّ الرَّبْط بالواو هنا له دلالته المؤثرة في سَبْك وحَبْك البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص ، فلمّا أثبت إمساك الصَّحْب برحالهم ، استأنف خبرًا ، وابتدأ إثباتاً ثانيًا ، مضمونه حالة ضَحك الصَّحْب ، وبهذا يكون المعنى على استئناف الإثبات ، والإشارة إلى أنَّ المعنى الأول غير موصول بالثاني في إثبات واحد ، ولمّا كان ذلك كذلك احتيج إلى ما يربط الجملة الثانيةَ بالأولى (١٧٠) فجيءَ بواو الحال رابطةً - على الرغم من أنَّه يجوز له أنْ يقول : قد قصد الضحك فيهم ، بدون الواو ، اعتمادًا على الضمير في قوله (فيهم) - وجيء أيضًا بقَدْ قبل الماضي ؛ كي تُقرِّبه إلى الحال لمّا كان الماضي مناقضًا للحال في الظاهر .

هذا بالإضافة إلى أنَّ الضمير قد أسهم في تحقُّق مبدأ الاعتماد النَّحويّ - الذي يكتنف الوسائل التي من خلالها تتحقق الاستمرارية في ظاهر النَّص ، ومن ثم السَّبْك (١٧١) - فأشار بعَوده على كلمة (صحبي) إلى أنَّ ثمة حلقة اتصال بين جملة الحال وما سبقها ؛ ومن ثَمَّ كان وجوده مقويًا للربط ، وهو الأمر الّذي حقق الاستمرارية في ظاهر النَّص ؛ ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص ، بناء على أنَّ البيت جزءٌ من نسيج النَّص .

بقي لي أنْ أشير إلى أنّه على الرغم من جواز قَوْل الشّاعر : فأمسك صحبي بأكوارهم قد قصد الضحك فيهم وجارا ، فإنَّ هذه الواو قد أسهمت في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ بما يتيحه من وسائل ، فالبيت من المتقارب ، وتقطيعه ووزنه هكذا :

فَأَمْسَ / كَصَحْبي / بأكْوَا / رِهُمْ وَقَدْق / صَدَضْضَحْ / كُفِيهم / وجارا

فعول فعولن فعولن فعو فعول فعولن فعولن فعولن

فالعروض محذوفةٌ والضرب صحيحٌ ، وقد دخل الحشو حَذْف الخامس الساكن ، وهو ما يسمى قبضًا ، لكن ما يهمُّنا أنَّ واو الحال قد أسهمت في تحقُّق التفعيلة (فعولُ) في عجز البيت ، ممّا أدى إلى استقامة الوزن ، وصحّة القافية برَوِيِّها المراد .

ومثال ذلك أيضا في الكافوريات قوله(١٧٢) : (من البسيط)

وكَيْفَ أَجْحَدُ يا كَافُورُ نِعْمَتَها وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبي ؟!

وفيه نلاحظ أنَّ جملة (وَقَدْ بَلَغْنَكَ) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ ، ذات فعل ماض مثبت ، مسبوق بقد ، وقد رُبطت بصاحبها (الهاء في كلمة نعْمتها) بالواو والضمير (نون النسوة) في الفعل (بلَغ) . والجدير بالذِّكر أنَّ الهاء في (نَعمتها) عائدةٌ على الخيل المذكورة في البيت السادس والثلاثين في هذه القصيدة ، حيث شكّلت (الخيل) مرتكزًا ضوئيًا عاد عليه كثيرٌ من الضمائر ، وذلك في قوله(١٧٣) :

وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا في السَّوابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ

فالمتنبي في هذا البيت يقول : «كان أنفع مال وجدته وجمعته ما في الخيل السوابق من الجَرْي والتقريب ، جعل الجَرْي والتقريب مالاً ، لمّا وصل بهما إلى المال ، لاتصاله بالممدوح»(١٧٤) . وقد جرى ذكْر السوابق فيما بعد في القصيدة عن طريق الضمائر العائدة عليها ، ومنها الهاء في (نعْمتها) ، وعلى ذلك فالمتنبي في البيت موضع الجملة الحالية يقول : «وكيف أجحَد نعَم هذه الخيل السوابق ! وهي التي بلغتني إليك ، وأنت مأمولي وغاية كل مطلوبي»(١٧٥) .

وممّا لا شك فيه أنَّ وجود الضمير العائد في هذه الجملة الحالية قد جعل وجود (قد) والواو وجوداً جائزاً[176]، حيث يجوز له أنْ يقول : وكيف أجحد يا كافور نعْمتها، بلغنك بي يا كل مطلوبي، لكن وجود كلٍّ من الواو، و(قد) مع الضمير العائد، قد جعل الرَّبْط أكثر فاعليّة، وأعطى الجملة معنى لا نجده بدونها، وذلك ناتجٌ عن أنَّ الواو قد أفادت إثبات عدَم جحود المتنبي نعَمَ هذه الخيول السوابق، ثم استأنف إثباتًا آخر، مخبراً بأنَّها هي التي بلّغته كافوراً، هذا بالإضافة إلى معنى (قد) الدالة على التحقيق، الذي لا مجال للشك فيه، أضف إلى ذلك أنَّ وجود الواو و(قد) أسهم في تحقيق تفعيلة البسيط (وقَدْ بَلَغْ = مُتَفْعلن) ؛ ومن ثَمَّ استقام الوزن وصَحّت القافية، وفي كل ذلك ما يعين على حُسْن السَّبْك والحَبْك .

(ب) الرَّبْط بالواو والضمير في الحالية ذات الماضي المنفى :

ورد الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية ذات الماضي المنفيّ في الكافوريات في موضعين، نحو قوله[177] : (من البسيط)

مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ العِشْقِ أَنَّهُمُ   هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنيا ولا فَطِنُوا

أي أنَّ «أهل العشق اغترُّوا بظواهر الدنيا، فاغترُّوا بحُسْن الخَلْق، وأحبُّوا مَنْ هو حَسَن الوجه، ولم يعتبروا قُبْح أفعاله، ولم يَنْظروا إلى حوادث الزمان وأحوال الدهر، فأخّر ذكرهم»[178]، وذلك في مقدمة قصيدته التي قالها بمناسبة علْمه بأنَّ قومًا نَعَوه في مجلس سيف الدولة بحلب[179] . وفي هذا البيت نلاحظ أنَّ جملةً (وَمَا عَرَفُوا الدُّنيا) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ منفيّةٌ بحرف النفي (ما)، نمطها :

واو الحال+ ما+ فعل + فاعل+ مفعول

وقد جاءت حالاً من الضمير في (هَووا) الذي يعود على أهل العشق، مبيّنةً أنَّ حالهم وقت حبهم مَنْ هو حَسَن الوجه، هو عدم النظر إلى حوادث الزمان وأحوال الدهر، وقد رُبطت هذه الجملة بصاحبها بواسطة واو الحال، والضمير (واو الجماعة) في (عرفوا)، حيث إنَّ جملة الحال - كما تقدم - إذا كانت ذات فعلٍ

ماض منفيٌّ جاز فيها الواو مع الضمير أو الواو وحدها أو الضمير وحْدَه ، لكن اجتماعَهما هنا قوّى الرَّبْط ؛ ومن ثَمَّ الإسهام في تحقُّق الاستمرارية في ظاهر النَّص وفي عالمه .

(جـ) الرَّبْط بالواو والضمير في الحالية ذات المضارع المثبت :

ورد الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الفعلية الحالية ذات المضارع المثبت في موضعين اثنين أيضًا ، نحو قوله(١٨٠) : (من الوافر)

عَجِبْتُ لِمَنْ له قَدٌّ وَحَدٌّ ... وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِم الكَهَام

أي أنَّه يقول : «عجبتُ مِمّن له صورة الرجل الكامل ، وآلةٌ تبلّغه إلى معالي الأمور ، فلم يبلغ إليها ، وينبو كالسيف الكليل»(١٨١) ، وذلك في قصيدته التي يصف فيها الحُمّى ، ويهجو كافوراً(١٨٢) ، ومن خلال هذا البيت يُلاحظ أنَّ قوله (وَيَنْبُو نَبْوَةَ القَضِم الكَهَام) جملةٌ فعليةٌ خبريةٌ حاليةٌ ذات مضارع مثبت ، نمطها :

واو الحال+ فعل مضارع+ فاعل مستتر+ مفعول مطلق + مضاف إليه + نعت

أي أنَّ الجملة حالٌ من الاسم الموصول (مَنْ) المُوضَّح بصلته ، والذي يعنى الرجل الكامل ، وهذه الجملة توضِّح أنَّ المتنبي يتعجب من الرجل الكامل حالة كونه ينبو كالسيف الكليل على الرغم من كماله . وعلى الرغم من أنَّ بعض النحاة يشيرون إلى أنَّ المضارع المثبت المجرد من (قد) ، و (إذَنْ) لا تجوز معه الواو(١٨٣) ، نحو قوله تعالى : ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١٨٤) وقول الحطيئة :

متى تأته ، تَعْشُو إلى ضوء نَاره ... تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِد

على الرغم من ذلك ، فإنَّ جملة (ينبو) في قول المتنبي جاءت بالواو ؛ لإفادة الرَّبْط في المعنى ، والإشارة إلى أنَّ المعنى على استئناف الإثبات في الجملة الأولى ؛ ومن ثَمَّ الاتصال بينهما ، وليس هذا على سبيل القطع ، فالجملة ليست استئنافيةً ، ولا هي خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديره : وهو ينبو ، فالضمير المستتر في الفعل (ينبو) يعود على (مَنْ) مراعاةً للّفظ - وهو ما جعل الرَّبْط أشدَّ من الواو

وحْدَها – ولا حاجة لتقدير مبتدأ ، وذلك لأنَّ مالا يحتاج إلى تقدير أولى ممّا يحتاج إلى تقدير . هذا بالإضافة إلى أنَّ وجود الواو هنا له علاقةٌ بالنَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من الوافر ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

عَجبْتُ لِمَنْ / لَهُو قَدّن / وحدّن وَيَنْبُو نَبْ / وَتَلْقَصِمِلْ / كَهَامِي

مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلْتُن فعولن مُفَاعَلْتُن مُفَاعَلْتُن مُفَاعَلَتُن فعولن

ومن خلال ذلك يتضح لنا أنَّ الإتيان بواو الحال على النحو الذي بُيِّن قد مكّن الشَّاعر من تحقُّق التفعيلة الأولى المعصوبة في الشطر الثاني (مُفَاعَلْتُن) بتسكين الخامس المتحرك ؛ ومن ثَمَّ استقامة الوزن وصحّة القافية في مكانها برَوِيِّها المراد ، وفيما سبق ما يشير إلى التماسك على مستوى البيت ، ومن ثَمَّ النَّص ، أي الاستمرارية في ظاهر النَّص ، ومن ثَمَّ الاستمرارية الدلالية في عالم النَّص .

ثانياً - الرَّبْط بالواو والضمير في الجملة الاسمية الحالية :

جاءت الجملة الاسمية الحالية المربوطة بالواو والضمير في كافوريات المتنبي متخذةً ثلاثة أنماط ، الأول بعد (إلاّ) ، والثاني مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، والثالث بدون (إلاّ) ، وليستْ مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، لكن تقدم فيها الخبر على المبتدأ في بعض المواضع ، وكلُّ ذلك في أربعةٍ وعشرين موضعًا[١٨٥] ، على النحو التالي :

النمط الأول :

ينحصر هذا النمط في مجيء الجملة الاسمية الحالية بعد إلاّ ، وقد جاء في أربعة مواضع ، تقدم فيها الخبر على المبتدأ في موضعين منها ، نحو قوله[١٨٦] : (من الطويل)

وَمَا رغبتي في عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ... وَلَكِنَّها في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ

يَجُودُ به مَنْ يَفْضَحُ الجُودَ جُودُهُ ... وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الحَمْدَ حَمْدُهُ

فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ... وَقَابَلْتَهُ إلاّ وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

وفيها يقول المتنبي في نهاية مَدْحه لكافور واستنجاز وعْده في إحدى القصائد : ليست رغبتى في المال ، ولكن رَغبتي في استفادة الفَخْر واستجداد الشرف ، يجود بهذا الفخر مَنْ جوده يفضح كلَّ جود ، يعنى كافوراً ، ويحمده على هذا الجود مَنْ حَمْده يفضح كلَّ حَمْد ، يعنى نفسَه ، أنت أجود الملوكِ وأنا أبلغ الشُّعراء وأفصحهم ، وفي البيت الأخيرِ يقول : لو أنَّ كوكبًا من الكواكب أصابه نحسٌ ، وقابلتَه أنت لسعد ذلك النَّجم بسعادتك ، وخرج النَّحس من غير أنْ يؤثِّر فيه بنحوسته ، يعنى أنَّ مَن أتاك سّعد بقُرْبك ، وظهر عليه إقبالك ، فيرجع غنيًا مسروراً[١٨٧] . وفى البيت الأخير من هذه الأبيات نلاحظ أنَّ جملة (وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ) جملةٌ اسميةٌ خبريةٌ مثبتةٌ حاليّةٌ من ضمير المخاطب في (قابلته) ، مربوطةٌ بصاحب الحال - تاء الفاعل في قابلته - بالواو والضمير المضاف إليه المبتدأ (وجه) ، وقد جاءت بعد (إلاّ) الاستثنائية ، التي تفيد الإيجاب . ولمّا كان ذلك كذلك ، فإنّه يمكن الإشارة إلى أنَّ الضمير هنا واجبٌ والواو جائزةٌ[١٨٨] ، لكن اجتماع الواو والضمير أكثر من الورود بالضمير فقط ، وهذا ما يؤيده الإحصاء على مدار البحث ، وما يؤيده أيضًا القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾[١٨٩] .

لكن مجيء الواو هنا فيما نحن بصدده من تحليلٍ لا يخلو من فائدة كما يرى عبد القاهر على نحو مّا تقدم ، فلمّا كان الحال خبراً في الحقيقة ، وجيءَ به لإثبات معنى لصاحب الحال كما نثبته لخبر المبتدأ ، مع ملاحظة أنَّ الحال جيء به لزيادة المعنى في الإخبار عن صاحب الحال بالهيئة الوارد بها ، فإنَّ المعنى بالواو هنا على إثبات المعنى الأول ، وهو مُرور كوكب من الكواكب ، أصابه نَحْسٌ ، قد قابله كافور ، ثم استئناف إثبات المعنى الثاني ، وهو سعادة ذلك النجم بوجه كافور ، وقد جيء به أيضًا بعد (إلاّ) الاستثنائية التي تفيد الإيجاب لإفادة هذا الأمر ، وعدم نفيه ، ثم كان الضمير العائد على صاحب الحال في (وجهك) لزيادة تمكين الرَّبْط ؛ ومن ثم حُسْن السَّبْك والحَبْك .

ولا يخفى علينا أيضًا أنَّ وجود الواو قد أسهم في توافُق النظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ فتحققت التفعيلة الثالثة من عجز البيت (ووجه = فَعُولُ) ؛ ومن ثَمَّ استقام الوزن ، وصَحّت القافية ، وهو ما أسهم فيه أيضًا التركيب الذي جاءت عليه الجملة الحالية ، فلو قال : وسعده وجهك ، لَمَا استقام الوزن ولَمَا صحّت القافية . ولا يعدُّ من نافلة القول الإشارة إلى أنَّ هذه الجملة الحالية قد جاءت بهذا الترتيب على الرغم من جواز الترتيب المعتاد ؛ وذلك لانتفاء اللَّبس في هذه الحالة ، والدلالة على تمكين الحُكم المستفاد من الخبر للمبتدأ أو تقويته ، أي أنَّه يقرِّر ويقوِّى أنَّ سعد الكوكب يكمُن في رؤية وجه كافور ، المحكوم عليه بالسَّعْد المستفاد من الخبر .

النمط الثاني :

نأتي إلى النمط الثاني ، وهو الجملة الحالية ، التي جاء فيها المبتدأ ضميراً لصاحب الحال ، فأشير إلى أنَّ هذا النمط جاء في اثني عشر موضعًا ، نحو قوله (١٩٠) :

(من البسيط)

إنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ ولاَ أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ

وفي هذا البيت يقول المتنبي : «أحلمُ مادام الحلم منِّي منسوبًا إلى الكرم ، فأمّا إذا كان منسوبًا إلى الذُّلِّ والجُبن لم أصبر عليه» (١٩١) . ويلاحظ أنَّ بالبيت جملتين اسميتين مثبتتين حاليتين ، هما جملة (وَهْو بي كَرَمٌ) حيث جاءت حالاً من المفعول به (حِلْمي) في صدر البيت ، وجملة (وَهْوَ بي جُبُنُ) حيث جاءت حالاً من المفعول به (حِلْمي) في عجُز البيت ، وذلك في قصيدته ، التي قالها - كما أشرنا من قبل - بمناسبَة علْمه أنَّ قومًا نَعَوه في مجلس سيف الدولة بحلب ، ولم ينشدها كافوراً .

وقد لوحظ أنَّ كلتا الجملتين جاءت مربوطةً بصاحبها بالواو والضمير (هو) ، ولَمّا كانت كلتاهما مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، فقد وجبت الواو ، حيث إنَّه إذا «كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال ، لم يصلح بغير الواو البتة ، وذلك كقولك : جاءني زيدٌ وهو راكبٌ ، ورأيت زيداً وهو جالسٌ . . . فلو تركت الواو في شيء من ذلك لم يصلح ، فلو قلت : جاءني زيدٌ هو راكبٌ . . . لم يكن كلامًا» (١٩٢) .

وفي كلتا الجملتين الحاليتين نلاحظ أنَّ وجود الواو رابطةً قد أفاد إثبات المعنى الأول وهو اتصافه بالحلم أو عدم صَبْره عليه ، ثم استئناف إثبات المعنى الثاني ، وهو صَبْره على الحلم حالة كونه منسوبًا إلى الكرم ، وعدم صبره عليه حالة كونه منسوبًا إلى الجُبن والذُّلِّ ، كما أنَّ الضمير مكّن الرَّبْط وقوّاه بكونه حلقة وصْل بين المفاهيم في البيت ، أعني بين الحلم في صدر البيت وعجزه ، وبين جملة الحال المُبيِّنة لهيئة الحلم في الصدر والعجُز أيضًا ، فتحقَّق السَّبْك في ظاهر النَّص ؛ ومن ثَمَّ الحَبْك في عالمه .

وليس هذا فحسب ، فممّا لا شك فيه أنَّ وجود الواو في الموضعين قد مكّن النظام النَّحويّ من التوافق مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من البسيط ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

إنِّي أُصَا/ حِبُحِلْ/ مِي وهْوَبي / كَرَمُو وَلاَأُصَا / حِبُحِلْ/ مِي وَهْوَبي / جُبُنُو

مستفعلن فَعِلُن مستفعلن فَعِلُن مُتَفْعِلُن فَعِلُن مستفعلن فَعِلُن

ومن خلاله يتضح أنَّ العروض صحيحةٌ مخبونةٌ وكذلك الضرب ، وأنَّ الواو في الموضعين قد أدت إلى تحقُّق (مستفعلن) قبل العروض وقبل التفعيلة الأخيرة في عجُز البيت حيث إنّها أفادت تحقُّق الحركة من السبب الخفيف الثاني ، ومكّنت الشَّاعر من تسكين الهاء في قوله (وهْوَ) ؛ ومن ثَمَّ تحقَّق ساكن السبب الخفيف الثاني ، وهو ما أدى إلى استقامة الوزن وصحّة القافية ؛ ومن ثم تآزُر النِّظام النَّحويّ مع النَّسْج الشِّعْريّ ، وهو ما حدث في كلِّ مواضع هذا النمط ، وفي كلِّ ذلك ما يسهم في حُسْن السَّبْك والحَبْك .

النمط الثالث :

أمّا عن النمط الثالث للربط بالواو والضمير في الجملة الاسمية الحالية في الكافوريات ، فهو أنَّ هذه الجملة ليست بعد (إلاّ) ، وليست مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، وقد جاء هذا النمط في صورتين ، الأولى تقدَّم فيها الخبر (الظرف) جارًا

ومجروراً وظرف مكان ، أمّا الصورة الثانية ، ففيها جاء المبتدأ في موضعه مضافًا إليه ضمير صاحب الحال ، أو غير مضاف إليه ، لكنَّ الخبر يشتمل على هذا الضمير بالإضافة إلى واو الحال المتصدِّرة هذه الجملة ، وذلك في سبعة مواضع ، نحو قوله[١٩٣] (من الطويل)

أَبَى خُلُقُ الدُّنيا حَبِيبًا تُدِيمُهُ ... فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ

وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّرًا ... تَكَلُّفُ شَيءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ

رَعَى اللهُ عِيسًا فَارَقَتْنَا وَفَوْقَهَا ... مَهًا كُلُّهَا يُولَى بِجَفْنَيْهِ خَدُّهُ

في هذه الأبيات يقول المتنبي : «كيف ترد عليك الأيّام حبيبك ، الذي فارقك؟ وهي لا تترك عليك حبيبك الذي هو معك ! إن الدُّنيا مطبوعةٌ على التغير والتنقُّل ، وإذا ساعدت بقرب حبيب ، لم تلبث أنْ تفرِّق بيننا وبينه ! وترجع إلى عادتها ، التي جُبلت عليها ، فأسرع شيءٍ انتقالا وأقربه زوالاً هو تكلُّف ما في طَبْعه خلافه . . . حفظَ الله عيسًا ، فارقتنا وفوقَهن نساءٌ يبكين لفراقنا ، فتجري دموعهن على خدودهن مرةً بعدَ مرة ، فكأنَّ خدَّ كلٍّ واحدة منهن يسقي وليًا بعد وسْميٍّ من سحابة جفْنَيْها ، تأسُّفًا على الفراق»[١٩٤] ، وذلكَ في سياق مَدْحه لكافور - كما أشرت مَن قبل - واستنجاز وعْده .

وما يهمُّنا في هذا الموضع أنَّ الشَّاعر قد أتى في البيت الأخير بجملة اسمية حاليّة ، هي قوله : (وَفَوْقَهَا مَهًا) ، وهي حالٌ من الضمير المستتر في (فارقتناً) العائدَ على (العيْس) ، مبيِّنةً أنَّ العيس وقت فراقها كانت حالة كون النساء فوقها ، يبكين ، يتَّصفن بجريان الدموع على الخدود مرةً بعد مرة . وقد رُبطت هذه الجملة بصاحبها بالضمير في (فوقها) المطابق لصاحبه ، بالإضافة إلى واو الحال أيضًا ، على الرغم من أنَّه يجوز الاكتفاء هنا بالضمير[١٩٥] ، حيث إنَّها ليست بعد إلاَّ وليست مُصدَّرةً بضمير صاحبها ، فيجوز له أنْ يقول : رعى الله عيسا فارقتنا فوقها مها ، غير أنَّ الشَّاعر أراد أنْ يكون لكلٍّ من الواو والضمير دورٌ في حُسْن السَّبْك والحَبْك في البيت ؛ ومن ثَمَّ النَّص .

والملاحظ أنَّ الخبر (فوقها) قد تقدم على المبتدأ (مها) جوازًا (١٩٦) ؛ لكون المبتدأ النكرة قد خُصِّص بوصف مخصِّص ، حيث إنَّ البنية الأساسية للجملة هي : وَمَهًا كُلُّها يُولَى بجَفْنَيه خَدُّهُ فَوْقَهَا ، فالمبتدأ النكرة نُعت بجملة (كلُّها يُولَي بجَفْنيه خدُّه) ، والتي سوَّغت الابتداء بهذه النكرة ، وبذلك يكون قد دخلها عنصر تحويل بتقديم الخبر (شبه الجملة) لغرض دلاليٍّ ، وهو أنَّ الشَّاعر يريد التحديد المكانيَّ لوجود النساء بالنسبة للعيس ، بالإضافة إلى التخصيص ، حيث إنَّ «حروف الجر وأسماء الشرط وحروف العطف وأسماء الاستفهام ، يستعين بها العقل لإفادة بعض العلاقات المنطقية ، كفكرة الكمِّ و الزَّمان والمكان وغير ذلك»[١٩٧] . فلمّا كان في كلام العرب الشعر المقفّى والكلام المسجوع ، «وهما في حاجة إلى لون من التصرُّف في القول بحكم الصنعة مع الدلالة في الوقت نفسه على ضروب أُخر من المعاني لا يفيدها الترتيب المألوف»[١٩٨] ، فقد اشترك إحكام الصنعة - من أجل حُسْن السَّبْك والحَبْك - مع الدلالة على المعنى المُشار إليه آنفًا في الترتيب على النحو الذي وردت به الجملة ، وبيان ذلك أنَّ البيت بهذا الترتيب قد تحققت فيه العروض (وفوقها = مفاعلن) ، وهو ما لا يمكن تحقيقه إذا جاء بالترتيب الأساسيّ للجملة ، وهو ما يمكن القول معه إنَّ النِّظام النَّحويّ بجواز التقديم هذا ووجود واو الحال والضمير قد توافَق مع النَّسْج الشِّعْريّ ؛ ومن ثَمَّ بدا دور كلٍّ ذلك في السَّبْك والحَبْك واضحًا .

وبعد هذا العرض أرى أنَّه من المفيد بمكان الإشارة إلى أنَّ وجود واو الحال هنا في جملة (وفوقها مَهًا) وفي بقية المواضع [١٩٩] في الكافوريات لا يتوافق مع ما قاله القاهر ، إذ يقول : « فإنْ كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفًا ، ثم كان قد قُدِّم على المبتدأ ، كقولنا ، عليه سيف ، و «في يده سوط» ، كَثُر فيها أن تجيء بغير واو» [٢٠٠] ؛ وذلك لأنَّ المواضع المشار إليها قد جاءت بالواو للغرض الدلاليّ المُشار إليه آنفا على مدار التحليل ، حتى حَسُن السَّبْك والحَبْك على الصورة التي وردت بها الكافوريات .

وعلى الرغم من أنَّ عبد القاهر قد أشار إلى أنَّ تَرْكَ الواو ربما يجيء - وهذا مستفادٌ من قوله (قد) و (لا يكثر) - فيما ليس الخبر فيه متقدِّمًا على المبتدأ ، وذلك في قوله : «وقد يجيء تَرْكُ الواو فيما ليس الخبر فيه كذلك ، ولكنه لا يكثر ، فمن ذلك قولهم : «كلَّمته فوه إلى فيْ» و «رجع عودُه على بدئه» في قول مَنْ رفع»[٢٠١] ، على الرغم من ذلك ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ بقية المواضع[٢٠٢] والخاصة بالصورة الثانية من هذا النمط قد وردت بالواو ، وهو ما يدلُّ على أهميتها في المعنى بالنسبة للشَّاعر ، ودورها في السَّبْك والحَبْك ، أي في إحكام البنية وتماسكها ، حيث إنَّ «الشعراء - وخاصة المجيدين منهم - لا يُقْدمون على شيءٍ دون أنْ تكون له دلالةٌ خاصة»[٢٠٣] ، وذلك نحو قوله[٢٠٤] : (من الخَفيف)

هَـذه دَوْلَـةُ المَكَارِمِ والـرَّأْ ... فَـةِ وَالمَجْـدِ والنَّدَى والأيَـادِي
كَسَفَتْ سَاعَةً كما تَكْسِفُ الشَّمْـ ... سُ وَعَـادَتْ وَنُورُها فِي ازْدِيَـادِ

فهذان البيتان من قصيدة المتنبي ، التي أنشدها بمناسبة الوَحْشة التي جرت بين كافور ومولاه ، لمَّا شَعُر (أنوجور) مولى كافور أنَّه جاوز سنَّ الرُّشد ، وبأنَّه من حقِّه أنْ يقبض على أزمة الحُكم ، وزيّن له بعض المتصلين به أنْ يتنكر لكافور ، فأنكر كافور ذلك عليه ، وطالبه بتسليمهم إليه ، فجرت بينهما وَحْشة أيَّامًا ، ثم سلَّمهم إليه ، فقتلهم ، واصطلحا ، فطولب أبو الطيب بأنْ يذكر الصُّلح[٢٠٥] ، فقال هذه القصيدة ، مبتدئًا إيّاها بقوله :

حَسَمَ الصُّلحُ ما اشْتَهَتْهُ الأعَادِي ... وَأذَاعَتْـهُ ألْسُنُ الحُسَّـادِ

وذلك إلى أنْ يأتي للبيتين اللذين معنا ، وفيهما يخاطب كافوراً ومولاه ، قائلاً : دولتكما دولة هذه الأشياء (المكارم المتقدم ذكرها في الأبيات السابقة على هذين البيتين) ، فإذا وقع في هذه الدولة خللٌ اختلت هذه الأشياء ، وإذا سَلِمت ، سَلِمَتْ هذه الأمور . وهذه الدولة كسفت ساعةً لمخالفتكما كما تَكْسِف الشَّمسَ ، ثم زالَ الكُسُوف عنها فعاد نورها ، وزاد على ما كان من قبل[٢٠٦] .

ولمّا كان المعنى كذلك ، فبناءً عليه يمكن الإشارة إلى أنَّ البيت الثاني قد اكتنف جملة (ونُورُها في ازْديَاد) ، وهي جملةٌ خبريةٌ مثبتةٌ حاليّةٌ من الضمير في (عادت) ، العائدَ على الشَمس ؛ أي أنَّ الكسوف لمّا زال عن الدولة كما يزول عن الشَّمس ، عادت هذه الدولة إلى أوج ازدهارها ، وحالتها ازديادٌ للنور على ما كان علي . وقد لوحظ على هذه الجملة أنَّ الخبر ليس مقدَّمًا على المبتدأ ، وليس ظرفًا ، وليس المبتدأ ضمير صاحب الحال ، لكنَّه مضافٌ إلى ضمير صاحب الحال ، وهو ما سوَّغ الابتداء بالنكرة ؛ ولذلك فإنَّ الواو فيه ليست بواجبة ، بل جائزة ، فيجوز له أنْ يقول : وعادت نورها في ازدياد ، لكنه آثر المجيء بالواوَ لغرض دلاليٍّ ، ولفَضْل تعلُّق بالبلاغة . على حد قول عبد القاهر[٢٠٧] - وهو أنَّه أراد أنْ يستأنف بجملة الحال خبرًا ، غير قاصد إلى أنْ يضمها إلى الفعل قبلها في الإثبات ، ممّا يدلُّ على أنَّ نور هذه الدولة موجودٌ ، لا يغيب ، على الرغم من الخلاف بين كافور ومولاه ، ولكنه (النور) ازداد لمّا زالت أسباب الخلاف ، وتصالحا ، فلمّا كان المعنى على استئناف إثبات هذا المعنى ، احتيج إلى ما يربط جملة الحال بالجملة قبلها ، المكتنفة لصاحب الحال .

ولم يقتصر الأمر على وجود الواو مع الضمير جوازًا في هذه المواضع ، بل جاءت في بقية المواضع[٢٠٨] لغرض دلاليٍّ ، يتصل بقَصْدية حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وهو الأمر الذي يؤكِّد على أنَّ «الأسلوب في القصيدة يعتمد على مبدأ الاختيار ، فأعراف اللغة تضع أمام المبدع جملةً من الاحتمالات لقول الشيء نفسه بطريقة صحيحة ، وعليه أنْ ينتقي من هذه الاحتمالات أوفرها دقةً ، وأكثرها مواءمةً للسياقَ ، ولبنيةً العمل ككل ، وفي هذه المواءمة كثيرًا ما ينتقل باللغة الشِّعْريّة من مستوى الصحّة ، الذي تفرضه الأعراف اللغوية إلى مستوى الجمال ، الذي يفترضه الأسلوب الأدبيّ ، كما أنَّ في مبدأ الاختيار ، الذي يعتمد عليه ما يمنح دارس العمل الشِّعْريّ مساحةً عريضةً ، يتحرك فيها لكي يحدِّثنا عن سرِّ هذا الاختيار وطبيعته ووظيفته»[٢٠٩] .

وها نحن تناولنا سرَّ هذا الاختيار وطبيعته ووظيفته ، وفي إطار ذلك أشير أيضًا إلى إسهام هذه الواو كسابقتها على مدار البحث - في تمكين النظام النَّحويّ من توافُقه مع النَّسْج الشِّعْريّ ، فالبيت من الخفيف ، ووزنه وتقطيعه هكذا :

كَسَفَتْ سَا / عَتَنْكَمَا / تَكْسِفُشْشَمْ   سُوعَادَت / ونُورُهَا / فِزْديادي

فَعِلاتن   مُتَفْعِلُن   فاعلاتن   فَعِلاتن   مُتَفْعِلن   فاعلاتن

وهو ما يتضح من خلاله أنَّ وجود الواو قد أدّى إلى تحقُّق (متفعلن) المخبونة في عجُز البيت ؛ ومن ثَمَّ استقام الوزن ، وصَحّت القافية ، وهذا من مقتضيات لغة الشعر والمعنى النَّصي للقصيدة ، فالوزن والقافية - كما أشرنا آنفًا - جزءٌ من إنتاج هذا المعنى ، وليس لمجرد كون القصيدة عمودية فقط ، وهو الأمر الذي يؤكِّد على دور الرَّبْط بالواو والضمير ، مجتمعين أو منفردين في حُسْن السَّبْك والحَبْك ؛ ومن ثَمَّ الإفصاح عن العلاقة بين النَّحو والنَّسْج والدلالة في كافوريات المتنبي .

الخاتمة:

على الرغم من أنَّ البحث بصورته الكائنة - بما استلزم من جهد ملموس يلحظه القارئ الكريم - يعدُّ نتيجةً في حد ذاته ، وذلك في رأيي المتواضع ، فإنِّي سأعرض لأهم نتائجه ، مجملاً إيّاها في إيجاز ، تاركًا التفاصيل لثنايا البحث ، وذلك فيما يلي :

- لمّا كانت دراسة الرَّبْط عند القدماء عن بعض الإشارات المبثوثة في ثنايا الأبواب النحوية ، دون التنظير له في جزء مستقل ، فإنَّ ذلك لا ينفي أنَّهم قد أدركوا قيمته أو لم يقفوا على أهميته باعتباره عنصراً من عناصر التماسك بين أجزاء الجملة ؛ ومن ثَمَّ السَّبْك في ظاهر النَّص ، والحَبْك في عالمه ، وإلاَّ لما وضعوا شروطًا لجملة الحال والصفة والموصول والخبر ، ومن بينها الاشتمال على رابط ، ومن بين الرَّوابط الضمير العائد ، والواو في جملة الحال ، سواءٌ أكانت بمفردها أم معها الضمير ، ولَمّا فصّلوا فيما يجب وما يجوز وما يُمْتنع فيه الرَّبْط .

- في إطار بحث الرَّبْط بالضمير في الجمل بما هي خبرٌ عنه من حيث الرَّبْط والإحالة ، باعتبار أنَّ الضمير عنصرٌ إحاليٌّ تبين أنَّه عامل تهذيب في اللغة وداعية ثراء وافتنان في التعبير ، وعونٌ على الإيجاز ، وإقامة المباني النحوية أو ما يُسمى بالاعتمادً النحويً ؛ ومن ثَمَّ الإسهام في تآزُر النظام النحوي مع النَّسْج الشعريّ في الكافوريات .

- لوحظ كثرة الرَّبْط بالضمير في الكافوريات ، وتفوُّقه على غيره من الرَّوابط اللفظية ، وبخاصة الرَّبْط بالضمير المستتر ، وذلك مرجعه اعتماد المتنبي في لغته علَى الإيحاء ، وتبيّن أنَّ كون الرَّابط ضميراً مستتراً تقديره (هو) أو (أنا) أو (هي) أو (أنت) وغير ذلك مرتبطٌ بسياق الحديث الذي يتناوله المتنبي ، فعلى سبيل المثال عندما يكون الحديث عن نفسه مصوِّراً وجدانياته من حيث ثقته بنفسه وإثبات ذاته وإبائه وسمو همّته ، وبثِّ العبرة والحكْمة من تجاربه - أو جماعة المتكلمين ، فإنَّه يعبِّر بالفعل المضارع ؛ ومن ثَمَّ يكونَ الرَّابط الضمير المستتر (أنا) أو (نحن) أو (هو) أو (هي) ، وعندما يدور سياق الكلام حول مخاطبة الشاعر لمخاطَب ما ، قد يكون كافوراً أو فاتكًا أو غيرهما ، فإنَّ الرَّابط يكون تاء الفاعل للمخاطَب أو الضمير المستتر (أنت) . . . إلخ ، وهو ما ترتب عليه الاتصال بين المفاهيم في النَّص ، أعني مفهوم الجملة المكتنفة للرَّابط وما يعود عليه .

- تبين أنَّ الجملة الحالية المكتنفة للرابط في الكافوريات جاءت متوافقةً مع ما قعّده النحاة ، فكانت خبريةً غير تعجُّبيّة ، مجردةً ممّا يدلُّ على الاستقبال ، نحو السين وسوف ولن ، مخصِّصةً لوقوع مضّمون عاملها بوقت مضمون الحال . ولمّا كانت الجملة كلامًا مستقلاً بنفسه مفيداً لمعناه ، كان لابدَّ في الجملة الحالية ممّا يعلّقها ، ويربطها بما قبلها ، لئلا يُتوهم أنَّها مستأنفةٌ ؛ ومن ثَمَّ كان الضمير رابطًا في قسمٍ كبيرٍ من الجمل الحالية ، وأصبحت جملة الحال جزءاً غير إسناديٍّ من أجزاء جملتها .

- جاء الرَّبْط بالضمير فقط ، أي بدون الواو في الجملة الفعلية الحالية ذات المضارع المثبت ، غير المسبوق بقد ؛ وذلك لأنَّ المضارع على وزن اسم الفاعل لفظًا وبتقديره معنى ، وهو ما انسحب على الفعلية ذات المضارع المنفي بحرف النفي (لا)

- وهو ما ورد في الكافوريات دون المنفي بلم أو (ما) - فكما لا تدخل الواو على اسم الفاعل فكذلك ما أشبهه . وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنَّ النُّحاة يجعلون المضارع المنفي بحرف النفي (ما) ضمْن المواضع التي يُمْتنع فيها الرَّبْط بالواو ، لكن هذا الأمر فيه نظرٌ ، فالقرآن الكريم قد جاءت فيه الجملة الحالية ذات المضارع المنفي بحرف النفي (ما) مربوطةً بالواو مع الضمير ، وفي مواضع أُخر غير مربوطة بالواو ؛ ومن ثَمَّ ينبغي على النُّحاة العدول عن إدراج هذه الحالة ضمن الحالات التّي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، ويتعين الرَّبْط بالضمير ؛ ومن ثَمَّ العدول عن هذا داخل قاعات الدرس في تدريسنا النَّحو العربي لأولادنا .

- على الرغم من أن النحاة قد أوجبوا في الماضي المثبت المتصرِّف الواقع حالاً أنْ يكون مسبوقا بقد ظاهرةً أو مقدَّرةً ، لمناقضته للحال في الظاهر ؛ ومن ثَمَّ تقريبه للحال ، فإنَّ وجود الضمير العائد في هذا الفعل يجعل من وجود (قد) والواو قبله وجوداً جائزاً ؛ ومن ثَمَّ فلا يُشْترط في هذا النمط من الحالية وجود (قد) قبل الماضي المثبت ولاسيّما أنَّ القرآن الكريم قد جاء بهذا الاستعمال ، أي بدون (قد) في مواضعَ كثيرة ، وهو أفصح الكلام ، فمن اللَّجاجة أنْ ننكره ، أو نتلمس له تخريجًا آخر ، أو نجعلَ الكلام على تقدير محذوف .

- اتَّضح أنَّ مواضع ربط الجملة الاسمية الحالية بالضمير قليلةٌ إذا ما قورنت بمواضع ربطها بالواو والضمير معًا ؛ وذلك لأنَّ الرَّبْط بالواو والضمير أشدُّ تمكُّنًا من الرَّبْط بأحدهما فقط ، ولم يُحْذف الضمير الرَّابط في الاسمية الحالية إلا في موضع واحد ، وهو ما يمكن القول معه إنَّ عناصر التفكير الفني قد تجلت في لغة المتنبي في الكافوريات ، وأنَّ كل ذلك أسهم في إقامة النَّسْج الشعري ؛ ومن ثم حُسْن السَّبْك والحَبْك ، وهو ما ينسحب على بقية أنماط الرَّبْط بالضمير في الجملة الحالية بالإضافة إلى جملة الصفة والصلة والخبر على نحو ما وضَّح آنفًا على مدار البحث . وفي هذا الصدد أشير إلى أنَّ شيوع حَذْف الرَّابط في جملة الصلة كان في حالة كون الضمير مفعولاً به ؛ وذلك للتخفيف والاختصار ، حتى عُدَّ هذا النوع من الحذف ضمن ما

يسمى بالحذف اختصارا للمفعول به ؛ ومن ثم أسهم في استقامة الوزن وصحّة القافية ، أضف إلى ذلك غايةً أخرى ، وهي إشراك المتلقي مع المبدع بإعمال ذهنهَ في الكشف عن المحذوف من أجل تشكيل المعنى .

– وفيما يخص الرَّبْط بالواو يمكن الإشارة إلى أنَّه لمّا كانت الحال فضلةً ، تأتي بعد تمام الكلام فقد احتيج إلى فَصْل ربط ؛ ولذلك صُدِّرت بما هو موضوعٌ للرَّبط ، أي بواو الحال ؛ لتؤذن من أول الأمر أنَّ الجُملة لم تبقَ على الاستقلال ، وهو ما ترتب عليه حُسْن السَّبْك والحَبْك في الكافوريات .

– ووصلاً بذلك يمكن القول : على الرغم من أن بعض النحاة قد أشاروا إلى أنَّ المضارع المثبت المجرد من (قد) و (إذَنْ) لا تجوز معه الواو ، فقد جاءت الجملة الفعلية ذات المضارع المثبت ، المجردة من (قد) ومربوطة بصاحب الحال بالواو ؛ وذلك لغرض دلاليٍّ مضمونه الإشارة إلى أنَّ المعنى على استئناف الإثبات في الجملة الأولى ؛ ومن ثَمَّ الاتصال بين جملة الحال وجملة الصاحب ، وهو ما ينتفي معه القول بأنَّ جملة الحال استئنافيةٌ ، أضف إلى ذلك الرَّبْط بالضمير مع الواو لتقوية الرَّبْط .

– لوحظ على مدار البحث كثرة الرَّبْط في الجملة الفعلية ، وذلك راجعٌ إلى أنَّ الاسم يقتضي الثبوت ، والفعل يقتضي التجدُّد والحدوث ، وهو ما يتناسب مع ما تناوله المتنبي في الكافوريات من موضوعات . ويتصل بذلك أنَّ الرَّبْط بالضمير كان في الجملة ذات المضارع المثبت والمنفي أكثر منه في الفعلية ذات الماضي المثبت والمنفي ، نتيجة لوجود نكتة دلاليّة في المضارع ، تتصل بالسَّبْك والحَبْك ، وهي التجدد وإفادة بقاء الأثر ، وذلك باستثناء الرَّبْط في جملة الصلة حالة كونها فعليةً ، حيث تفوق الرَّبْط بالضمير فيها حين كونها ذات فعل ماض على المضارع ، وذلك راجعٌ فيما أرى إلى أنَّ المتنبي في هذه التراكيب في الكافوريات كان يسرد لنا أحداثًا ، قد مضت ، ترتبط بمَن يعود عليه الاسم الموصول عاقلاً أو غير عاقلٍ .

– لمّا كان الرَّبْط قرينةً من القرائن النَّحوية ، التي هي مناط وضوح المعنى وأَمْن اللَّبس ؛ ومن ثَمَّ يرتبط النحو بالنقد من حيث نَقْد الصِّحّة على مستوى الاستعمال

الأصوليّ ، ونَقْد أسلوب النَّص على مستوى الاستعمال العدوليّ ، فإنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ الرَّبْط بالضمير وحْدَه ، أو بالواو وحْدَها أو بالواو والضمير قد أسهم في تحقُّق الصِّحّة النَّحوية على المستويين ، الأصوليّ والعدوليّ .

– وبناءً على ما سبق يمكن القول إنَّه لمّا كان النَّص حدثًا تواصليًّا ، يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر فيه سبعة عناصر – على نحو ما وضِّح بالتمهيد – من بينها معيارا السَّبْك والحَبْك ، فإنَّ الرَّبْط موضوع البحث باعتباره جزءًا من قرينة الرَّبْط قد أسهم في حُسْن السَّبْك في ظاهر النَّص في الكافوريات ، فتحققت الاستمرارية المبنية على إقامة المباني النحوية ؛ ومن ثَمَّ تحققت الاستمرارية الدلالية (الحَبْك) ، فبدا المعنى واضحًا ، وأُحْكِمت العلاقة بين أطراف التركيب ؛ ومن ثم النَّص ، صياغةً ومضمونًا ، فكَان نصًّا غير مترهل ، وعلى المتلقي أنْ يتلمس أمارات هذه الاستمرارية من خلال العلاقة بين النَّحو والنَّسْج والدلالة .

* * *

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية :

القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

د . إبراهيم عبد الرحمن محمد :

- من أصول الشعر العربي القديم « الأغراض والموسيقى ، دراسة نصية » ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

د . أحمد عبد الغفار عبيد :

- وجدانيات أبى الطيب المتنبي «دلالاتها وسماتها الفنية» ، الدار المصرية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠م .

د . أحمد كشك :

- الزحاف والعلة « رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع » ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

الأزهر الزناد :

- نسيج النَّص «بحثٌ فيما يكون الملفوظ به نصًا» ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

الأشموني «نور الدين أبو الحسن على بن محمد» ت ٩٢٩ هـ :

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق د . عبد الحميد السيد ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، د . ت .

الأعشى «ميمون بن قيس» :

- ديوان الأعشى ، تحقيق د . محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٨ .

الأنباري « أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري» ت ٥٥٧ هـ :

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، تحقيق محمد محيى الدين ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، د . ت .

- البيان في غريب إعراب القرآن ، تحقيق طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

د . بكري عبد الكريم :

- الزمن في القرآن الكريم «دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه» ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

د . تمام حسان :

- الإفادة والعلاقات البيانية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الخامس والستون ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٨٩ .

- اللغة بين المعيارية والوصفية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- اللغة والنقد الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
- وحدة البنية واختلاف الأنظمة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السابع والخمسون ، نوفمبر ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

الجاحظ «أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت ٢٥٥ هـ» :
- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

د . جميل عبد المجيد :
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

ابن جني «أبو الفتح عثمان بن جني ، ت٣٩٢ هـ» :
- الخصائص ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٦ - ١٩٨٨ .

د . حسام البهنساوي :
- أنظمة الرَّبْط في العربية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

د . حكمت صباغ الخطيب :
- في معرفة النَّص ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ .

د . حمزة النشرتي :
- الرابط وأثره في التراكيب العربية ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر بالمنوفية ، العدد السابع ، ١٩٨٧ .

أبو حيان : «أثير الدين أبو عبد الله بن حيان الأندلسي ، ت٧٥٤ هـ» :
- تفسير البحر المحيط ، دار الكتاب الإسلامي ، بالقاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢ .

خالد الأزهري :
- شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د .ت .

د . رشيد بنجدو :
- العلاقة بين القارئ والنَّص في التفكير الأدبي المعاصر ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثالث والعشرون ، العددان الأول والثاني ، يوليو / سبتمبر ، أكتوبر / ديسمبر ، ١٩٩٤ .

الرَّضي «رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ، ت ٦٨٦ هـ» :
- شرح الرَّضي على الكافية ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط٢ ، ١٩٩٦ .

الزمخشري « أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، ت ٥٣٨ هـ» :
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .
زهير بن أبي سلمى :
- ديوان زهير ، شرح أبي العباس ثعلب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٤ .
د . زين الخويسكي :
- الجملة الفعلية بسيطة وموسعة « دراسة تطبيقية على شعر المتنبي » ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ .
ابن السراج «أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ، ت ٣١٦ هـ» :
- الأصول في النحو ، تحقيق د . عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٨ .
سعاد عبد العزيز المانع :
- سيفيات المتنبي « دراسة نقدية للاستخدام اللغوي » ، جامعة الرياض ، ط١ ، ١٩٨١ .
د . سعد مصلوح :
- نحو أجرومية للنص الشعري «دراسة في قصيدة جاهلية» ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو / أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ .
د . سعيد حسن بحيري :
- من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم «تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النَّص» ، ضمن كتاب دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، د .ت .
سيبويه «أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، ت ١٨٠هـ» :
- الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
السيوطي «جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١ هـ» :
- الأشباه والنظائر ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥ .
- همع الهوامع ، تحقيق أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨ .
د . صبحي رشاد عبد الكريم :
- الصفة ، فائدتها وصورها ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر بالمنوفية ، العدد التاسع ، ١٩٨٩
د . صبحي الفقي :
- علم اللغة النَّصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
د . طاهر سليمان حمودة :
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٢ .

عباس حسن :

- النحو الوافي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٦ .

عبد الرحمن المطردي :

- أساليب التوكيد في القرآن الكريم ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراتة ، ليبيا ، ط١ ، ١٨٩٦ .

عبد الستار عبد اللطيف أحمد :

- الحال في الأسلوب القرآني ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٤ .

عبد القادر الرباعي :

- تشكيل المعنى الشعري ونماذج من القديم ، مجلة فصول ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

عبد القاهر الجرجاني «عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت ٤٩١ هـ» :

- دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ .

د . عبده بدوي :

- ظواهر أسلوبية في شعر المتنبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ .

د . عز الدين إسماعيل :

- جدلية الإبداع والموقف النقدي ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ .

أبو العلاء المعري ، ت٤٤٩ هـ :

- شرح ديوان المتنبي «معجز أحمد» ، تحقيق ودراسة د . عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢ .

العلوي « يحيي بن حمزة العلوي اليمني ، ت ٧٤٩ هـ» :

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مراجعة وضبط محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥

د . علي محمد هنداوي :

- الحال المنفية في الشعر الجاهلي « دراسة في النحو والدلالة » ، مجلة علوم اللغة ، المجلد السادس ، العدد الثالث ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣

علي النجدي ناصف :

- فلسفة الضمير ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العشرون ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

د . فايز صبحي تركي :

- التضمين العروضي في الطويل وبناء شعر الأعشى « دراسة نصية في ضوء العلاقات النحوية الرأسية والأفقية » ، مجلة الثقافة والتنمية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، يوليو ٢٠٠٣ .

- القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣م
د . فخر الدين قباوة :
- إعراب الجمل وأشباه الجمل ، دار الأوزاعي ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٦ .
الفراء «أبو زكريا يحيى بن زياد ، ت ٢٠٧ هـ» :
- معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
د . فؤاد مرعي :
- في العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي ، مجلة عالم الفكر ، العددان الأول والثاني يوليو - سبتمبر ، أكتوبر - ديسمبر ، الكويت ، ١٩٩٤ .
القزويني «جلال الدين أبو عبد الله بن سعد الدين القزويني ت ٧٣٩ هـ» :
- الإيضاح في علوم البلاغة ، تقديم د . علي أبو ملجم ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .
ابن مالك « أبو عبد الله جمال الدين بن مالك ، ت ٦٧٢ هـ» :
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، تحقيق د . عدنان عبد الرحمن الدوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٩٧ .
المبرد « أبو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٥ هـ » :
- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت لبنان ، د .ت .
د . محمد حماسة عبد اللطيف :
- بناء الجملة العربية ، مكتبة الشروق القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ .
- الجملة في الشعر العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠ .
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، جامعة الكويت ، ١٩٨٣ .
- النحو والدلالة «مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي» ، مطبعة المدينة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
د . محمد خليفة الدناع :
- دور الصرف في منهجي النحو والمعجم ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا ، ١٩٩١ .
د . محمد فتوح أحمد :
- جدلية النَّص ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني والعشرون ، العددان الثالث والرابع ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٤م
محمد محيي الدين عبد الحميد :
- عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، بهامش أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٥ .

د . مصطفى الضبع :
- استراتيجية المكان ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
ابن هشام « جمال الدين بن هشام الأنصاري ، ت ٧٦١ هـ » :
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الشام للتراث ، بيروت ، لبنان ، د . ت .
ابن يعيش « موفق الدين يعيش بن علي ، ت ٦٤٣ هـ » :
- شرح المفصل ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

ثانيًا - المراجع الأجنبية :

- Hallidy M.A.K and Ruqaiya Hasan .

- 1976 . Longman, London, Cohesion in English.



الهوامش

١ – د . عبده بدوي : ظواهر أسلوبية في شعر المتنبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثّاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٩٥ ، ويُنْظَر أيضًا ص ١٩٦ .

٢– د . عز الدين إسماعيل : جدلية الإبداع والموقف النقدي ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٤٦ ، ويُنْظَر : في معرفة النَّص ، للدكتورة : حكمت صباغ الخطيب ، ص ٥٧ .

٣ – يُنْظَر : مغني اللبيب ٢ / ٤٩٨ – ٤٩٩ ، والأشباه والنظائر للسيوطي ١ / ٣١١ – ٣١٢ .

٤ – أبو العلاء المعري : شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، تحقيق ودراسة د . عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٢ ، ١ / ٩٧ حيث تقديم المحقق لشرح الديوان .

٥– يُنْظَر على سبيل المثال : الكتاب لسيبويه ، ١ / ٨٤ – ٨٨ وتعليق السيرافي بهامش ١ / ٨٧ من الكتاب ، والمقتضب للمبرد ١ / ١٩ ، ٢ / ٦٥ – ٦٦ ، ٣ / ١٣٠ ، والجملة في الشعر العربي ، للدكتور محمد حماسة ، ص ١٨٥–١٩٦ ، ومن أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم «تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النَّص» ضمن كتاب دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، للدكتور سعيد بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٧٧ ، وكذلك د . صبحي الفقي : علم اللغة النَّصيّ بين النظرية والتطبيق ١ / ١٢٥ – ١٣٣ ، إذ إنَّه تحدث عن نظرة القدماء للتماسك .

٦– شرح الكافية ١ / ٩١ .

٧– د . حسام البهنساوي : أنظمة الرَّبْط وقواعده في التراكيب السطحية العربية ، ص ٧ ، و يُنْظَر أيضًا ص ٨ .

٨– يُنْظَر : د : تمام حسان : الإفادة والعلاقات البيانية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الخامس والستون ، نوفمبر ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٤٥ وما بعدها وكذلك :

Hallidy M.A.K and Ruqaiya Hasan , cohesion in English , P,22

٩ – د . سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشّعْريّ ، مجلة فصول ، المجلد العاشر ، العددان الأول والثاني ، يوليو ، أغسطس ، ١٩٩١ ، ص١٥٤ ، نقلاً عن :

Robert Allin de Beaugrand and Wolfgong Ulrich Dresslar " Introduction to text New York., linguistics" Longman p .3 .

١٠ – يُنْظَر د . تمام حسان ، وحدة البنية واختلاف الأنظمة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السابع والخمسون ، نوفمبر ١٩٨٥ . ص ٣٦ وفيه يشير أيضًا إلى أنَّ هناك نوعًا آخر من الرَّبْط وهو الرَّبْط

بالمطابقة في الشخص «المتكلم والخطاب والغيبة» أو في العدد « الإفراد والتثنية والجمع » أو في النوع « التذكير والتأنيث» أو في التعيين «التعريف والتنكير» . ويُنْظَر أيضًا اللغة العربية معناها و مبناها . ص ٢١٣ - ٢١٦ ، وكذلك د . محمد خليفة الدناع : دور الصرف في منهجي النحو و المعجم ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، ٣٠٠ .

١١- د . تمام حسان : اللغة العربية و النقد الأدبي ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الأول ١٩٨٣ ص ١٢١ ويُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ص ٧٨ ، ٧٩ .

١٢- نحو أجرومية للنص الشِّعْرِيّ ، ص ١٥٤ .

١٣ - see : cohesion in English , p, 299-328, 393 ,596

١٤ - نحو أجرومية للنص الشِّعْرِيّ ، ص ١٥٤ ، ويُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ، ص ٩١ .

١٥- البيان والتبيين ١/ ٦٧ ، ويُنْظَر : د . جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ، ص٧٧-٧٨ .

١٦- البديع في نقد الشعر ، ص١٦٣ ، والبيت من البسيط التام ، عروضه تامة مخبونةٌ ، وضربه كذلك . ويُنْظَر البيت في ديوان زهير ، بشرح ثعلب ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٤٤ ، ص ٥٤ .

١٧- موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ، ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) العدد ٥٩ ، المجلد الآخر ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١٩٩٠ ، ص ٧٨٩ ، نقلاً عن البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ص٧٨-٧٩ .

١٨- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النَّصية ص ٧٩ .

١٩- يُنْظَر : نحو أجرومية للنص الشِّعْرِيّ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ .

٢٠- شرح المفصل ٥ / ٨٦ ، ٨٧ ، ويُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ، ص ٩٥ - ٩٦ .

٢١ - فلسفة الضمير ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء العشرون ، القاهرة ،١٩٦٦ ، ص ٢٤ - ٢٥ بتَرُّف يسير ، ٢٦ وأمالي ابن الشجري ٢/ ٦-٧ .

٢٢ - نسيجُ النَّص « بحثٌ فيما يكون الملفوظ به نصًا» ص ١١٥ ، ويُنْظَر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة للدكتور فايز تركي ، ص ١٥٩ .

٢٣ - يُنْظَر : المقتضب ٢/ ٦٥ - ٦٦ ، وشرح المفصل ٣/ ٦٧ - ٦٨ ، وعمدة الحافظ وعدة اللافظ ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥ ، وشرح الرَّضِيّ على الكافية ٢/ ٤٠ - ٤٦ ، وأوضح المسالك ٢/ ٣٠٦ - ٣١٣ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٠ - ٣٣٥ ، والنحو الوافي ٢/ ٣٩٥ - ٣٩٩ ، والرَّابط وأثره في التراكيب العربية ، ص ١١ ، وفي هذا الصدد أشير إلى أنَّ النحاة في المصادر السابقة يجعلون المضارع المنفي بحرف النفي (ما) من المواضع التي يُمتنع فيها الرَّبْط بالواو ، لكن هذا الأمر فيه نظرٌ ، فالقرآن الكريم قد جاءت فيه الجملة الحالية ذات المضارع المنفي بما مربوطةً بالواو وبدون الواو ، فمن وروده مسبوقا بالواو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ

وَمَا يَعْبُدُون إلاّ الله﴾ الكهف : الآية ١٦ ، فجملة (وما يعبدون) مضارعيةٌ منفيةٌ بـ (ما) ، مسبوقةٌ بواو الحال ، فهي حالية في أحد الأوجه ، والتقدير : وإذ اعتزلتموهم غير عابدين إلاّ الله . و من عدم اقترانها بواو الحال قوله : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ في جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ اللّهُ﴾ النحل : الآية ٧٩ ، فقوله (ما يمسكهن) جملةٌ حاليّةٌ غير مَسبوقةٌ بواو الحال من الضمير في (مسخرات) أو من الطير ، وتحتمل الاستئناف ، لكن المُرجّح فيها الحالية لمناسبة المعنى ، وفي هذا ما يدلّل على أنَّ المضارع المنفي بـ (ما) الواقع حالاً تدخله الواو جوازا ، وهو ما يتطلب إعادة النظر في إدراج النحاة لهذه الحالة ضمن ما يُمتنع فيه الرَّبط بالواو . يُنْظَر : الحال في الأسلوب القرآني لعبد الستار عبد اللطيف ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٢٤ - يُنْظَر : شرح المفصل ١/ ٩٠ ، ٢/ ٦٣ ، ٦٦ ، ومغني اللبيب ٢/ ٥٦٦ ، وشرح التصريح ١/ ٣٨٨ .

٢٥ - شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، الجزء الرابع ، ٢٢/ ٤ ، ٢٣/ ١٧ ، ٢٤/ ٢٢ ، ٢٥/ ٢٣ ، ٣٢/ ٤٧ ، ٥٠/ ٢٣ ، ٥١/ ٢٧ ، ٥٤/ ٣٥ ، ٦٢/ ٣٧ ، ٧٤/ ١٥ ، ٨١/ ٢ ، ٣ ، ٩٩/ ٢٤ ، ١٠١/ ٣٣ ، ١٠٢/ ٢ ، ١٠٦/ ٦ ، ٧ ، ١١٠/ ١٩ ، ١١٤/ ٣٣ ، ١١٨/ ٤٥ ، ١٢٠/ ١٣ ، ١٢٧/ ١٩ ، ١٢٨/ ٤ ، ١٣٨/ ٨ ، ١٤٢/ ١٢ ، ١٥١/ ٣٠ ، ١٥٢/ ١٧ ، ١٥٥/ ٢٠ ، ١٦٥/ ٢٨ ، ١٦٦/ ٢ ، ١٧٣/ ١ ، ١٨٦/ ٢٣ ، ١٩٢/ ١ ، ٢٠١/ ٧ ، ٢١٢/ ٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٢٠/ ٢ ، ٢٢٦/ ٢٣ ، ٢٣٠/ ٣٨ وتجدر الإشارة إلى أنَّ الرقم الأول من هذه الأرقام يشير إلى رقم الصفحة بالشرح ، والثاني يشير إلى رقم البيت في القصيدة .

٢٦- يُنْظَر : السابق ٣٠/ ٤٠ ، ٤٥/ ٨ ، ٤٧/ ١٤ ، ١٠٢/ ٦ ، ٤ ، ١٢٧/ ٥ ، ٢٠٩/ ١٤ ، ٢١٦/ ٣٤ ، ٢١٧/ ٣٧ .

٢٧ - يُنْظَر : السابق ٢٣/ ١٨ ، ٢٩/ ٣٨ ، ٥٤/ ٣٦ ، ٥٥/ ٤٠ ، ٨٢/ ٢٧ ، ٨٩/ ٦ ، ١٤١/ ٢٤ ، ٢٥ ، ١٥٩/ ٤٣ ، ٢١٠/ ١٨ ، ٢١٢/ ٢٢ .

٢٨ - يُنْظَر على سبيل المثال الموضع ٢٠١/ ٣ صدد هجائه لكافور حيث يقول : (من الطويل)

أَعِـدَتْ عَلَى مَخصَاهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ يُتَبَّعُ مِنِّي الشَّمْسَ وَهْيَ تَغِيبُ

٢٩ - يُنْظَر على سبيل المثال الموضع ٢١٢/ ٢١ .

٣٠- شرح الرضى على الكافية ، ٢/ ٤٣ .

٣١- البيت من البسيط ، وهو لعلقمة بن عبدة ، وقتود الرحل : خشب الرَّحل وأدواته ، و«يسفعنى» : يحرقنى ، و«مسموم» : شديد الحرارة من ريح السموم الحارة ، وقديديمة : تصغير قدام .

٣٢- دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٥ .

٣٣- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢٢٥ ، ٢٢٦/ ٢٢ ، ٢٣ .

٣٤- يُنْظَر : السابق ٤/ ٢٢٠ .

٣٥- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٤/ ٢٢٦,
٣٦- شرح الكافية ٢/ ٤٠ .
٣٧- شرح المفصل ٢/ ٦٩ .
٣٨ - يُنْظَر : أوضح المسالك ٢/ ٢٨٤ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٣٢- ٢٣٥ ، وشرح التصريح ١/ ٣٨ ، والنحو الوافي ٢/ ٣٦٤ هامش ٢ .
٣٩ - شرح المفصل ٢/ ٦٦ .
٤٠ - بناء الجملة العربية ، ص ١٣٥ .
٤١ - شرح الكافية ٢/ ٤٣ .
٤٢ - السابق نفسه .
٤٣ - شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢١١/ ٢٠ ، ويُنْظَر ١١٨/ ١٣ .
٤٤ - هذا في زمن كافور على حد قول أبي العلاء . أمّا الآن فشأن الفيوم شأن بقية محافظات مصر من حيث الاهتمام بصحة البيئة وصحّة الفرد .
٤٥- شرح ديوان المتنبي ٤ / ٢٠٤ .
٤٦- يُنْظَر : من أشكال الرَّبْط في القرآن الكريم ، ص ٨٦ ، والنحو والدلالة ، للدكتور محمد حماسة ، ص ١٨١ ، ونحو أجرومية للنص الشِّعْريّ ، ص ١٦١ ، ونسيج النَّص ، ص ١١٥ .
٤٧- شرح ديوان المتنبي ٤ / ٢٠٧ .
٤٨- السابق ٤ / ٢١٢ .
٤٩ - يُنْظَر : أوضح المسالك ٢/ ٣٠٩ ، وشرح الكافية ٢ / ٤٥ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٧ ، وشرح الأشموني ٢ / ٢٢٣ ، وشرح التصريح ١/ ٢٩٣ .
٥٠ - سورة البقرة ، الآية ١٧ . ويُنْظَر : الأنباري ، البيان في غريب إعراب القران ، ١ / ٦٠ ، والحال في الأسلوب القرآنيّ ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
٥١ - يُنْظَر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ٢٥٢ ، وشرح المفصل ٢/ ٦٩- ,٧٠
٥٢ - البحر المحيط ٦ / ٣٥٥ ، وذلك في تعليقه على الآية ١١ من سورة الحج .
٥٣ - الحال في الأسلوب القرآني ، ص ٢٥٧ .
٥٤- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢٠٨-٢٠٩ / ٩-١٤ ، وقد ذكرتُ هذه الأبيات كلّها حتى لا أعزل الشاهد عن سياقه .
٥٥ - السابق ٤ / ٢٠٩ .
٥٦- يُنْظَر : د . تمام حسان ، اللغة والنقد الأدبي ، ص ١٢٦ ، وقد أشار الدكتور تمام في هذا المقال إلى أنَّ النقد الأدبي له علاقةٌ بالقرائن النَّحويّة ، من بينها الرَّبْط ، والنقد إمّا نقد صحّة وإمّا نَقْد جمال ، والكلام في هذه القرائن من قبيل النوع الأول . . . . إلخ يُنْظَر : ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٥٧- عبد القادر الرباعي : تشكيل المعنى الشِّعْريّ ونماذج من القديم ، ص ٥٥ .

٥٨- يُنْظَر : د . إبراهيم عبد الرحمن محمد ، من أصول الشعر العربي القديم لله الأغراض والموسيقى ، ص ٣٢ .

٥٩- شرح ديوان المتنبي ٤ / ٣٠ ومعنى تجوس : تدوس ، والعمائر : القبائل ، وقيل أراد بالعمائر الأرض العامرة ؛ ليطابق الفيافي . والمعنى : أنّها سلكت المفاوز والفلوات ، حتى وصلت إلى ديار الأعداء ، فوطئتها وأغارت عليها . يصف بعض غزواته ، وأنّه يقصد أعداءه في الأماكن البعيدة .
يُنْظَر : السابق نفسه ، وفيه يرى الدكتور عبد المجيد دياب محقّق الشرح - وهو ما أوافقه عليه - أنَّ كلمة (كتائب) تروى بالرفع والنَّصب على أنّك قُدْتَ إلى الحرب كتائب ، حيث إنّه قبل هذا البيت ، في البيت السابع والثلاثين ، يقول :

وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ　　　يُؤَدِّيكَ غَضْبَانًا وَيُثْنِيكَ رَاضِيًا

ومَنْ رفع ، فعلى تقدير لك كتائب أو ما انفكّت لك كتائب .

٦٠- السابق نفسه .

٦١- يُنْظَر : الحال في الأسلوب القرآني ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

٦٢- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ١٥٩ / ٤٢ - ٤٣ .

٦٣- السابق ، نفسه .

٦٤- د . فؤاد مرعي : في العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي ، ص ٣٣٩ .

٦٥- شرح ديوان المتنبي ، ٨٨ - ٨٩ / ٤ - ٦ .

٦٦- السابق نفسه ، حيث شرح أبي العلاء .

٦٧- يُنْظَر : شرح المفصل ١ / ٦٧ ، ٦٨ .

٦٨- يُنْظَر : شرح الكافية ٢ / ٤١ ، ودلائل الإعجاز ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ٢١١ .

٦٩- يُنْظَر : شرح المفصل ٣ / ٤٧ ، والصفة « فائدتها وأحكامها » للدكتور صبحي رشاد عبد الكريم ، ص ٤٤٢ .

٧٠- يُنْظَر : شرح المفصل ١ / ٥٤ ، وشرح الكافية ٢ / ٢٩٨ ، وأوضح المسالك ٣ / ٢٧٥ - ٢٢٧٦ ، وهمع الهوامع ٣ / ١١٩ ، وشرح الأشموني ٣ / ١١٥ ، وشرح التصريح ٢ / ١١٢ ، والنحو الوافي ٣ / ٤٧٤ - ٤٧٦ .

٧١- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٢١ / ٢٠ ، ٢٢ / ٦ ، ٢٥ / ٥ ، ٢٦ / ٢٧ ، ٢٧ / ٣٣ ، ٢٩ / ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٣٠ / ٤٣ ، ٤٥ ، ٣٧ / ١١ ، ٣٨ / ١٦ ، ٣٩ / ٢٠ ، ٤٢ / ٣ ، ٥٥ / ٤٠ ، ٤١ ، ٥٦ / ٤٢ ، ٥٩ / ٣ ، ٦٢ / ١٤ ، ٦٣ / ١٩ ، ٦٧ / ٣٢ ، ٦٩ / ٣٨ ، ٧١ / ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٤ / ٢ ، ٥ ، ٧٩ / ١٧ ، ٨١ / ٢٤ / ٨٣ / ٣٠ ، ٩٨ / ٢٨ ، ١٠٢ / ٥ ، ١٠٣ / ٩ ، ١٠٦ / ١٩ ، ١٠٩ / ٢٨ ، ١١١ / ٣٦ ، ١١٣ / ٤٢ ، ١١٩ / ١٦ ، ١٢٨ / ٩ ، ١٤٢ / ٢٩ ، ١٤٨ / ٥ ، ٦ ،

٨، ١٥٠/ ١٢، ٣، ١٥٦/ ٣١، ١٦٠/ ٣، ١٦١/ ٦، ٧، ١٦٩/ ٥، ١٧٣/ ٢٠، ١٧٤/
٢٤، ١٨٤/ ٣، ١٩٧/ ٢٣، ١٩٨/ ٣٠، ٢٠٧/ ٨، ٢٢٤/ ١١، ٢٢٥/ ١٩، ٢٢٧/
٢٦، ٢٢٩/ ٣٥ .

٧٢- يُنْظَر : السابق ٢١/ ٣، ٢٢/ ١٤، ٢٥/ ٢٤، ٢٨/ ٣٤، ٢٨/ ٧، ٣١/ ٤٥، ٥٩/ ٥، ٦٣/ ١٧، ٦٥/ ٢٥، ٨٩/ ٧، ١٠٤/ ١٠، ١٤٤/ ٣٦، ١٤٥/ ٣٧، ١٤٧/ ٤، ١٤٩/ ٦، ١٥١/ ١٧، ١٥٨/ ٣٧، ١٦١/ ٥، ١٦٣/ ٤، ١٧٧/ ١، ١٧٨/ ٤، ١٨٤/ ٤، ١٨٥/ ١، ١٨٧/ ٤، ١٨٨/ ٨، ١٩٧/ ٢٤، ١٩٩/ ٣٢، ٢٠٨/ ١٠، ٢١٥/ ٣٣، ٢٢٨/ ٣٢ .

٧٣- يُنْظَر : السابق ٥٥/ ٣٩، ٦٠/ ٦، ٦٢/ ١٦، ٦٤/ ٢٢، ٦٨/ ٣٤، ٧١/ ٤٥، ١٠٣/ ٩، ١١٦/ ٦، ١٤٨/ ٦، ١٥٤/ ٢٤، ٢٦، ١٥٧/ ٣٤، ١٥٨/ ٤٠، ١٥٩/ ٤٢، ٣٦٠، ١٦١/ ١٠، ١٦٣/ ٥، ٦، ١٦٨/ ٢، ١٧١/ ١١ .

٧٤- يُنْظَر : سعاد عبد العزيز المانع : سيفيات المتنبي «دراسةٌ نقدية للاستخدام اللغوي» ص ٢٣٩ .

٧٥- شرح ديوان المتنبي، الجزء الرابع، ٦٩/ ٣٨ .

٧٦- السابق، نفسه .

٧٧- الكتاب ١/ ١٢٨، ويُقْصد بكلمة (الوصْل) جملة الصلة، وقوله : «لأنّه في موضع ما يكون من الاسم» يعنى أنَّ الصفة والموصوف كالشيء الواحد، فالصفة بعض الموصوف .

٧٨- يُنْظَر : شرح الكافية ٢/ ٢٩٨ .

٧٩- نحو أجرومية للنص الشِّعْريّ، ص ١٥٥ .

٨٠- شرح ديوان المتنبي ١٤٢/ ٢٨، ٢٩ .

٨١- السابق ٤/ ١٤٢ .

٨٢- السابق ١٤٤/ ٣٥ - ٣٦، والجَمَام : الراحة .

٨٣- السابق ٤/ ١٤٤ - ١٤٥ .

٨٤- يُنْظَر : الإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨١، والقضايا التركيبية وعلاقاتها بالدلالة في شعر الأعشى ص١٥٨-١٧٠ .

٨٥- د. زين الخويسكي : الجملة الفعلية بسيطة وموسعة «دراسة تطبيقية على شعر المتنبي»، ١/ ٤٣٠ .

٨٦- شرح ديوان المتنبي ١٧٣/ ١ .

٨٧- السابق ٤/ ١٧٣ .

٨٨- الحج، الآية ٦٣ .

٨٩- الكشاف ٣/ ٢١ وقد علّل الزمخشري رفع الفعل (تصبح) في الآية بقوله : «فإنْ قلت : فما له رفع، ولم ينصب جوابًا للاستفهام ؟ قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض ؛ لأنَّ معناه

إثبات الاخضرار ، فينقلب بالنَّصب إلى نفي الاخضرار» . ويُنْظَر : الزمن في القرآن الكريم «دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه» للدكتور بكري عبد الكريم ، ص ٢٨ .

٩٠ - شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٧١ / ٤٥ .

٩١ - السابق ٤ / ٧١ .

٩٢ - السابق ٤ / ٦١ .

٩٣ - السابق ، نفسه .

٩٤ - سيفيات المتنبي «دراسة نقدية للاستخدام اللغوي» ، ص ٢٤٢ .

٩٥ - المقتضب ١/ ١٩ ؛ ويُنْظَر : ٣/ ١٣٠ .

٩٦ - يُنْظَر : السابق ٢/ ٢٩٥ ، ٣/ ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٨٣ ، وشرح الأشموني ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٩٧ - يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٣٦/ ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٣٧/ ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤٠/ ٢٣ ، ٥٣/ ٣٣ ، ٥٥/ ٤٠ ، ٥٨/ ١ ، ٦١/ ٩ ، ٦٢/ ١٣ ، ٦٣/ ١٨ ، ٧١/ ٤٧ ، ٧٧/ ٨ ، ٨١/ ٢١ ، ٨٦ / ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٨/ ٣ ، ٨٩/ ٩ ، ٩٢/ ٩ ، ٩٣/ ١٢ ، ٩٧/ ٢٥ ، ٢٦ ، ١٠١/ ٤ ، ١٠٥/ ١٦ ، ١٠٨/ ٢٥ ، ٠٤١/ ١٢ ، ١١٠/ ٣٠ ، ٣٣ ، ١١١/ ٣٧ ، ١١٢/ ٤١ ، ١١٨/ ١٢ ، ١٢٧/ ٤ ، ١٣١/ ٧ ، ٣٢/ ٢١ ، ١٣٨/ ١٠ ، ٣/ ١٤٧ ، ١٥٢/ ٢٠ ، ١٦٨/ ٣ ، ٣٥/ ٢٠٠ ، ٢٠٧/ ٨ ، ٩ ، ٢٢٤/ ١٦ ، ٢٠/ ٢٢٥ ، ٢١ ، ٢٢٨/ ٣١ .

٩٨ - السابق ١٩/ ٦ ، ٢١/ ١٠ ، ٢٤/ ٢٨ ، ٢٧/ ٣٢ ، ٢٨/ ٣٤ ، ٣٥/ ١ ، ٣٧/ ٩ ، ٤٨/ ١٨ ، ٣٨ ، ٥٢ / ٣٠ ، ٦١/ ٩ ، ١٢ ، ٦٣/ ٣٨ ، ٦٩/ ٣٨ ، ٧٤/ ٦ ، ٧٥/ ١ ، ٧٧/ ٧ ، ٨٧/ ١ ، ٩٠/ ١ ، ٩١/ ٣ ، ٩٢/ ٧ ، ٩٣/ ١٥ ، ٩٤/ ١٧ ، ٩٨/ ٢٩ ، ١٠١/ ٤ ، ١١٠/ ٣ ، ١١١/ ٣٤ ، ١١٢/ ٣٨ ، ١١٦/ ٣ ، ١١٧/ ٩ ، ١١٨/ ١١ ، ١١٩/ ١٥ ، ١٢١/ ٢٣ ، ١٢٢/ ١ ، ١٢٣/ ٤ ، ١٢٧/ ٣ ، ١٣١/ ١٧ ، ١٥٤/ ٢٤ ، ١٥٦/ ٣٢ ، ٣٣ ، ١٦٢/ ٨ ، ١٦٧/ ٤ ، ١٦٨/ ١ ، ١٨٧/ ٥ ، ١٨٨/ ٦ ، ٨ ، ١٩٥/ ١٦ ، ١٩٦/ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٠٨/ ١٠ ، ٢١٠/ ١٧ ، ٢١٢/ ٢١ ، ٢١٥/ ٣١ ، ٢١٧/ ٣٦ ، ٤٦/ ٢١٩ ، ٢٢١/ ٦ ، ٧ ، ٢٢٥/ ٢٠ ، ٢٢ .

٩٩ - السابق ٢١/ ١١ ، ٢٥/ ٢٦ ، ٣٤/ ٧ ، ٣٨/ ١٦ ، ٤٨/ ١٦ ، ٦١/ ١١ ، ٦٤/ ٢٤ ، ٦٩/ ٣٧ ، ٨٥/ ٣٤ ، ٣٦ ، ٨٧/ ٤١ ، ١٠٩/ ٢٩ ، ١١٠/ ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٥/ ٢ ، ١٢٠/ ١٩ ، ١٢٤/ ١٠ ، ١٣٩/ ١٤ ، ١٤٧/ ٣ ، ١٥٢/ ١٥ ، ١٦١/ ٧ ، ١٧٠/ ٩ ، ٢٠٥/ ٢ ، ٢٢٢/ ٧ .

١٠٠ - السابق ، ٣٦/ ٥ ، ٦ .

١٠١ - يُنْظَر : السابق نفسه . وأن تُهنَّا : أصله أنْ تهنَّأ ، فخفف الهمزة بإبدالها ألفًا ، وما يسرح : ما يذهب من الدواب والوحش ، والغبراء : الأرض ، والخضراء : السماء .

١٠٢ - السابق ، الجزء الرابع ٥٨/ ١ .

١٠٣ - يُنْظَر : السابق ٤/ ٥٨ .

١٠٤- السابق ١٠١/٣ ، ٤ .

١٠٥- السابق ٢٠٥/ ١ ، ٢ ، ويُنْظَر : «وجدانيات أبى الطيب المتنبي دلالاتها وسماتها الفنية» ، للدكتور أحمد عبد الغفار ، ص ٥٣ وما بعدها .

١٠٦- السابق ٤/ ٢٠٥ .

١٠٧- د . أحمد كشك : الزحاف والعلة « رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع» ، ص ٢٩ .

١٠٨- يُنْظَر : شرح المفصل ٣/ ١٥١-١٥٢ ، وأوضح المسالك ١/ ١٥٠-١٦١ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٨١ -٢٨٥ ، وشرح التصريح ١/ ١٤٢ -١٤٣ ، والنحو الوافي ١/ ٣٩٤ -٣٩٩ ، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، ص ٢٢٨ .

١٠٩- المقتضب ١/ ١٩ ، ويُنْظَر : أمالي ابن الشجري ١/ ٥-٨ ، ١٠١ ، ١٤٠ ، ٢/ ٧١ ، ٥٨ ، ٣/ ٦٨ .

١١٠- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٣٦/ ٧ ، ٣٧/ ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ٤٠/ ٢٣ ، ٤٨/ ١٨ ، ٥٢/ ٣٠ ، ٦٩/ ٣٨ ، ٧٥/ ١ ، ٧٧/ ٧ ، ٩٢/ ٧ ، ٩٧/ ٧ ، ٩٨/ ٧ ، ٩ ، ١٠١/ ٤ ، ١٠٨/ ٢٥ ، ١١٠/ ٣٠ ، ١١٢/ ٣٨ ، ٤١ ، ١١٧/ ٩ ، ١١٨/ ١١ ، ١٢ ، ١٢٧/ ٣ ، ١٣١/ ١٧ ، ١٣٢/ ٢١ ، ١٥٦/ ٣٢ ، ١٦٢/ ٨ ، ١٦٨/ ٣ ، ١٨٨/ ٨ ، ٢٠٨/ ١٠ ، ٢١٥/ ٣١ ، ٢١٧/ ٣٦ ، ٢٢٥/ ٢٠ ,

١١١- السابق ٤٨ / ١٨ .

١١٢- السابق ٤ / ٤٨ - ٤٩ .

١١٣- شرح المفصل ٢/ ٣٩ ، ويُنْظَر : الكتاب ١/ ٤٠ - ٤٣ ، ٨٧ - ٨٨ ، والمقتضب ١/ ١٩ - ٢٠ ، والإيضاح في علوم البلاغة ص ١٠٩ - ١١٥ .

١١٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢٥٢ ، ويُنْظَر : المقتضب ٣/ ١١٥ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ٨٨ - ٩٠ .

١١٥- يُنْظَر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ١٤-١٧ ، وفى العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي يُنْظَر : د . فؤاد مرعى : العلاقة بين المبدع والنَّص والمتلقي ص ٣٣٥ - ٣٦٠ وبخاصة حديثه عن المبدع والنَّص ، وعصر المتلقي ، ومجالات دراسة التلقي ، ومعايير التلقي ، ويُنْظَر : العلاقة بين القارئ والنَّص في التفكير الأدبي المعاصر ، للدكتور رشيد بنجدو ، ص ٤٧١ -٤٩٤ .

١١٦- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٢٢٥/ ١٩ ، ٢٠ ويُنْظَر أيضا ١١٨/ ١١ ، ١٦٢/ ٨ .

١١٧- يُنْظَر : السابق ٤ / ٢٢٥ .

١١٨- See : Cohesion in English , P , 295 .

١١٩- الكتاب ٢/ ١٢٧

١٢٠- المقتضب ٤ / ١٢٧ ، ١٢٨ ، ويُنْظَر : أيضا ٢/ ٢٩٥ ، وشرح المفصل ١/ ٨٧ - ٨٨ ، وأوضح المسالك ١/ ١٧٨ - ١٧٩ ، وهمع الهوامع ١/ ٣١٨ ، وشرح الأشموني ٢٦٠ ، والنحو الوافي ١/ ٤٦٦ - ٤٧٤ ، وبناء الجملة العربية ص ٨٩ وما بعدها .

١٢١- يُنْظَر : شرح المفصل ١/ ٨٨ - ٨٩ .

١٢٢ - يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٩١/ ٤ ، ٩٣ ، ١٥ ، ١٧٢/ ١٨ .

١٢٣- السابق ٢٠/ ٧ ، ٣٠/ ٤٠ ، ٣٣/ ٥ ، ٣٤/ ١٠ ، ٤١/ ٢٤ ، ٤٤/ ٧ ، ٥٩/ ٥ ، ٦٥/ ٢٦ ، ٦٧/ ٣٠ ، ٣١ ، ٦٨ ، ٣٣ ، ٨٨/ ٤ ، ٥ ، ١٠٢/ ٥ ، ١٠٦/ ١٧ ، ١٠٧/ ٢٠ ، ٢٢ ، ١٠٨/ ٢٣ ، ١١٠/ ٣٢ ، ١٢٤/ ٨ ، ١٢٧/ ٥ ، ١٣٤/ ١ ، ١٣٥/ ٣ ، ١٤٠/ ١٨ ، ١٤١/ ٢٥ ، ١٤٧/ ٣ ، ١٥٢/ ٢٠ ، ١٥٤/ ٢٧ ، ١٧٤/ ٢٤ ، ١٨٦/ ٥ ، ١٩٨/ ٢٧ ، ٢٠٦/ ٤ ، ٢١٧/ ٣٧ ، ٢١٨/ ٤٠ ، ٤١ ، ٢٢٢/ ١١ ، ٢٢٥/ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٢٩/ ٣٣ ، ٢٢٧/ ٢٧ .

١٢٤- السابق ٣٣/ ٤ ، ٣٤/ ٩ ، ٨٣/ ٣٠ ، ٤٨/ ١٨ ، ٦٠/ ٨ ، ١٠٢/ ٧ ، ١٢٢/ ٢٥ ، ١٢٨/ ٦ ، ١٤١/ ٢١ ، ٢٢ ، ١٥٨/ ٣٧ ، ١٦٥/ ٣ ، ١٦٧/ ٤ ، ١٧١/ ١١ ، ١٧٣/ ٢١ ، ٢٢ ، ١٨٧/ ٥ ، ١٩٦/ ٢٠ ، ١٩٩/ ٣٢ ، ٢٠٦/ ٥ .

١٢٥- السابق ٢٤/ ٢٠ ، ٦٧/ ٣٢ ، ٧٤/ ٣ ، ٨٢/ ٢٥ ، ٩٠/ ١٠ ، ١٣٩/ ١٥ ، ١٩٧/ ٢٢ ، ٢٠٠/ ٣٥ .

١٢٦- السابق ، الجزء الرابع ، ٩١/ ٤ ، والجدير بالذكر أنَّ بالكافوريات ثلاثة مواضع ، ربما يُخَيّل للناظر من الوهلة الأولى أنَّ الخبر عبارة عن جملة اسمية مصدَّرة بالناسخ الفعليّ كان ، لكن بالفحص يتبين أنَّ كان زائدةٌ – لتأكيد وتقوية الدلالةَ على الزّمن الماضي – وما بعدها خبرٌ للناسخ (كأن ، تك) في بداية الجملة ، وذلك في المواضع ١٣٢/ ٢٠ ، ١٨٣/ ١ ، ١٨٤/ ٢ وبناء عليه فلا يمكن إدراجها في إحصائنا هنا . يُنْظَر : الكتاب ١/ ٧٣ ، ٢/ ١٥٣ ، والخصائص ١/ ٣١٧ ، والأصول في النحو ٢/ ٢٥٨ ، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى ص ٢٤٠ - ٢٤٢ ، حيث الحديث عن زيادة الفعل .

١٢٧ - يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٤/ ٩١ .

١٢٨ - يُنْظَر : السابق ، نفسه .

١٢٩ - يُنْظَر : السابق ٩٣/ ١٥ ، ١٣٢/ ٢٠ ، ١٧٢/ ١٨ .

١٣٠ - السابق : ١٠٦/ ١٧ .

١٣١ - السابق ٤/ ١٠٦ .

١٣٢ - السابق ، الجزء الرابع ١٩٥ - ١٩٦/ ١٧ - ٢٠ ، ويُنْظَر : وجدانيات أبي الطيب المتنبي ، ص ٢١ ، ١١٩ .

١٣٣ - يُنْظَر : السابق ٤/ ١٩٥ - ١٩٦ .

١٣٤- شرح المفصل ١/ ٨٩ ، ويُنْظَر أيضا ٣/ ١٥١ .

١٣٥- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ٢٠٠/ ٣٥ .

١٣٦- السابق ٨١ - ٨٢/ ٢٣ - ٢٥ .

١٣٧- يُنْظَر : السابق ٤/ ٧٥ .

١٣٨- السابق ٤ / ٨١ - ٨٢ .

١٣٩- مغني اللبيب ٢ / ٤٦٦ - ٤٦٧ ، ويُنْظَر : النحو الوافي ١ / ٤٣٣ - ٤٤٤

١٤٠- يُنْظَر : الكشاف ١ / ٣٣٥ ، ٥٧٢ ، وشرح المفصل ٣ / ١٥١ ، والبحر المحيط ٣ / ٣٧٤ ، وهمع الهوامع ٢ / ٤٦٨ ، والنحو الوافي ١ / ٤٤٣ - ٤٤٤ ، ٤ / ٤٥٥ هامش ٥ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل للدكتور فخر الدين قباوة ، ص ١٤٩ ، وأساليب التوكيد في القرآن الكريم ، لعبد الرحمن المطردي ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

١٤١ - يُنْظَر : الجملة الفعلية «بسيطة و موسعة» ، ١ / ٣ .

١٤٢- ديوان الأعشى ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ٥١ ، ٥٢ ، واليفاع : الأرض المرتفعة ، والمقرور : مَنْ أصابه البرد ، والمحلق : اسم شخص ، ويُنْظَر : القضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ٢١٥ - ٢٣٨ .

١٤٣- دلائل الإعجاز ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

١٤٤- شرح الكافية ٢ / ٤١ .

١٤٥- الصف ، الآية ٥ .

١٤٦- يُنْظَر : شرح المفصل ٢ / ٦٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٦٢ ، وأوضح المسالك ٢ / ٣٠٦ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٨ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٦ ، وشرح التصريح ١ / ٣٩١ ، والنحو الوافي ٢ / ٣٩٦ .

١٤٧- يُنْظَر : شرح الكافية ٢ / ٤٤ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٦ ، والحال المنفية في الشعر الجاهلي «دراسة في النحو والدلالة» للدكتور علي محمد هنداوي ، ص ٢٦ - ٢٨ .

١٤٨- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٤٤ / ٧ ، ٦٧ / ٣١ ، ١١٢ / ٣٩ ، ٢٢٩ / ٣٦ .

١٤٩- يُنْظَر : شرح المفصل ٢ / ٦٦ ، وشرح الكافية ٢ / ٤١ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٧ ، ٢٥٠ .

١٥٠- شرح ديوان المتنبي ٤٤ / ٦ ، ٧ . وحيران : ماء بالشام ، وقيل : جبلٌ كانت ظهرت للمتنبي فيه خيلٌ ، وهو عليه .

١٥١- يُنْظَر : الكتاب ١ / ٩٠ ، والمقتضب ٣ / ٢٦٣ ، ٤ / ٢٥ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

١٥٢- دلائل الإعجاز ٢١٤ .

١٥٣- شرح ديوان المتنبي ٤/ ٤٤ .

١٥٤- يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢١٢ .

١٥٥- السابق ص ٢١٢ - ٢١٣ .

١٥٦- يُنْظَر :شرح التصريح ١/ ٣٩١ .

١٥٧ - يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢١٤ .

١٥٨- السابق ٢١٢ .

١٥٩ - يُنْظَر دلائل الإعجاز ، ص ٢١٣ ، ٢١٥ .

١٦٠- يُنْظَر : شرح التصريح ١/ ٣٩١ .

١٦١- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، والجزء الرابع ،٥٦/ ٤٤ ، ٦٠/ ٦ ، ٨٧/ ٢١ ، ١٠٦/ ١٧ ، ١١٦/ ٥ ، ١٣٢/ ٢٠ ، ١٣٩/ ١٤ ، ١٨٩/ ٣ ، ٢١٦/ ٣٥ ، ٢١٧/ ٣٦ .

١٦٢- النساء ، الآية ٩٠ .

١٦٣- يُنْظَر : معاني القرآن للفراّء ١/ ٢٤ ، ٢٨٢ ، والمقتضب ٤ / ١٢٤ - ١٢٥ وتعليق المحقق بالهامش والإنصاف ١/ ٢٥٢ - ٢٥٨ ، والبحر المحيط ٣/ ٣١٧ ، ٦/ ٣٥٥ ، ٧/ ٤٩٣ ، ٨/ ٤٢٣ ، وشرح الكافية ٢/ ٤٤ - ٤٥ ، وشرح الأشموني ٢ / ٣٢٦ وعلى الرغم من أنَّ المرجّح لدى النَّحويّين هو ما ذهب إليه البصريون على النحو الذي وضّحه صاحب الإنصاف ، فإنَّني أميل إلى رأي الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تعليقه بهامش أوضح المسالك ٢ / ٣٠٧ - ٣٠٨ ، فقد أورد شواهد من الشعر والقرآن لمجيء الماضي المثبت حالاً بدون قد ، منتهيًا إلى قوله : وإذا كثرت الشواهد وورد الاستعمال في القرآن الذي هو أفصح الكلام ، فمن اللّجاجة أنْ ننكره ، أو نتلمس له تخريجًا آخر . . . إلخ .

١٦٤- يُنْظَر : أساليب التوكيد في القرآن الكريم ، ص ٩٣ - ٩٧ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٩٥ ، والبقرة ، الآيات ٧٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، وآل عمران ، الآية ٤٠ ، والنساء ، الآيتان ٦٠ ، ١٦١ ، ويونس ، الآية ٥١ على سبيل المثال .

١٦٥- يُنْظَر السابق ص ٩٢- ٩٣ ، والرعد ، الآيتان ٤١ - ٤٢ ، وطه ، الآية ٦١ ، والعنكبوت ، الآية ٣٨ ، ونوح ، الآية ٢٣ ، والشمس ، الآيتان ٩ - ١٠ على سبيل المثال .

١٦٦- شرح ديوان المتنبي ، ١٨٩/ ٣ .

١٦٧- يُنْظَر : السابق ٤ / ١٨٩ ، وبسيطة : أرض بقرب الكوفة ، والصوار : القطيع من البقر الوحشي .

١٦٨- يُنْظَر : السابق ٤/ ١٨٩ - ١٩٠ .

١٦٩- يُنْظَر : شرح الكافية ٢/ ٤٦ .

١٧٠- يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

١٧١- يُنْظَر : نحو أجرومية للنص الشّعْريّ ، ص ١٥٧ .

١٧٢- شرح ديوان المتنبي ٥٦/ ٤٤ .

١٧٣ - السابق ، ٥٤/ ٣٦ .

١٧٤ - السابق ، ٤/ ٥٤ .

١٧٥ - السابق ، ٤/ ٥٧ .

١٧٦- يُنْظَر : شرح المفصل ، ٢/ ٦٧ .

١٧٧- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ١١٦/ ٥ ، ويُنْظَر : ٨٧/ ٢١ .

١٧٨ - السابق ٤/ ١١٦ .

١٧٩- يُنْظَر : السابق ٤/ ١١٥

١٨٠- السابق ١٣٩/ ١٤ ، والقدُّ : القامة ، والحدُّ : يجوز أن يريد به أن يكون له قَدٌّ بلغ حدَّ الرجال ، وأن يريد به الحدَّة في الأمر .

١٨١- السابق ٤/ ١٣٩ .

١٨٢- يُنْظَر : السابق ٤/ ١٣٤ .

١٨٣- يُنْظَر : شرح المفصل ٢/ ٦٦-٦٧ ، وشرح الكافية ٢/ ٤٣ ، وهمع الهوامع ٢/ ٢٤٨ ، وشرح الأشموني ٢/ ٣٢٦ ، وإعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص ١٨٨ .

١٨٤- سورة الأنعام ، الآية ١١٠ .

١٨٥- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٥١/ ٢٥ ، ٥٨/ ١ ، ٥٩/ ٥ ، ٦١/ ١١ ، ٧١/ ٤٥ ، ٧٢/ ٤٨ ، ٩٨/ ٣٢ ، ١١٩/ ١٨ ، ١٣٣/ ٢٤ ، ١٤٨/ ٧ ، ١٥٣/ ٢٣ ، ١٥٥/ ٢٩ ، ١٦٦/ ٢ ، ١٧١/ ١٣ ، ١٧٣/ ٢٠ ، ١٧٥/ ٢٨ ، ٩٢/ ٦ ، ٢٠١/ ٣ ، ٢٠٩/ ١٤ ، ٢١٣/ ٢٦ ، ٢١٨/ ٤١ - ٤٢ ، ٢٢٤/ ١٨ .

١٨٦- السابق ٧١ - ٧٢/ ٤٦ - ٤٨ ، والعسجد : الذَّهب ، وأستفيده وأستجدُّه بمعنى واحدٍ ، ويُنْظَر أيضًا المواضع ٥١/ ٢٥ ، ١٧١/ ١٣ ، ٢١٨/ ٤١ ، ٤٢ .

١٨٧- يُنْظَر : السابق ٤/ ٧١ - ٧٢ .

١٨٨- يُنْظَر : همع الهوامع ٢/ ٢٥١ .

١٨٩- الحجر ، الآية ٤ ، وتجدر الإشارة إلى أنَّ للأستاذ عباس حسن رأي في هذه الآية ، وهو أنَّ الجملة الواقعة بعد (إلاّ) في هذه الآية الكريمة (نعتٌ) والواو التي في صدرها هي واو زائدةٌ ، تلتصق بأول الجملة النعتية لتقوِّي دلالتها على النعت وتزيد التصاقها بالمنعوت ، ويسمُّونها بذلك واو اللصوق : يُنْظَر : النحو الوافي ٢/ ٣٩٧ هامش ١ .

١٩٠- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ١١٩/ ١٨ ، ويُنْظَر أيضًا المواضع ٥٨/ ١ ، ٧١/ ٤٥ ، ١٤٨/ ٧ ، ١٥٥/ ٢٩ ، ١٦٦/ ٢ ، ١٧٣/ ٢٠ ، ١٧٥/ ٢٨ ، ٢٠١/ ٣ ، ٢٠٩/ ١٤ ، ٢٢٤/ ١٨ .

١٩١- السابق ٤/ ١٢٠ .

١٩٢- دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٢ ، وتجدر الإشارة إلى أنَّه إذا كان ضمير صاحب الحال في الاسمية الحالية بعد الواو غير مبتدأ ، فيجوز تضمين هذه الجملة ضمير صاحب الحال ، نحو : أقبل محمد ويده على رأسه ، ويجوز تَرْكُ التضمين ، نحو : جاء زيدٌ وعمرو ضاحك : يُنْظَر : شرح المفصل ٢/ ٦٥ .

١٩٣- شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ٥٩/ ٣ - ٥ ويُنْظَر أيضًا المواضع ٦١/ ١١ ، ٩٨/ ٣٢ ، ١٣٣/ ٢٤ ، ١٥٣/ ٢٣ ، ١٩٢/ ٦ ، ٢١٣/ ٢٦ ، والمها : بقر الوحش ، وعنى بها النساء ، و (يولّى) : من الوَلْي ، وهو الثاني من المطر ، والهاء في (كلها) للمها ، وفي (جفنيه ، وخده) يعود إلى لفظ (كل) يُنْظَر : المصدر نفسه ٤/ ٥٩ .

١٩٤- يُنْظَر : السابق ٤ / ٥٩ .

١٩٥- يُنْظَر : أوضح المسالك ٢ / ٣٠٩ هامش ٣ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٥٠ .

١٩٦- في بقية المواضع التي تقدم فيها الخبر على المبتدأ في الجملة الحالية ، كان التقديم وجوبا ، لعدم وجود مسوغ آخر من مسوغات تقديم الخبر سوى تقديم الخبر شبه الجملة ، و ذلك في المواضع ١٥٣ / ٢٣ ، ١٩٢ / ٦ ، ٢١٣ / ٢٦ .

١٩٧- د . مصطفى الضبع : استراتيجية المكان ، ص ٣٥٨ ، ويُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٤ ، وسيفيات المتنبي ، ص ١٨٦ .

١٩٨- د . محمد حماسة : العلامة الإعرابية ، ص ٣٢٨ ، ويُنْظَر القضايا التركيبية في شعر الأعشى ، ص ٢٧٤-٢٧٦ .

١٩٩- يُنْظَر بقية المواضع شرح الديوان ١٥٣ / ٢٣ ، ١٩٢ / ٦ ، ٢١٣ / ٢٦ .

٢٠٠- دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢٠١- السابق ، ص ٢٠٣ .

٢٠٢- يُنْظَر ذلك في المواضع ٦١ / ١١ ، ٩٨ / ٣٢ ، ٣٣ / ٢٤ .

٢٠٣- الجملة في الشعر العربي ، ص ٢١٦ .

٢٠٤ شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٩٨ / ٣٢ - ٣٣ .

٢٠٥- يُنْظَر : السابق ٤ / ٩٠ ، هامش ١ حيث تعليق المحقق .

٢٠٦- يُنْظَر : السابق ، ٤ / ٨٩ - ٩٠ .

٢٠٧- يُنْظَر : دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٢ .

٢٠٨- يُنْظَر : شرح ديوان المتنبي ، الجزء الرابع ، ٦١ / ١١ ، ١٣٣ / ٢٤ .

٢٠٩- د . محمد فتوح أحمد : جدليات النّص ، ص ٥٢ ، ويُنْظَر : اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان ، ص ٦٠ .

* * *

المختصرات النحوية: نشأتها وأغراضها ومناهجها

الدكتور علي محمد هنداوي

كلية الآداب - جامعة عين شمس

مقدمة :عرف التأليف في النحو أشكالا عديدة منذ نشأته ، فمنه ما اتخذ شكل المطولات ، ومنه ما ألف شرحًا لمسائل مشكلة ، ومنه ما وضع عرضا للخلاف بين علماء المدارس النحوية ، أو انتصارا لبعضها ، ثم كانت المنظومة النحوية ، وشروحها ، وكذلك المتون وما تبعها من شروح وحواشٍ وتقريرات ، وظهرت مختصرات النحو منذ عهد مبكر ، واستمرت على امتداد القرون ، وكان بعضها موضوعا من أول أمره على صورة الاختصار كما يتبين من عنوانات بعض الكتب ، كما كان بعضها اختصارًا لكتاب سابق معروف تيسيرا للطالب أو توفيرا لجهد الباحث أن يشق عليه أمر تلمس رأيٍ في مسألة أو شاهد في باب .

وتكمن أهمية بحث المختصرات النحوية في تعرُّف مناهج علمائنا في عرض مادة النحو وكذلك الصرف ، بالقاعدة والشاهد ، وما يرتبط بهما من إشارات اهتم بها بعض النحاة ، إلى تعدد القراءات وأثره في القاعدة ، فضلا عن تبين آليات الاختصار التي صرح بها بعض من وضعوا مختصرات نحوية .

وقد عرضنا في المدخل نشأة المختصرات والغاية منها ، وتطور أمرها في العصور الإسلامية المتعاقبة بين مونها اختصارًا أصيلا ، أو اختصارًا لمطولة نحوية سابقة ، أو في سياق المؤلفات التي وضعت في عصور المتون والشروح والتقريرات .

وقد اتخذنا مصطلح النحو في العنوان والدراسة به ما كان يعنيه الأقدمون به شاملا النحو والصرف جميعًا ، وهو كذلك ما كانوا يسمونه بالعربية في بعض المؤلفات ، وكذلك فإننا أوردنا في قائمة المختصرات كتبًا تتضمن عنواناتها مصطلحات "العربية "و"النحو والصرف "و"الصرف."

وقد اتخذنا في دراستنا هذه نموذجًا للمختصرات ـ مؤلفات ابن هشام الأنصاري : الإعراب عن قواعد الإعراب ، وقطر الندى وبل الصدى ، وشذور الذهب ، وقد قام الأبذي (ت ٨٦٠هـ)باختصار الكتاب الأول "الإعراب عن قواعد الإعراب "في مخطوطة قمنا بتحقيقها وبيان منهجه في اختصارها ؛ أما الكتابان الآخران فقد وازنا بين الكتاب المختصر والشرح الذي وضعه ابن هشام نفسه لهما .

النشأة والأغراض (مدخل):

تعد مختصرات النحو أحد أشكال التأليف النحويّ التي عالجها علماؤنا من قديم ، وتناثرت في أثناء الكتب إشارات إليها وإلى الغرض منها ، وقد ربط بعض الباحثين بينها وبين غرض تعليميّ هو تيسير النحو العربي لناشديه من الصبيان ومن في حكمهم ، إذ يتوخى في المادة العلمية التي تقدم إليهم الإيجاز والقِصر ؛ وقد فرق بعض القدماء بين الكتاب ذي الغرض التعليمي الذي يناسب الصبيان فيكون قصيرًا ، والمطول الذي يناسب غيرهم ممن تقدموا في هذا العلم ؛ نلحظ ذلك مثلاً فيما أورده صاحب كشف الظنون (٢١٢ - ١/٢١١)عن عضد الدولة الذي سأل أبا علي الفارسي أن يضع له كتابا في النحو ، فوضع له الإيضاح "ولما رآه ـ أي رأى الإيضاح العضدي ـ استقصره وقال :ما زدت على ما أعرف شيئًا وإنما يصلح هذا للصبيان ، فمضى الشيخ وصنف التكملة وحملها إليه ، فلما وقف قال :قد غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو !".

وبالإضافة إلى معيار الطول أو القصر الذي نفهمه من الرواية السابقة نفهم كذلك أنه كان ثم إدراك من قديم للفرق بين الكتاب التعليمي الذي يؤلف لفئة عمْريّة بعينها ، وبين ما يؤلف للمتخصصين من أهل الفن من مطولات مبسوطة تناقش في أثنائها مسائل تجاوز قدرة المبتدئين وتعز على خبراتهم ؛ وإذا لم يكن الغرض التعليمي ملحا عند سيبويه والمبرد مثلا ـ هذا إذا كان واردا في الأصل ـ فإنه لم يغب عن عقل كثير من النحاة ، حتى في بواكير التأليف النحوي ؛ فقد كان منهج الدراسة في الصدر الأول يتألف

من تعلم علم اللغة العربية لعلاقتها الوثيقة بفهم القرآن الكريم ، فكان تعلمها موضوعًا ينبغي على كل متعلم دراسته ، ومثله علم النحو الذي كان ضمن المنهج أيضًا ، إذ بواسطته يستطيع غير العرب ضبط اللغة العربية ، بل إن العرب أنفسهم صاروا بحاجة إلى قواعد النحو لكي تساعدهم على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وتفسير معانيه تفسيرًا صحيحا (١) "

ويشير بعض الباحثين إلى حلقات العلم في المساجد ، ويقصد بها الحلقات التي كان يدرس فيها مختلف العلوم ، كالنحو مثلاً الذي كانت له حلقات أشهرها حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢)؛ وفي معجم المؤلفين ٢١٣ / ٨أن أبا الطيب الوشاء محمد بن أحمد بن اسحق بن يحيى أديب نحوي أخباري من أهل بغداد كان يحترف التعليم ، وأخذ عن المبرد .

ويرى الدكتور شوقي ضيف قِدم التأليف في المختصرات ، إذ "أخذت تؤلف في النحو بعد سيبويه كتب مطولة ، وكان طبيعيا أن تظهر الحاجة إلى وضع مختصرات وملخصات لكتاب سيبويه وغيره من كتب النحو المطولة حتى تستطيع الناشئة أن تستوعب قواعده وتتمثلها في يسر .وكان من أوائل من اهتموا بذلك الأخفش سعيد بن مسعدة حامل كتاب سيبويه عنه وناشره في الناس المتوفي (٢١١هـ)؛ يدل على ذلك عنوان كتابه :الأوسط في النحو ، وصنع صنيعه أبو محمد اليزيدي وتلميذه أبو عمر الجرمي المتوفي(٢٢٥)هـ ، فلكل منهما مختصر في النحو ؛ ويتتابع صنع المختصرات للنحو في المدرسة البصرية وبالمثل في المدرسة الكوفية منذ إمامها الكسائي المتوفي (١٨٩)هـ فله مختصر في النحو ؛ وعلى هذه الشاكلة أخذت مختصرات النحو تظهر مبكرة منذ القرن الثاني للهجرة بغرض تيسير النحو وتقريبه من أذهان الناشئة .ويبدو أن كثيرين من معلميهم ظلوا لا يكتفون بالمختصرات يعرضونها عليهم ، مما جعل الجاحظ في القرن الثالث الهجري ينصح معلم الصبي الناشئ بقوله :أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه ،

وما زاد على هذا فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع ، وإنما يرغب في بلوغ غاية النحو ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج إلى جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد ...ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه ، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ولا يضطر إليه شيء " (٢)

ويرى بعض الباحثين أن مختصرات النحو وغيره من العلوم نشأت مصاحبة لظاهرة المتون المنثورة والمنظومة التي نشأت لأمرين أولهما تسهيل التعليم وتيسير الحفظ والاستذكار والاستيعاب ، والآخر المعاونة على حفظ أصول العلوم وقواعدها ، "وتبعا لهذه الأهداف كان لا بد أن تتميز طبيعة المتون بالاختصار والاقتصار على الأسس ، وبالاكتفاء بالايجاز والتلميح بدلا من الإسهاب والتصريح .وقد اقتضى وجود المتون بالضرورة شراحًا وموضحين (يسمي الشيخ خالد الأزهري ابن هشام في شرح التصريح :الموضح ، وكذلك يفعل الشيخ ياسين في حاشيته عليه)(١)؛ فوضع لها العلماء المصنفات الشارحة الموضحة وتوخوا فيها التدرج والتنويع ، فتراوحت لذلك بين الطول والقصر وتفاوتت بين السهولة والعسر وأصبح فيها الوجيز والوسيط والبسيط ...ودعت الضرورة بعد تأليف المتون والشروح إلى الحواشي المطولة لإيضاح شروح المتون وحل مستغلقها وتبسيطها ، فأخذ العلماء يصنفون هذه الحواشي ويستدركون فيها وينبهون ويضيفون الأمثلة والشواهد والآراء وغيرها ..أما التقريرات فهي بمثابة هوامش كان يسجلها المعلمون والمصنفون على أطراف نسخهم مما يعن لهم من الخواطر والأفكار والملاحظات على نقطة معينة أو نقاط متعددة من هنا وهناك في أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي أو بالتصنيف عليها ، يستدركون من خلالها على ما يعدونه نقصا أو خطأ أو غموضًا فيها ، ومع الأيام طبعت هذه التقريرات في مكانها من الهوامش إلى جانب الشروح والحواشي ، وأصبحت لأكثرها أهمية بالغة وقيمة كبيرة وهي في إطارها الخاص وطابعها الموجز ومحتواها المكثف أشبه بالمتون

وإن اختلفت عنها بأنها نتف متفرقة في معارف متنوعة ليس فيها ما في المتون من الرابط العلمي العام والجامع الموضوعي المشترك ، ولا يربطها ما يربط المتون من اتساق وتساوق ولا ينتظمها ما ينتظم المتون من تسلسل في الموضوعات ووحدة في البحث ..وعندما استقر هذا النظام التأليفي القائم على المتون والشروح والحواشي والتقريرات عمد بعض العلماء المصنفين في دورة معاكسة إلى اختصار الشروح والحواشي المطولة وإلى الاختيار مما كان من هذا كله إلى ما يشبه المتون مرة أخرى ، وذلك لما رأوه فيها من التزيد الشديد ، ومن الخروج الكثير عن الموضوعية ومن الاستطراد إلى ما لا حاجة ماسة له في مجال البحث . (٥)

وقد انتشرت ظاهرة المتون والشروح في العلوم المختلفة في عصور المماليك ، وأصبحت طابعًا شاملا لتدريس هذه العلوم ومنهجا سائدًا من مناهج التأليف فيها ؛ وقد اتجه علماء هذه العصور إلى المتون فضبطوا فيها أصول العلوم بدقة وإحكام وجمعوا ولموا شعثها في صعيد واحد بعبارة موجزة جامعة دقيقة الإشارة يستطيع الدارس أن يستوعبها بأقصر طريق وفي أقل زمن .وغلا بعضهم في إيجاز المتون وضغط عبارتها حتى بلغت حد الرموز، ثم وجدوا بعد ذلك أن المتون جميعها بحاجة إلى شروح توضحها فأخذوا في تصنيف الشروح لما صنفوا من المتون ، وأسرفوا في ذلك إسرافا أدى إلى أن توصف عصورهم من أجله بأنها عصور المتون والشروح وفي ظني أن الإكثار في عصور المماليك من المتون خاصة إنما كان لشدة حرص علماء هذه العصور على سرعة تلافي ما ضاع من كتب العلم في كارثتي المشرق في بغداد والمغرب في الأندلس ، وذلك بجمع شتات العلوم في قبضة اليد في صورة المتون ، وأن الإكثار من الشروح في هذه العصور إنما كان لأن هذه العصور جاءت بعد عصور سابقة عاش فيها أئمة محققون مجتهدون تركوا تراثا متكاملا ، فوقر في نفوس العلماء أنه ليس لديهم زيادة لمستزيد ، وأنه لم تعد لديهم طاقة أو عندهم متسع للاجتهاد فسدّوا بابه واتجهوا إلى الشروح يوضحون بها ما بين أيديهم من المتون ، وأكثروا منها على النحو الذي رأيناه

من الحشود الماثلة بين أيدينا منها .يقول الدكتور محمد كامل حسين فيما يبدو كأنه أنسب ما يمكن أن يذكر في تعليل ظاهرة المتون والشروح التي سادت نظام التأليف في عصر المماليك "إن العلوم إذا تم تكوينها ووضعت قواعدها تمر على العلماء فترة بعد ذلك طويلة أو قصيرة لشرح هذه القواعد أو نقدها ؛ ويكثرون من التأليف حول هذه القواعد دون أن يحاولوا وضع قواعد جديدة ، بل يفرعون على هذه الأصول القديمة دون مساس بالقديم ؛ هذا ما كان عند اليونان بعد عصر الفلاسفة ، وهذا ما حدث أيضا للمسلمين في جميع الأقطار الإسلامية بعد أن وضعت قواعداللغة ودون الأدب العربي بألوانه وفنونه ..فهذه الفترة فترة ركود انصرف العلماء فيها عن وضع أصول جديدة وقواعد متباينة عن القديم ، وقد مرت بها مصر الفاطمية بل مرت بها جميع الأقطار الإسلامية (٦)..

ولم يكن النظام التأليفي القائم على المتون والشروح والحواشي والتقريرات والمختصرات منهج تصنيف فحسب ، بل كان منهج تعليم أيضا ، فقد رأينا المعلمين يبدأون في العادة بعد أن يحفظ الطلاب المتون في شرح ألفاظها وحل ما كان معقدا منها وإيضاح المراد بها عن طريق الشروح والحواشي وما يتبعهما ، وهو أسلوب تعليمي يحتاج من المعلم والدارس معًا جهدا قويا وملكة مناسبة وقدرات خاصة وقابليات متميزة .

وقد نقد ابن خلدون المتون والتلخيصات التي يهدف أصحابها إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين "فأركبوهم صعبًا يقطعهم عن تحصيل الملكات الناقصة وتمكنها(٧) "

ويرى كثير من المحدثين أن هذا النوع من المؤلفات أفسد العلوم وعبر عن مظاهر التخلف ودل على جمود الملكات ، "وأن المتون نشأت عند المتأخرين في عصور المماليك حين أجدبت العقول وانعدم الإبداع وكلّت القرائح عن الإتيان بجديد من العلم ، وحين انصرف العلماء إلى تكرار ما ورثوه وإلى إعادة صوغه نظما ونثرا على شكل متون وإلى التلاعب بصياغات الألفاظ والانصراف إلى الحيل اللفظية والأحاجي

الشعرية والنثرية والنكات اللغوية ، وإن أكبر عيب في المتون وكذلك في المختصرات هو إيجازها المخل الذي أدناها من المعميات وذلك بسبب ما أدى إليه هذا الاختصار من تكديس المعاني واختزال الألفاظ وقصور العبارات والتوائها وغموضها ، وإن أكبر عيب في الشروح والحواشي ومثلها التقريرات هو اشتغالها بالمظهر دون الجوهر ، وتشاغلها بالألفاظ عن المعاني ، وتلهيها بالقشور عن اللباب واختيارها الأمثلة مرددة مكررة لا تتجاوزها إلى غيرها كاختيارها الدائم في كل أمثلتها زيدًا وعمروا وضرب زيد عمرا ونحو ذلك وترديدها الجمل معادة مبتذلة وإكثارها من حشد الآراء ورص المسائل بمناسبة وغير مناسبة ، وتعرضها لأمور ليست من صلب الموضوع ...كذلك رموها بالإكثار من التعرض لقضايا المنطق والكلام وللتعليل الفلسفي وبأنها مملوءة بالحدود الكثيرة المتضمنة للقيود والاحترازات المعقدة ، وذكروا أن ذلك كله لا يفيد النحو عندهم في شيء ....لأنه علم تحفل كتبه من غير المتون والشروح وما بني عليها بكثير من وجوه الخلاف بين النحويين ، وتزدحم بالآراء الكثيرة في التأويل والتوجيه وفي العوامل والعلل النحوية وغير ذلك ، وفي هذا كله مجال فسيح للتمرين على البحث والتدريب على الجدل في المباني عن طريق تحكيك الألفاظ والتعامل مع العبارات ، وفي المعاني من خلال توجيه الكلمات وتأويل التراكيب ، فضلا عن تحصيل المعارف العلمية ذاتها وإثراء العقل باستيعابها :

وقد رميت أيضا بأن المهتمين بهذا النظام التأليفي المنصرفين إلى درسه فحسب المعجبين به وحده المتعلقين بتحكيك ألفاظ النصوص فيه دون سواها هم في النهاية أعجز من غيرهم عن تطبيق معلوماتهم النحويةعليه وعلى أمثاله لقلة خبرتهم في التطبيق ، كذلك رميت هذه السلسلة من التأليف بأن أساليبها ومحتواها ومناهج تصنيفها لا تتفق مع الحقائق التربوية الحديثة والمناهج التعليمية العصرية لأنها من جهة تتسم بصعوبة الأسلوب ووعورة المضمون وتهويش المنهج ، ولأن ما فيها من القواعد لا يناسب من جهة أخرى قابليات الطلاب بصورة عملية لخلوها في الغالب من التمارين التي تساعد

على ترسيخ القواعد في أذهان الطلاب وتعاونهم على التطبيق العملي ، ولمراوحتها أيضا بين الزيادة في بعض المسائل والنقص في مسائل أخرى ولأنها لم تكن كذلك تمهد لقواعدها بالمقدمات اللازمة والعناصر الواضحة .

في هذا النظام من التصنيف، على الرغم من كل ما قدره مناهضوه خصوبة علمية تتجلى في كثرة المعلومات وتنوعها وطريقة عرضها المتميزة ، بالإضافة إلى ما فيه من الطرائف والفرائد والاجتهادات والإضافات والموازنات والمناقشات المصوغة جميعا في منهج للتأليف يناسب زمانه ويطابق ما يحتاجه طلاب ذلك الزمان من الذين فرغوا للتحصيل وتهيئوا له وأكبوا عليه وانصرفوا عما سواه ، ويتلاءم مع من سار على منوالهم وحذا حذوهم ونهج نهجهم من طلاب كل زمان ، لا يقلل من هذا ولا يحط من قيمته نظريات التربية الحديثة ومقولاتها في طرائق التأليف ووجوه التصنيف في زماننا هذا الذي حفل بالمطابع الحديثة وبسائر وسائل النشر العصرية مما لم يكن متاحا قبل ذلك فيما مضى من الأزمان .

ولا مناص من الإقرار بأن العلم في هذا النظام هو أغزر منه فيما تلاه من المؤلفات الحديثة ، وأن التحصيل منها أكثر نفعا وأعظم فائدة من التحصيل من غيرها من الكتب العلمية المعاصرة التي خالفتها في المنهج واختلفت عنها في المحتوى والأسلوب ، وأن الدارس لهذه المصنفات لا بد أن يتحلى بالصبر والكد ...فضلا عن اتصاف المتون والمختصرات بالتكامل والشروح بالشمول والحواشي والتقريرات بالصقل والجلاء ، وهو ما يوجد الباحث القادر على الموازنة بين آراء النحويين ، وعلى المفاضلة بين مذاهبهم ، مع التعليل للمختار منها وإدراك وجوه الرجحان والمرجوحية ...أما الغموض الذي عيبت به هذه المؤلفات فليس مما يعاب ، فالعلم يستحق الكد والمشقة ، كما أن هذا الغموض أمر لم تبرأ منه أمهات الكتب القديمة ، كالذي عرف عن كتاب سيبويه ، وهو ما كان موضع مدح لا ذم له " [٨]لأنه بهذا يشرف قدر العالم وتفضل منزلته ، إذ كان ينال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ، ولو كان كله بينا لاستوى في علمه

جميع من سمعه فيبطل التفاضل ، ولكن يستخرج منه الشيء بالتدبر ، ولذلك لا يمل لأنه يزداد في تدبره علمًا وفهما (٩) "

والخلاصة أنه في سياق الدفاع عن ظاهرة المتون وما يتبعها من شروح وتقريرات وتلخيصات ، يقول القائلون إن هذا النظام التأليفي كان مناسبا للزمان الذي نشأ فيه ، ودعت إليه دواع أهمها حفظ جوهر العلم ولبابه (١٠)

وعلى أية حال فإن حركة التأليف العلمي في عصور المماليك والعثمانيين بما لها وما عليها تمثل حركة عكسية في وضع المختصرات ، إذ اتصفت فيها المختصرات بالتركيز وغموض العبارة وكزازتها ـ الأمر الذي استوجب إنشاء الشروح والتعليقات والتقريرات حولها لبسط مجملها وإيضاح غامضها وفك رموزها ، على حين أن مختصرات القرون الأولى للهجرة كانت في ذاتها تيسيرًا ، سواء وُضِعَ المختصر مختصرًا من أول تأليفه ، أو كان اختصارًا لكتاب قبله مبسوط ، ويظهر ذلك كثيرًا من عنوانه الذي يدل على غرضه وهو العرض الموجز لمسائل النحو ، مثل "الأوسط في النحو "للأخفش الأوسط سعيد بن سعدة (ت ٢١١هـ)، و"مختصر في النحو "لأبي عمر الجرمي (ت٢٢٥هـ)، وقبلهما مختصر الكسائي (ت١٨٩هـ)واليزيدي (ت ٢٠٢)هـ، وبعدهما مختصر ثعلب (ت٢٩١هـ") والمهذب في النحو "لابن كيسان (ت٢٩٩هـ)، ومختصر هشام بن يحي الضرير في النحو(ت٣٠٩هـ)، ومختصر لكذة الأصبهاني في النحو (ت٣١٠هـ).

ولسوف يكون عنوان الكتاب مؤشرًا نهتدي به في وصف مؤلف نحوي ما بأنه مختصَر ، إذ ليس بالإمكان الاطلاع على تراث المختصرات النحوية كله ، فكثير منه فقد ولم يبق منه إلا الاسم ، كما أن العنوان كان دليل بعض الباحثين في هذا الأمر كالدكتور شوقي ضيف ، مثلما يظهر من الاقتباس السابق من مقاله ، فضلا عن وضوح غاية الاختصار من عنوانات بعض كتب النحو عندما يستعمل المؤلف لفظا مأخوذة من المادة اللغوية ـ أو من مرادف لها كالإيجاز أو الموجز أو الخلاصة ، وإن كانت بعض

العنوانات توهم بمضمون مختصر وليست بمختصرة .

يضاف إلى ما سبق أن ثمة خيطا رفيعًا يفصل بين المختصر النحوي الذي يضم بين دفتيه هيكل النحو وعمود موضوعاته وأبوابه ، دون التفريعات والتفصيلات والأمور الخلافية ، وبين كتاب النحو التعليمي الذي يعنى بالمبادئ الأولى التي لا يكاد يعنَى بها أو يفيد منها إلا القارئ العام المبتدئ غير المتخصص ، وقد يسمى كل من الضربين موجزا أو اختصارًا أو خلاصة ، مع ما بينهما من فرق ؛ كذا ينبغي ملاحظة أن الكتب النحوية الميسرة أو الموضوعة للمبتدئين هي بالضرورة مختصرات وإن لم ينص في عنواناتها على الاختصار ، ولكننا حاولنا الالتزام بما يدل عنوانه على الاختصار صراحة أو ضمنا .

وننبه ها هنا إلى أن منظومات النحو لا تدخل في نطاق بحثنا ، لأنه من ناحية سبق لباحثين آخرين درسها ، ولاختلافها عن سائر المختصرات بصياغتها النظمية ، برغم أنها في ذاتها تميل إلى الاختصار والإيجاز ، وكثيرًا ما يكون التيسير من أغراضها ، كألفية بن مالك التي "كانت ملخصًا غاية في الإيجاز لقواعد النحو والصرف ، غير أن العبارة السهلة الواضحة لم تسعف ابن مالك في كثير من الأحيان ، فغمضت بعض أبياتها وصعب على الناشئة فهمها ، فأخذ العلماء في وضع الشروح عليها ، وتبلغ هذه الشروح المئتين عددًا ، وعلى كل شرح منها عدد من الحواشي والتقريرات بلغ العشرات بل المئين أحيانا (١١) "

وبهذا يمكننا أن نعد منظومات النحو نوعًا من أنواع المختصرات النحوية ، أو شكلاً من أشكالها دفعت إليه ظروف البيئة السائدة في بعض العصور ، وقد أريد بها التيسير ، وإن كان غموض عبارتها وتركيزها أدى إلى نشأة الشروح والحواشي والتقريرات تبعًا لها ، وهو مايرى بعض الباحثين أنه مما لا يلائم الطالب المعاصر لأن استخراج القاعدة من المتن المنظوم يتطلب مهارة في علم العروض لم تعد تتوفر لأكثر الطلاب ، بل لبعض المختصين بالعلم .(راجع:المنظومة النحوية ٩-١٣)

تمهيد :تشترك المعاجم اللغوية العامة ومعاجم المصطلحات ، عند تفسير المختصر في معنى عام واحد ؛ في لسان العرب [١٢]: واختصار الطريق سلوك أقربه ، ومختصرات الطرق :التي تقرب في وعورها وإذا سلك الطريق الأبعد كان أسهل ..، واختصار الكلام إيجازه ، والاختصار في الكلام أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعنى ، وكذلك الاختصار في الطريق ..والاختصار في الجزّ أن لا تستأصله . والاختصار حذف الفضول من كل شيء ، والخُصَيْرَى كالاختصار .

وفي مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٩-١٨٨-٢)الخاء والصاد والراء أصلان أحدهما البرد والآخر وسط الشيء .والاختصار في الكلام ترك فضوله واستيجاز معانيه .وكان بعض أهل اللغة يقول :الاختصار أخذ أوساط الكلام وترك شعبه . ويشتمل التعريفان السابقان على ما يفهم منه أن الاختصار يكون اجتزاءً في اللفظ والمعنى جميعًا .

ويوسع الكفوي في الكليات (٦٠)من مجال معنى الاختصار ، ففيه :اختصر فلان أي أخذ المخصرة ، واختصر الكلام أوجزه بحذف طوله ، واختصر السجدة قرأ سورتها وترك آيتها كيلا يسجد، أفرد آيتها فقرأ بها ليسجد فيها ، وقد نُهيَ عنهما .هو عُرفا : تقليل المباني مع إبقاء المعاني أو حذف عَرض الكلام ، وهو جل مقصود العرب وعليه مبني أكثر كلامهم ، ومن ثمة وضعوا الضمائر لأنها أخصر من الظواهر خصوصًا ضميرًا لغيبة ، فإنه في قوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة)سورة النساء ٤/٨٢، قام مقام عشرين ظاهرًا [كما قال بعض المحققين]

والاختصار - كما يزيد الكفوي - أمر نسبي يعتبر تارة إضافته إلى متعارف الأوساط وتارة إلى كون المقام خليقا بعبارة أبسط من العبارة التي ذكرت ، وقد أكثروا من الحذف ، فتارة لحرف من الكلمة وتارة للكلمة بأسرها وتارة للجملة كلها ، وتارة لأكثر من ذلك ، ولهذا تجد الحذف كثيرًا عند الاستطالة كحذف عائد الموصول فإنه كثير عند طول

الصلة .

ويميز الكفوي في موضع آخر (١٥٩)بين الاقتصار الذي من معانيه الحذف لغير دليل ، وبين الاختصار وهو الحذف لدليل .

وفي كشاف اصطلاحات الفنون يزيد التهانوي الدائرة اتساعا فينص (١٣)على أن مصطلح الاختصار "عند بعض أهل العربية مرادف للإيجاز ، وقيل أخص منه لأنه خاص بحذف الجمل بخلاف الإيجاز ؛ وقيل :الإيجاز عند السكاكي ما يكون بالنسبة مقتضى المقام ...وقال عبد العليّ البرجندي في حاشية شرح الملخص :الإيجاز بيان المعنى المقصود بأقل ما [في الأصل مما وهو تحريف]يمكن من اللفظ من غير حذف ، والاختصار عبارة عن الحذف مع قرينة تدل على خصوص المحذوف والاقتصار عبارة عن حذف لا يكون كذلك ، وقد يستعمل الاختصار مرادفا للإيجاز ، انتهى .وقد يراد بالاختصار الحذف بدليل والاقتصار الحذف بغير دليل كما سبق في لفظ الحذف ، فعلى هذا يكون الاختصار أعم.مما ذكره عبد العلي البرجندي لأنه يشتمل الحذف لقرينة لا تدل على خصوص المحذوف أيضا بخلاف ما ذكره ، وفي بعض الحواشي المعلقة على الضوء ما حاصله الاقتصار ترك بعض الشيء نسيا منسيا كأنه لم يكن كترك الفاعل في المجهول ، وبعبارة أخرى الحذف عن اللفظ والنية جميعا ؛ وبعبارة أخرى الحذف مع كون المحذوف غير مراد ، وعلى هذا قيل لا يجوز الاقتصار على أحد مفعولي باب علمت إذا حذف أحد مفعوليه عن اللفظ لا عن المعنى الجائز كما في قوله تعالى "ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا "بياء الغيبة في قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، أي لا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا ، والاختصار ترك بعض الشيء صورة لا حقيقة ، ويعبر عن عنه أيضا بالحذف عن اللفظ دون النية وبالحذف مع كون المحذوف مرادًا ، وفي شرح هداية النحو في الخطبة قيل الاختصار قلة اللفظ والمعنى وقيل هو مختص بالألفاظ وقيل هو الحذف لدليل وقيل الحذف عن اللفظ دون النية وقيل قلة الألفاظ وكثرة المعاني ، والاختصار عكسه في الكل ، انتهى .وفي الحاشية المنقولة عنه قوله في الكل.

أي في جميع الوجوه المذكورة في الاختصار، أما عكس الأول فلأن الاقتصار غير مختص بالألفاظ ، وأما الثالث فلأن الاقتصار الحذف بدون دليل ، وأما الرابع فلأن الاقتصار الحذف عن اللفظ والنية جميعًا ، وأما عكس الخامس فلأن الاقتصار كثرة الألفاظ وقلة المعاني ".

ويدل كلام أورده صاحب كشف الظنون على أن الاختصار أو التلخيص حذف فضول المعنى أو فروعه ، لا مجرد تقليل اللفظ ؛ فقد سئل الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني أن يختصر الفتوحات المكية ، وقد اختصرها ثم لخص ذلك التلخيص ثانيا وسماه :الكبريت الأحمر من علوم الشيخ الأكبر ، ذكر فيه أن جماعة من مشايخ عصره بمصر سألوه اختصاره بمعنى أنه حذف لهم كل ما لا تمس الحاجة إليه من المسائل ، لا بمعنى تقليل اللفظ وتكثير المعنى ، فأجاب ولم يخرج عن ترتيب الشيخ ..

ويفهم من هذا النص أن من الاختصار أو التلخيص ما هو حذف لبعض المعاني الفرعية وما يعبر عنها من ألفاظ ، مع ترك التدخل في النص الملخص بزيادة فيه أو مخالفة لترتيب المؤلف .

ومن المتوقع أن طبيعة الاختصار وكيفياته يمكن أن تختلف باختلاف النص المراد اختصاره أو تلخيصه ؛ فاختصار الشيخ عبد الوهاب الشعراني فتوحات ابن عربي مثلاً لا بد أن يختلف عن اختصار كتاب في النحو أو غيره من العلوم ، إذ لكل علم ما يناسبه من التناول وما يوافقه من الاختصارات ؛ نلاحظ ذلك جليا عندما نطالع ما وصف به ابن هشام الأنصاري صنيعه في شرح كتابيه (قطر الندى ، وشذور الذهب)، بل نلاحظ أن تقديمه لشرحه اختلف في كل من الكتابين عن الآخر ؛ إذ برغم اشتراك الكتابين في غرض عام يجمعهما ، كما ذكر الشيخ محي الدين في مقدمته لشرح قطر الندى ، فإن كلام ابن هشام اختلف في تقديم كل منهما .

وقد نص الشيخ محي الدين في مقدمة شرح الشذور على أن كلا من الكتابين ، القطر

والشذور ، قد صنفهما ابن هشام للذين شدوا من علم العربية شيئا ، يكون كالمقدمة لقراءتهما وما يهمنا هو إدراك المعاصرين لكون هذين الكتابين قد صُنّفا لغرض تعليمي متعلق بما في مستوى الصبيان .

ويمكننا أن نقرر من عدد من النصوص التي وصلت إلينا في مقدمات بعض المختصرات النحوية (١٤)أن إجراءات الاختصار تتضمن العمليات التالية :

١)الاقتصار على موضع الشاهد

٢)حذف النظائر .

٣)تركيز العبارة .

٤)الإجمال.

٥)حذف وجوه الاستعمال .

٦)ترك الاستطراد ، من إعراب آية أو إيراد قراءات أو ترجيح بين الآراء ، أو شرح معنى لغوي للفظ .

تراث مختصرات النحو :

ـ مختصر في النحو ، لأبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حلسٍ بن معاثة البصريّ ، من التابعين ، ت ٦٩هـ .

وهدية العارفين . ١/٤٣٤

ـ المختصر في النحو ، للكسائي علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي أبي الحسن ، ت ١٨٠هـ ٧٩٦ /م ؛ أو ١٨٩هـ .

هدية العافين ١/٦٦٨، ومعجم المؤلفين .٧/٨٤

ـ المختصر في النحو ، لليزيدي أبي محمد يحي بن المبارك بن المغيرة العدوي ،

١٣٨)- ٢٠٢هـ ٧٥٥ = ٨١٧م (، وفي هدية العارفين ١/٤٤٠بعنوان مختصر في النحو لليزيدي أبي عبد الرحمن عبد الله بن أبي محمد يحي بن المبارك العدوي البغدادي المتوفي حوالي ٢٣٧؛ معجم المؤلفين ١٣/٢٢١

- مختصر العربية ، لثابت بن أبي ثابت الكوفي أبي محمد ، لغوي من أصحاب أبي عبيد القاسم ، كان حيا قبل ٢٢٤هـ ٨٣٩/م .

وفي إيضاح المكنون ٤٥٠/٢بعنوان :المختصر في العربية لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت سعيد الكوفي بلا تاريخ وفاة ؛ معجم المؤلفين ٣/١٠٠

- مختصر في النحو ، للجرمي صالح بن إسحاق أبي عمر البصري ت٢٢٥هـ ؛ وفي معجم المؤلفين ٢/٢٣٢باسم اسحق الجرمي ، وفيه ٣/٥بعنوان "الكتاب المختصر في النحو" لصالح الجرمي ؛ هدية العارفين ١/٤٢٢

- كتاب الموفقي مختصر في النحو ، لثعلب أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد بن سياد الشيباني الكوفي البغدادي(٢٠٨- ٢٩١هـ) ؛ هدية العارفين ١/٥٧

المهذب في النحو ، لابن كيسان أبي الحسن محمد بن أحمد ؛ ت٢٨٨هـ ٩١٢/م؛

وفي هدية العارفين ١٢٣/٢ : ت ٢٩٩ أو٣٢٠هـ والعنوان : مختصر في النحو .

معجم المؤلفين ٣١١/٨ .

- المختصرفي النحو ، لهشام أبي عبد الله بن معاوية الضرير النحوي)ت٣٠٩هـ .

إيضاح المكنون ٤٥٠/٢ .

- مختصر في النحو ، للكذة الأصبهاني ، الحسن بن عبد الله ، أبي علي ويقال لغذة بالغين؛ ت في حدود ٣١٠هـ .هدية العارفين ١/٢٦٨- ٢٦٩، تاريخ الأدب العربي القسم الأول ٢/٥٦٢ولم يذكر الكتاب .

- مختصر النحو للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل ، أبي اسحق النحوي اللغوي

المفسر ت١٣١١هـ/ ٩٢٣م ؛ وفي هدية العارفين ٥/١ : أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن السري ابن سهل البغدادي؛معجم المؤلفين ٣٣/١ .

ـ مختصر في النحو ، لليزيدي أبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد أبي محمد البغدادي النحوي ت ٣١٣هـ ؛ هدية العارفين ٣٠ ـ ٢/٢٩.

ـ مختصر في النحو ، لابن شقير أحمد بن أحمد بن الحسن بن الفرج البغدادي أبي بكر النحوي اللغوي ت٣١٧هـ ؛ هدية العارفين ٥٨/ ٩ .

ـ الموجز في النحو ، للخياط أو ابن الخياط أبي بكر محمد بن أحمد بن منصور السمرقندي ؛ ت٣٢٠هـ ٩٣٢ /م . معجم المؤلفين ٩/٢٣، هدية العارفين ٣١ /٢.

ـ الموجز في النحو ، للعداق محمد بن عبد الله بن محمود بن موسى الكرماني النحوي (٣٢٩هـ ؛ هدية العارفين ٣٥/٢ .

ـ حدود الأكبر ، والأصغر [لعله الحدود] للرماني علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الواسطي الإخشيدي أبي الحسن البغدادي (٣٨٤)هـ . هدية العارفين ١/٦٨٣هـ .

ـ الجوهرة مختصر الجمهرة في النحو ، للصاحب بن عباد ، إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد أبي القاسم الطالقاني الشيعي (٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ . هدية العارفين ٢٠٩/١ .

ـ كتاب المختصر للمتعلمين ، للقاسم العجلاني بن محمد بن رمضان البصري أبي الجود كان حيا قبل ٣٩٢هـ . معجم المؤلفين ٨/١١٨؛ وفي هدية العارفين ١/٨٢٧ ت في حدود ٤٠٠هـ .

ـ المهذب في النحو ، لابن جني عثمان ت٣٩٢هـ ؛ هدية العارفين ٦٥٢/١ .

ـ مختصر في النحو ، لابن النجار الكوفي أبي الحسين محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن فوقة التميمي النحوي ٣١٣ ـ ٤٠٠هـ. هدية العارفين ٢/ ٥٨ .

ـ مختصر في النحو ، لابن السراج أبي أحمد بن قشيط ؛ ت٤٠١هـ .

ـ المدخل الصغير في النحو ، للصغار أبي نصر اسحق بن أحمد بن شيث بن نصر بن شيث بن الحكم البخاري ت بعد ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م .هدية العارفين ٢٠٠/١ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٠/٢ .

ـ كتاب النحو الصغير ، للخطابي أبي محمد عبد الله بن محمد بن حرب بن خطاب الكوفي ت٤١٠هـ .هداية العارفين ٤٤٩/١ ـ ٤٥٠ ، ومعجم المؤلفين ١١٥/٦ . وفي معجم المؤلفين أن له أيضا :كتاب المكتم في النحو ، وكتاب عمود النحو وفصوله .

ـ الملح في النحو ، لابن سينا ، الرئيس الحسين بن عبد الله الحسن بن علي ؛ أبي علي (٣٧٠ـ ٤٢٨هـ).

ـ مختصر في النحتو ، لابن النجار محمد بن جعفر بن محمد بن هارون التميمي الكوفي ، أبي الحسين (٣٠٣ ـ ٤٠٢ هـ) وهناك اضطراب في تاريخ وفاته ، وقد أخذت بالأقرب وهو ما وزد في الأعلام للزركلي ٢٩٩/٦ .

ـ الإيجاز في مختصر الإيضاح في النحو ، لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ هـ) كشف الظنون ٢١٢/١ .

ـ مختصر الإيضاح لأبي علي الفارسي ، للكرماني أبي القاسم نور الدين محمود ابن حمزة بن نصر المقري تاج القراء المفسر الشافعي ,ت في حدود ٥٠٠هـ . هدية العارفين ٤٠٢ / ٢، معجم المؤلفين . ١٦١ / ١٢

ـ مختصر التلقين ، ومختصر إبراهيم ، لإبراهيم التميمي ، ابن أبي عباد اليمني (ت في حدود ٥٠٠هـ)، وفي هدية العارفين أن وفاته في حدود ٥٩٥هـ ، راجع ١٠/ ١ .معجم المؤلفين ٤١/١ـ الترشيح في النحو ، لسليمان بن الطرادة بن محمد بن عبد الله السبائي المالقي الأندلسي أبي الحسين) ,ت٥٢٨هـ .

ـ مختصر في نحو [كذا]! ، للجواليقي أبي منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد ابن

الخضر بن محمد البغدادي اللغوي (٤٦٦ ـ ٥٣٩ هـ) . هدية العارفين ٢ / ٤٨٣ .

ـ عمدة الاقتصاد في النحو ، للحصفكي يحي بن سلامة بن الحسين بن محمد المعروف بالخطيب الحصفكي الشافعي أبي الفضل معين(٤٥٩ ـ ٥٥١) . معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠١

ـ المجمل في شرح الجمل الصغيرة ، لابن الخشاب أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد البغدادي المحدث اللغوي)ت ٥٦٧هـ . هدية العارفين ٤٥٦ / ١.

ـ فصول الصغيرة في النحو [كذا] ، لابن الدهان سعيد بن المبارك بن علي ابن عبد الله بن سعيد البغدادي (٤٩٤ ـ ٥٦٩ هـ) .هدية العارفين ١ / ٣٩١ .

ـ نخبة الإعراب ، لأبي الحسن محمد الخاوراني الخلاطي ؛ ت ٥٧١هـ إيضاح المكنون ٦٣٠/ ٢ .

ـ المقتصر من المختصر ، لابن الحاج القناوي ، شيث وقيل شبيب بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة ، وقيل هدية القفطي ضياء الدين أبو الحسن العزيز المالكي النحوي اللغوي العروضي (٥١٥ ـ ٥٩٩ هـ).هدية العارفين / ١مم ٤١٩، وذكر في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي باسم :المعتصر من المختصر ، مع اختلاف يسير في اسم المؤلف فيه زيادة :القوصي القاضي .

ـ الموجز في النحو ، للنيسابوري محمد بن علي بن الحسن قطب الدين أبي منصور (القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي). معجم المؤلفين ٣١٧ / ١٠ـ ٣١٨.

ـ فرائد الآداب في قواعد الإعراب ، لسليمان بن بنين بن خلف بن عوض الدقيقي المصري تقي الدين أبي عبد الغني ت ٦١٣هـ . معجم المؤلفين . ٢٥٧ / ٤.

ـ تلخيص في النحو .

ـ تلقين في النحو .

ـ تهذيب في النحو .

والكتب الثلاثة للعكبري عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين (٥٣٨ ـ ٦١٦ هـ) هدية العارفين ١ / ٤٥٩ .

ـ شرح الإيجاز في مختصر الإيضاح ، للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب)ت ٦٤٦هـ (سماه :المكتفي للمبتدي .كشف الظنون / ١ ٢١.٢ .

ـ الاقتراح في تلخيص الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وضعه ابن هشام محمد بن يحي بن هشام الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله الخضراوي الأندلسي (ت ٦٤٦ هـ) . هدية العارفين ٢ / ١٤٢ .

ـ مختصر النحو ، للبخاري علي بن محمد بن إبراهيم الضرير حميد الدين أبي الحسين (ت ٦٦٦هـ). معجم المؤلفين ٧ / ١٧٦ .

ـ الملخص في النحو ، لابن أبي الربيع ، عبيد الله بن أحمد العثماني الاشبيلي الأموي ت ٦٨٨هـ . شرح شواهد المغني ٣ / ٦٥ ، هدية العارفين ١ / ٦٤٩ ، الأعلام ٤ / ٣٤٤ ؛ وفي معجم المؤلفين ٦ / ٢٣٦ بعنوان : ملخص القوانين في النحو ، لابن أبي الربيع ؛ أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد العثماني الاشبيلي الأموي(٥٩٩ ـ ٦٨٨ هـ)

ـ مختصر الكافي في النحو ، لابن غصن الاشبيلي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن غصن المالكي النحوي ٦٣١ ـ ٧٢٣ هـ .هدية العارفين ٢ / ١٤٥ .

ـ مختصر الإيضاح في النحو ، للحسن بن علي بن داود تقي الدين أبي محمد الحلي ٦٤٧ ـ ٧٤٠ هـ . معجم المؤلفين ٣ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

ـ اللمحة ، مختصر في النحو لأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ ؛ كشف الظنون ٢ / ١٥٦١.

ـ الجامع الصغير في النحو ، للزبيدي شمس الدين محمد بن أشرف بن عادي الكلاعي الشافعي ت ٧٧٧هـ .معجم المؤلفين ٩/ ٦٣ ، وفيه (١٠/ ٦٦)باسم :محمد بن شرف .

ـ مختصر المفصل للزمخشري في النحو ، للقونوي أبي عبد الله شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس الحنفي ، نزيل المزة ٧١٥)ـ٧٨٨هـ . معجم المؤلفين . ١٢٣/ ١٢

ـ المقتصد في النحو ، لمحمود الوراق بن محمد بن صفي محمد الذهلي نزيل زبيد باليمن ، المدعو خواجه بده ، أبي عبد الله تاج الدين (كان حيا قبل ٧٩٨هـ) . معجم المؤلفين ١٢ / ١٩٦ .

ـ نظم مختصر أبي عبادة في النحو ، للشرجي سراج الدين عبد اللطيف ابن أبي بكر بن أحمد بن عمر الحافظ اليمني الحنفي (٧٤٧ ـ ٨٠٣ هـ . هدية العارفين ١ / ٦١٦ .

ـ المقدمة في النحو ، لجمال الدين عبد الله لن محمد القرافي المصري المتوفي ٨٢٦هـ ، وهو مقدمة لطيفة يتوصل بها إلى معرفة الإعراب بأسهل طريق .إيضاح المكنون ٢ / ٥٤٥.

ـ مختصر مغني اللبيب لابن هشام ، لابن الجندي شمس الدين محمد بن أبي بكر بن آيدغي بن عبد الله القاهري الحنفي ٨٤٤ / ٧٦٥)هـ . معجم المؤلفين . ١٠٦ /٩

ـ مختصر شرح التسهيل لأبي حيان ، لمحمد التلمساني أبي عبد الله الشريف (ت ٨٤٧هـ معجم المؤلفين ٩ / ١٣٨ .

ـ الإرشاد في النحو ، لشهاب الدين الزاولي بن شمس الدين بن عمر الزاولي الدولة أبادي الهندي ت ٨٤٩ هـ ؛ معجم المؤلفين ٤ / ٣٠٩ .

ـ شجرة في النحو ، وأخرى في التصريف ، لمحمد الحصفكي : محمد بن علي بن منصور الحصفكي ثم المقدسي الشافعي ، ويعرف في حصن كيفا بابن الحمصي أبي اللطف ٨١٩ ـ ٨٥٩ هـ . معجم المؤلفين ١١/ ٦٥ .

ـ مختصر مغني اللبيب لابن هشام ، لمحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي ابن سليمان البيجوري الأصل القاهري الشافعي ، ت ٨٦٣هـ . معجم المؤلفين . ١٩٢ / ٨

ـ الشمعة المضيئة في علم العربية .

ـ التحفة السنية في قواعد العربية .

ـ الوفية في اختصار الألفية .

ثلاثة مختصرات في النحو لجلال الدين السيوطي ؛ ت ٩١١هـ .

ـ مقنع الطلاب فيما يتعلق بكلام الأعراب ، للعاملي ، بدر الدين حسن بن السيد جعفر بن فخر الدين حسن بن نجم الدين الأعرج الكركي من علماء الإمامية ؛ ت ٩٣٣هـ . هدية العارفين ٢٨٨ / ١، وإيضاح المكنون ٥٤٨ / ٢بلا تاريخ وفاة .

ـ مختصر في النحو ، للاسفرائيني إبراهيم بن محمد بن عربشاه الخرساني عصام الدين الحنفي ، المتوفي بسمرقند ت ٩٤٤ هـ ؛ هدية العارفين ٢٧/١ .

ـ الوافية في مختصر الكافية في النحو ، لفضيل الجمالي بن علي بن أحمد ابن محمد البكري الرومي الحنفي ٩٢٠)ـ ٩٩١هـ .

معجم المؤلفين ٧٧ / ٨، وفي هدية العارفين : ٨٢٢ / ١فضيل الجمالي بن علاء الدين بن علي بن أحمد ابن محمد الأقصرائي الحنفي .

ـ المختصر اللطيف في علم التصريف ، ليوسف بن أبي بكر الأنصاري ؛ ت أوائل القرن ١١ هـ . معجم المؤلفين ٢٨٢/٣ .

ـ هداية أولي الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ، لأبي بكر الشنواني ٩٥٩ ـ ١٠١٩ هـ ؛ معجم المؤلفين ٥٩/٣ .

ـ نبراس القواعد النحوية ، للرسموكي علي بن أحمد بن محمد ؛ ت ١٠٤٩ هـ . معجم المؤلفين ٧ / ٢٦ .

ـ تجريد الحاشية للعصام على الكافية لابن الحاجب في النحو ، تأليف إبراهيم بن محمد بن عيسى الصعيدي المصري الشافعي برهان الدين الميموني)ويقال أيضا المأمولي) ٩١١ ـ ١٠٧٩ـ هدية العارفين ١ / ٣٢ .

ـ اختصار شرح شواهد الرضى للبغدادي ، لأبي الطاهر بن إبراهيم ابن حسن المدلي الشافعي الشهير بالكوراني (١٠٨١ ـ ١١٤٥ هـ . معجم المؤلفين ٥ / ـ ٣٢ ـ٣١ وفي: ١٩٦ / ٨ مختصر شرح شواهد الرضى للبغدادي ، لمحمد بن إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الشهرزوري وتاريخ وفاته ١٧٣٣ م .

ـ مختصر في النحو ، لمصطفى بن عمر الرومي الحنفي المعروف بالقورشونلي أي الرصاص ، محدث مقرئ نحوي ؛ ت ١١٩٠هـ .معجم المؤلفين . ٢٦٧ / ١٢.

ـ مختصر مغني اللبيب في النحو ، للشرقاوي عبد الله بن حجازي ابن إبراهيم الشافعي الخلوتي الأزهري (١١٥٠ ـ ١٢٢٧ هـ . معجم المؤلفين ٦ / ٤١ ، وفي هداية العارفين ٤٨٨ / ١ : مختصر المغني في النحو .

ـ مختصر في علم الصرف ، لإياس بقطر القبطي ١١٩٨ ـ ١٢٣٦ هـ . معجم المؤلفين ٣١٢ / ٢.

ـ فوائد الولدين في جملة النحو والصرف ، لأحمد جوركي ١٢٧٠هـ . معجم المؤلفين ١٩٤/ ٢ .

ـ مختصر الإعراب في النحو ، لعبد الله بن حسين بن طاهر العلوي الحضرمي ١١٩١ ـ ١٢٧٢هـ .معجم المؤلفين . ٤٦ / ٦.

ـ تلخيص الأساس في شرح البناء والأساس ، لعلي بن عثمان. ت ١٨٦٨ / ١٢٨٥م ؛ شرح لمتن "البناء والأساس في علم الصرف "لأحمد رشدي القره أعناجي وذكره صاحب معجم المؤلفين ١٤٦ / ٧باسم :علي بن عثمان الأقشهري الرومي الحنفي .

ـ التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية ، لرفاعة الطهطاوي ، بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع المصري الحسيني الشافعي ١٢١٦ ـ ١٢٩٠هـ . معجم المؤلفين / ٤ ١٦٨. - البدر الكامل في اختصار التصريف والعوامل ؛ فائز البرزنجي ، أحمد فائز بن السيد محمود بن السيد أحمد بن عبد الصمد الشهرزوري الكردي (١٢٥٥هـ - ....) توفي بعد ١٣٠٨ هـ ؛ هدية العارفين ١٩٣/١.

ـ منحة الكريم الوهاب وفتح أبواب النحو للطلاب ، أحمد النجاري) كان حيا ١٣٩٠ هـ) ؛معجم المؤلفين ٢ / ١٩٣ .

ـ خلاصة النحو ، لحسني الادرميدي ، حسين بن عبد الله المدرس الادرميدي تلميذ نيازي الشمني ؛ ت ١٣١٢هـ .هدية العارفين ١ / ٣٣١ .

ـ مختصر تيسير الطالب ، أبو الفتح الخطيب ، بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم الشافعي الدمشقي ١٢٥٠ـ ١٣١٥هـ .

معجم المؤلفين . ٤٨ / ٨، وفي : ١٨٣ / ١٠مختصر تيسير الطالب للبركاوي ، واسم المؤلف محمد بن عبد القادر بن محمد بن عبد الرحيم الخطيب الدمشقي .

ـ إجمال علم النحو مركس شيخي زاده ، محمد توفيق بن عثمان بن مصطفى الأنقوري؛ ت ١٣١٩ هـ . معجم المؤلفين ٩ / ١٤٠ .

ـ مختصر في النحو ؛ جعفر التُستري ؛ ت ١٣٢٥ هـ ؛ معجم المؤلفين ٣ / ١٤١ .

ـ العجالة في النحو ، لعبد الجليل جميل ، متكلم أصولي منطقي نحوي ولد ببغداد ١٢٧٦هـ ، ورد في معجم المؤلفين ٥ / ٨٢ .

ـ سلالة الصرف .

ـ سلالة النحو .

لإبراهيم الأروي بن عبد العلي الحكيم الشاهاباري ؛ ت ١٣٢٩هـ . معجم المؤلفين ١ / ٤٨ .

- التمهيد في النحو ؛ جواد الزنجاني ... - ١٣٤٩ هـ . معجم المؤلفين ٣ / ١٦٣ .

ـ رسالة في النحو ؛ عبد اللطيف الخزندار ١٢٩٢ - ١٣٧٠ هـ ؛ معجم المؤلفين ١١/١٢٦.

ويضاف إلى ما سبق بعض المختصرات التي لم تنص كتب الأعلام على زمن وفاة مؤلفيها، وهي :

- الضوابط الكافية للتعريف في خلاصة النحو والتصريف ، للعلاء التبريزي ، عبد الله بن علي بن محمد ، ذكره صاحب معجم المؤلفين ٦ / ٩٣ .

ـ مختصر الجعدي في النحو للأديب أبي بكر محمد بن عثمان بن مسبح الشيباني المعروف بالجعدي ، وقد ورد في إيضاح المكنون٤٤٨/ ٢.

- المختصر في النحو ، لأبي جعفر محمد بن سعدان الضرير البغدادي ؛ ورد في إيضاح المكنون ٢ / ٤٥٠ .

- قبسة العجلان في النحو ، للبغدادي أبي محمد موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد ابن علي بن أسعد الموصلي ، ورد في هدية العارفين ١ / ٦١٥ .

- الجامع الصغير في النحو ، لمحمد بن شرف بن عادي ، ورد في معجم المؤلفين ١٠ / ٦٦- مختصر اللمع في النحو لابن جني ، وضعه النظامي ؛ ورد في معجم المؤلفين ١٢ / ١٦١

- شرح مختصر على قواعد ابن هشام ، عبد القادر بن علي بن مصلح القاهري ٨٤٤ هـ - .... معجم المؤلفين ٥ / ٢٩٤ .

ملاحظات

- بدأت حركة المختصرات النحوية منذ بواكير التأليف النحوي ، إذ تنسب بعض المختصرات إلى علماء في القرنين الأول والثاني للهجرة .

- .زادت نسبة المختصرات بما يقارب خمسة الأضعاف في القرن الثالث الهجري ، ثم بلغت ذروتها في القرن الرابع الهجري بنسبة تقارب ٠/٠ ١٥من مجموع ما ألف في المختصرات حتى القرن الرابع عشر الهجري .

- .ظلت حركة المختصرات على امتداد القرون بصورة متفاوتة ، ونسب متباينة أدناها ما أمكن نسبته ـ بعد القرنين الأولين ـ إلى القرن الثاني عشر إذ تبلغ نسبة المختصرات فيه حوالي % ٢,٤على حين تبلغ في القرن الثالث عشر % ٧,٢، ثم تعود إلى ذروتها في القرن الرابع عشر بنسبة % ١٤,٤تقريبًا .

- .ومثلما استغرقت حركة التأليف في المختصرات النحوية العصور المتعاقبة ، شملت كذلك أعلام المدارس والاتجاهات النحوية المختلفة ، كما يتبين من مطالعة أسماء مؤلفي المختصرات ، كأبي الأسود الدولي البصري ، والكسائي وثعلب واليزيدي الكوفيين ، والجرمي البصري ، وأبن كيسان البغدادي ، وابن شقير البغدادي ، فضلا عمن انتمى إلى أحد مذاهب النحو من مؤلفي الأمصار المختلفة كالسمرقندي والكرماني والصفار البخاري ...الخ

- .كان من مؤلفي المختصرات كذلك من هو سني ومن هو شيعي ، ومن هو فقيه شافعي أو حنفي ، أو غير ذلك

- .كان هناك من ألف في المختصرات بلسان غير العربية مثل فائق البرزنجي الذي ألف بالتركية

-عرف تراث المختصرات النحوية طائفة متنوعة من المصطلحات التي تعبر عن معنى الاختصار بشكل صريح أو ضمنيّ ، وأهم هذه المصطلحات كما يتبين من عنوانات المختصرات :

-الإجمال ، ومنه :إجمال علم النحو ، لجركس شيخي زاده ت ١٣١٩هـ .

- المجمل ، ومنه :المجمل في شرح الجمل الصغيرة ، لابن الخشاب)ت ٥٦٧هـ

- التهذيب ، ومنه :تهذيب النحو ، لابن كيسان .

- اللمع ، ومنه :اللمع لابن جني)ت ٣٩٢هـ .

- الجامع ، ومنه :الجامع الصغير في النحو لابن جني ، وضعه النظامي .

- الخلاصة ، ومنه :خلاصة النحو ، لحسني الأدرميدي)ت ١٣١٢هـ .

- العجالة ، ومنه :العجالة في النحو ، لعبد الجليل جميل)ولد ١٢٧٦هـ .

- القبسة ، ومنه :قبسة العجلان ، للبغدادي الموصلي .

- المختصر ، ومنه :المختصر في النحو للكسائي

- السلالة ، ومنه :سلالة الصرف ، وسلالة النحو لإبراهيم الأروي الشاهاباري ؛ ت ١٣٢٩هـ ١٩١١/م . .

- المهذب ، ومنه :المهذب في النحو لابن كيسان ت٢٩٩هـ .

- المدخل ، ومنه :المدخل الصغير في النحو ، للصغار البخاري ت بعد ٤٠٥هـ .

- المُلح ، ومنه :الملح في النحو ، لابن سينا ت ٤٢٨هـ .

- الترشيح ، ومنه :الترشيح في النحو لسليمان بن الطراوة أبي الحسين الأندلسي ت ٥٢٨هـ .

- التلخيص ، ومنه :تلخيص في النحو ، للعكبري عبد الله بن الحسين ت ٦١٦هـ .

- الإيجاز ، ومنه :الإيجاز في مختصر الإيضاح في النحو ، لعبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ .

ـ النخبة ، ومنه :نخبة الإعراب ، لأبي الحسن الخلاطي)ت ٥٧١هـ .

ـ الأنموذج :وهو عنوان كتاب صغير في النحو مختصر من المفصّل .

منهج ابن هشام في القطر والشذور

يسمي ابن هشام "قطر الندى "مقدمة ، ويسمي "شذور الذهب "مختصرا .
في الكليات للكفوي : ٨٦٩والمقدمة ما يتوقف عليه المسائل بواسطة ، فبينهما عموم وخصوص مطلق .

٨٧٠ومقدمة العلم :ما يتوقف عليه صحة الشروع .ومقدمة الكتاب ما يتوقف عليه الشروع على بصيرة ، ويحصل الأول بالتصوير بوجه والتصديق بفائدة .

وتتصف مقدمة ابن هشام لشرح قطر الندى بشيء من العموم ، على خلاف مقدمة شرح الشذور ؛ إذ يصف صنيعه في شرح القطر بأنه نكت رافعة للحجاب كاشفة للنقاب مكملة للشواهد متممة للفوائد ، كافية لمن اقتصر عليها وافية ببغية من جنح من طلاب العلم إليها ؛ فليس في كلامه من آلية منهجية محددة إلا في أمر تكميل الشواهد ، وغير ذلك وصف عام لغرض التيسير المتوخي من الشرح .

ومع ذلك فإن ابن هشام يرجح أحد الآراء في مسألة من المسائل ، فيصرح به في المختصر ، ثم يفصل الخلاف حولها مستدلا لترجيحه ، ومن ذلك ما ذكره في الفعل الماضي من أقسام الفعل ، وأن من الأفعال الماضية نعم وبئس وعسى وليس في الأصح ، ثم ذكر في الشرح أن القول باسميتها مذهب الفراء وجماعة من الكوفيين في اسمية نعم وبئس بدليل دخول حرف الجر عليهما (ص ٣٥)، وأما ليس فذهب الفارسي في الحلبيات إلى أنها حرف نفي بمنزلة ما النافية ، وتبعه على ذلك أبو بكر بن شقير ؛ وأما عسى فذهب الكوفيون إلى أنها حرف ترج بمنزلة لعل وتبعهم على ذلك ابن السراج .وبعد ذلك يصرح ابن هشام برأيه ، بأن الصحيح أن الأربعة أفعال

بدليل اتصال تاء التأنيث بهن ، مستشهدًا وممثلا ، ثم يتأول ما استدل به الكوفيون بأنه على حذف الموصوف وصفته وإقامة معمول الصفة مقامها ويستشهد بشواهد تؤيد مذهبه . (١٥)

أما "شذور الذهب "، فإن ابن هشام كان في مقدمة شرحه أوضح وأكثر تفصيلا منه في مقدمة شرح " قطر الندى "؛ يقول ابن هشام " (١٦) :وبعد ، فهذا كتاب شرحت به مختصري المسمى بشذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تممت به شواهده وجمعت به شوارده ، ومكنت من اقتناص أوابده رائده ، قصدت فيه إلى إيضاح العبارة ، لا إلى إخفاء الإشارة ، وعمدت فيه إلى لف المباني والأقسام لا إلى نشر القواعد والأحكام ، والتزمت فيه أنني كلما مررت ببيت من شواهد الأصل ذكرت إعرابه ، وكلما أتيت على لفظ مستغرَب أردفته بما يُزيل استغرابه ، وكلما أنهيت مسألة ختمتها بآية تتعلّق بها من آي التنزيل ، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل وقصدي بذلك تدريب الطالب ، وتعريفه السلوك إلى أمثال هذه المطالب . "

وقد أورد ابن هشام الأصل المختصر مسبوقا بعبارة :قلت ، وجاء بعده الشرح تسبقه عبارة :وأقول .

وكما نص ابن هشام في مقدمته فإنه يزيد على شرح المتن المختصر إعراب شواهد الشعر فيه ، ويزيد على ذلك توضيح ما قد يرد في الشاهد من لفظ مستغرَب أو كلمة تتعدد وجوه استعمالها ، وهو إذا أورد آية يعربها ، بل يشير أحياناً إلى قراءة أخرى أو أكثر للفظ من ألفاظها .

وآية ذلك استطراده عند الحديث عن المعنى اللغوي للكلمة ، وأنه الجمل المفيدة ، إذ استشهد بالآية(كلا إنها كلمة هو قائلها)سورة المؤمنون ١٠٠/، واستطرد مبيناً أوجه "كلا "بل رجّح تفسيرا لها ؛ وفي حديثه عن الحرف استشهد

بالآية (ومن الناس من يَعبد الله على حرف)سورة الحج ١١/، واستطرد مفسِّرا للآية ، ثم مُعْربا ، بل موردًا قراءتين للفظ في الآية يخرج عن نطاق الاستشهاد . (١٧)

وفي حديثه عن أقسام الكلمة ذكر في شذور الذهب (١٣)أنها اسم وفعل وحرف ، وفي الشرح تحدث عن دليل الحصر والمعاني اللغوية والاصطلاحية للثلاثة ، ثم علامات كل قسم منها مشفوعة بالشواهد المؤيدة ومعترضة بما يشذ من الشواهد ، ثم أنواع الفعل ، وأنواع الحرف ، مستطردًا في أثناء ذلك بعرض القراءات ، والإعراب المفصل لبعض الشواهد ، والإشارة إلى ما يعرض من قواعد مثل إعراب نعت النكرة حالاً إذا تقدم عليها ، بل قد يشير كذلك إلى قاعدة في الصرف مثل أن الواو إذا وقعت بين ياء مفتوحة وكسرة حُذِفت ١٣- ٢٦.

ويحقق ابن هشام في شرحه ، كما رأينا في هذا النموذج ، ما سماه جمع الشوارد في مقابل حذف النظائر في المختصر ، وكذلك إيضاح العبارة وتفصيلها في مقابل عبارة المختصر المركزة القليلة الألفاظ .وقد يكتفي ابن هشام بعرض القاعدة في المختصر بلا شاهد ، ثم يأتي في الشرح بالشواهد ، وقد يكتفي في المختصر بالمثال ، ولكنه عند تفصيل الشرح يورد الشواهد ، كما في حديثه عما يخرج عن الأصل في الإعراب (٣٧وما بعدها)وأما إعراب الشاهد في الشرح بعد تركه في المختصر فإن له أمثلة كثيرة ، منها في جزم الفعل المعتل الآخر بحذف آخره ، قوله تعالى (إنه من يتق ويصبر)سورة يوسف ٩٠/ص ٦٣، وقوله تعالى (أيهم أشد)حيث حقق ابن هشام في الشرح تتميم الشاهد مع إعرابه حيث ذكر الآية (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا)سورة مريم ٦٩/، بل أورد كذلك ما عطفت عليه الآية السابقة .

وقد حقق ابن هشام في شرحه كذلك مبدأ بيان وجوه الاستعمال التي يتركها في الأصل المختصر ، ومن ذلك حديثه عن أوجه "كلا "في العربية وأنها حرف ردع

وزجر ، وبمعنى حقا ، وبمعنى إي)ص١٢، ولها معنى رابع ، تكون بمعنى "ألا . "

ويذكر ابن هشام في شرح الشذور قراءات الآية ، كما في قوله تعالى (خسرَ الدنيا والآخرة)سورة الحج ١١/إذ أورد قراءة خفض الآخرة ، وتوجيهها أن "خسر " ليس فعلا مبنيا على الفتح ، بل وصف معرب بمنزلة فهم وفطن ، وهو منصوب على الحال ، ونظيره قراءة الأعرج (خاسرًا الدنيا والآخرة)إلا أن هذا اسم فاعل فلا يلتبس بالفعل وذلك صفة مشبهة على وزن الفعل فيلتبس به) .ص١٥

وقد يذكر ابن هشام في شرحه آراء غيره دون رأيه ، كقوله في إعراب العلم المنادى الموصوف بابن ، إن بقاء الضم فيه أرجح عند المبرد ، والمختار عند الجمهور الفتح (ص١١٥)كذلك قد يرى ترجيح رأي في مسألة ويستدل لرأيه ، ومن هذا قوله بترك تنوين "إيهِ" التي يؤكد أن معناها امض في حديثك وليس بمعنى حدِّث كما يقولون ، وأن قول القائل :

إيهِ أحاديث نعمان وساكنه

ليس بعربي ، وعند الأصمعي أنها لا تُستعمل إلا منونة ، وخالفوه في ذلك ، واستدلوا بقول ذي الرمة :

وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالم

ويذكر ابن هشام أن الأصمعي كان يُخطئ ذا الرمة في ذلك وغيره ؛ ص ١١٨- ١٢٠

الحواشي

(٦)راجع :تاريخ التعليم عند المسلمين ، د .منير الدين أحمد ، ص ٥٠ـ ٥١، وراجع الكتاب نفسه في الحديث عن معلمي الكتاتيب ، والمؤدبين ، والفرق بين الطائفتين .

(٧)تاريخ التعليم عند المسلمين ٥٤.

(٨)محاولات تيسير النحو التعليمي ٤٢ ــ ٤١.

(٩)انظر مثلا :شرح التصريح ٤٤ / ١.

(١٠)مقالات منتخبة في علوم اللغة ، د. عبد الكريم الأسعد ٤٣٠ ــ ٤٣٢.

(١١)مقالات منتخبة ٤٤٢ .

(١٢)راجع المقدمة ٥٠٢ ــ ٥٠١.

(١٣)راجع مقدمة محقق الكتاب ٣ ــ ١.

(١٤)شرح المفصل ، المقدمة ٢ ــ ١.

(١٥)مقالات منتخبة ٤٥٢ ــ ٤٤٨، وراجع عصر سلاطين المماليك ، محمود رزق سليم ٢٦٠ ــ ٢٥٩ / ٧، والنحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ، محمد أحمد عرفة ٧١ ــ ٧٠نقلاً عن :مقالات منتخبة ٤٥٤.

(١٦)مصادر البحث اللغوي ، د .محمد حسن عبد العزيز ١٤١ ــ ١٤٠، وانظر : المنظومة النحوية ، دراسة تحليلية ، د .ممدوح عبد الرحمن ص ٥وما بعدها

راجع :المنظومة النحوية ١٣ ــ ٩.

(٢٧)حصر ٢٤٣ ــ ٢٤١ / ٤.

(٢٨)في 189 / 2؛ مقدمة المحقق ص 4.

(٢٩)انظر مثلا :مقدمة ابن هشام لشرح شذور الذهب ص. 12

(٣٠)شرح القطر ص 37 – 36

(٣١)مقدمة الشذور 10 .

(٣٢) شرح الشذور 1-12

****

المراجع

ـ الإعراب عن قواعد الإعراب لابن هشام الأنصاري ، مكتبة الآداب بالقاهرة 1411هـ 1991 /م .

ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة المثنى ببغداد ، بلا تاريخ ، عن طبعة استانبول 1951م .

ـ تاريخ التعليم عند المسلمين ، د .منير الدين أحمد ، ترجمة د .سامي الصقار ، دار المريخ بالرياض 1401هـ 1981 /م .

ـ التعريفات للجرجاني ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة 2004م

ـ شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق دمشق 1393هـ/1973 م .

ـ شرح شذور الذهب لابن هشام ،تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١١،المكتبة التجارية الكبرى١٣٨٨هـ /١٩٦٨م.

ـ شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،

- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، تحقيق د.لطفي عبد البديع ، مراجعة الشيخ أمين الخولي ، ترجم نصوصه الفارسية ، د.محمد عبد النعيم حسنين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٨٢هـ ١٩٦٣ /م .

- الكليات ، لأبي البقاء الكفوي ، تحقيق د.عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

- محاولات تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ، د.شوقي ضيف) محاضرة ضمن الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني (، عمان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- مصادر البحث اللغوي ، د.محمد حسن عبد العزيز ، الكويت ١٩٩٧م .

- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ، بغداد ١٣٧٦هـ ١٩٥٧ /م .

- مقالات منتخبة في علوم اللغة ، د.عبد الكريم الأسعد ، دار المعراج الدولية ، الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

- مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الحلبي بالقاهرة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .

- هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، استانبول ١٩٥١م ، مصورة مكتبة المثنى ، بغداد ، بلا تاريخ .

وسائل تنمية اللغة العربية

د. الشريف ولد أحمد محمود

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أهم وسائل تنمية اللغة العربية .

ومن المعلوم أن اللغة - أيا كانت - تنمو وتتسع ثروتها بوسيلتين :

الأولى : التوليد اللغوي الداخلي ، ويكون بواسطة أخذ لفظ من جذور اللغة الأم ، إما بإحيائه بعد أن كان ميتا مهجورا ، أو باشتقاقه من لفظ آخر . ولا يتأتى ذلك إلا إذا صيغ اللفظ الجديد وفق قوالب وأوزان اللغة المعروفة ، مع مراعاة ضوابط التوليد والاشتقاق .

الثانية : التعريب أو الاقتراض الخارجي من اللغات الأخرى ، ولا يُلجأ لهذا النوع إلا إذا تعذر الأول ، من أجل أن تُحفظ للغة خصائصها ، وتُصان حرمتها ، في عصر شاع فيه استخدام الألفاظ الدخيلة دون مسوغ أو ضابط .

وقد حاولت في هذا البحث التعرف - ولو بصورة مختصرة - على أهم وسائل تنمية اللغة العربية ، وإن كنت لا أدّعي أنني أعطيت ما تعرّضت له منها حقه من البحث والتعمق . كما أني أهملت وسائل أخرى - لم يسمح الوقت بتناولها - لا يقل دورها في تنمية اللغة عن دور التي تناولت .

وحسبي أن ألفت نظر القارئ إلى بعضها لعل من هو أولى مني يبحث فيها فيأتي بأفضل مما أتيت به ، فا المتأخر أتمُّ نظرا كما يقال في المأثور .

تقديم:

إن اللغة - شأنها شأن كل الكائنات الحية - تتطور وتنمو وتتولّد ، فتموت بعض ألفاظها ، وتولد بعض الألفاظ ، حسب حاجات الإنسان ومحيطه الاجتماعي والثقافي ، وحتى السياسي والجغرافي . . . إلخ .

فيطرأ على ألفاظها وتراكيبها تغير في الأصوات والدلالة . وقد عبر الدارسون اللغويون عن هذا التطور ، وأجملوا عوامله في أمرين :

(أ) عوامل خارجية تتعلق بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية

والنفسية . فاللغة هي الصورة اللفظية والكتابية لأنشطة الحياة ومعانيها ، وأنماط السلوك والعادات التي تتألف لتشكل ملامح المجتمع البشري .

وإذا كانت حياة المجتمعات المادية تتطور ، وأفكارهم ترقى وتنضج فلا بد أن يستتبع ذلك نموا في اللغة ، وتوسعا في مفرداتها ومعانيها ، لتلبي حاجات الناس في التعبير عن مختلف أوجه الحياة الفكرية .

(ب) عوامل داخلية وتتعلق بطبيعة اللغة ذاتها ، وبنيتها وتطورها الذاتي عبر العصور ، وما يتولد عنها من ألفاظ له جذور من أصل اللغة ، وما يدخلها من ألفاظ نتيجة احتكاكها أو مجاورتها للغة أخرى . . . إلخ .

ويدخل تحت هذا القسم كل ما يتصل باللغة كالأسباب الصوتية والاشتقاقية والنحوية والمجازية والسياقية التي تؤدي إلى تطور في الدلالة .

وسنتعرض إلى تفاصيل هذه الأسباب ونماذج منها في ثنايا البحث بحول الله .

وسنقدم للقارئ من خلال هذا البحث أهم الوسائل أو الطرائق التي تسهم في رفد اللغة العربية وإقدارها على التوسع والتعبير عن مناحي الحياة المستجدة .

وننبه في هذا الصدد إلى أننا لم نتعرض إلى كل هذه الوسائل ، لتعددها من جهة ، ولتداخلها من جهة . وحسبنا أننا ألقينا بعض الضوء على أهمها . فبعض الدارسين ذكر طرائق كثيرة للتوسع اللغوي تحت عنوان التوسع الدلالي أو المجازي أو السياقي .

وذهب بعض الدارسين الغربيين إلى ربط التطور اللغوي بنظرية «التطور التاريخي» التي دعا إليها الفيلسوف المشهور داروين (تـ ١٨٨٨م) في كتابه المعروف بـ «أصل الأنواع» .

وذهب بعض اللغويين بعيدا ، حين حاول تطبيق نظرية داروين على اللغة ، وحاول – تعسفا – أن يبين أن تطور اللغة محكوم بقوانين معلومة ، كالقوانين التي تحكم التطور في الطبيعة .

ومهما أبعد المحدثون في تصورهم أن اللغة كائن حي يتغير تبعا لنواميس الطبيعة ، وأفرط القدماء في اعتبار كل خروج على أنظمة اللغة وقواعدها خطأ أو لحنا تجب محاربته ، فإن في كلا الأمرين – في رأينا – شططا وبعدا عن الجادّة .

والذي عليه أغلب اللغويين أنه يجب أخذ صرامة الأقدمين وحزمهم حرصا على صون اللغة وحفظها من كل ما يمزق أبنيتها وصيغها مما يرد عليها من ألفاظ دخيلة تهدد كيانها وتهدم أركانها .

كما يتحتم الأخذ بجرءة المحدثين وشجاعتهم لتطويع ألفاظ دعت إلى استخدامها الضروراتُ العلمية أو الحاجية ، على أن تكون نشرات ومقررات المجامع هي البوابة الوحيدة لدخول الألفاظ المعرّبة ، خشية أن تُصدر الفتاوى اللغوية جهاتٌ غير مخوّلة علميا ، فتزلّ قدم بعد ثبوتها ، ويتولّى الأمر غيرُ أهله .

أولا: عوامل تطور اللغة:

١ – عوامل خارجية :

وهي العوامل التي تؤثر في اللغة لكنها خارجة عن إطارها . فاللغة تتأثر بعوامل خارجية عديدة يمكن إجمالها فيما يلي :

العامل الاقتصادي : اللغة هي الوسيلة الوحيدة للتواصل ، ولذا فمن الطبيعي أن تتأثر بحركة الأموال ؛ من تجارة وصناعة وزراعة ، وما يستتبع ذلك من مصطلحات تتصل بالمجالات المختلفة للنشاطات الاقتصادية .

العامل الاجتماعي : اللغة هي لسان المجتمع المعبر عن همومه ، الواصف لأنماط السلوك والعادات ، والمعبّر عن حركات الناس وسكناتهم ، لذلك نرى بعض الألفاظ قد يتغير معناها حين تتغير طبيعة المجتمع من البداوة إلى الحضارة ، نلمس ذلك في ألفاظ ، نحو الدار التي كانت تعني في مرحلة متقدمة من المجتمعات العربية البدوية (آثار المنزل بعد الرحيل عنه ، وليست هي الأطلال التي تعني ما تشخص من آثار الديار) ، ثم تحولت دلالتها إلى البيت السكني ، وقل مثل ذلك في السيارة ، التي

هي في الأصل جماعة المسافرين، ثم تحولت عبر الزمن إلى المنتوج الياباني أو الألماني أو الكوري ... المعروف، وكذلك بعض الألفاظ كالبيت والمنزل والأثاث ... إلخ .

العامل التاريخي : التاريخ هو تسجيل حياة الماضين، ومفردات اللغة تتغير مدلولاتها كلما تبدلت حياة الناس في شؤون معاشهم، فكلمة ريشة مثلا أصل معناها ريشة الطائر، ثم تغير معناها لتدل على وسيلة الكتابة، ثم على الفرشاة، ثم على وسيلة الخلق والتكوين[1]، وقس على لفظ ريشة بعض الألفاظ التي تطورت بحسب التطور الحضاري، مثل : البريد والقطار والسكة والجريدة والمجلة والقافلة .

العامل الديني : ويعتبر أهم العوامل وأكثرها مساسا باللغة، إذ نرى كمًّا هائلا من ألفاظ اللغة العربية قد أُميتت بسبب تعارضها مع تعليمات الدين الإسلامي بعد ظهوره، وبُعثت مفردات جديدة دعت إليها ضرورة التدين والتنسك، وغُيرت معاني مفردات كثيرة لتستجيب إلى قاموس شعائر الدين .

ومن أمثلة ذلك الحج الذي يعني في اللغة مجرد القصد، أصبح في الشرع يعني الفريضة المعروفة في الأشهر المعلومة في المكان المخصوص، وكذا الصلاة التي كانت تعني الدعاء، أصبحت تعني العبادة ذات الشروط والأركان المعروفة، والزكاة التي تعني لغة نماء المال، غدت تعني أخذ بعض مال الغني ورده إلى مصرفه من الفقراء .

ويدخل في هذا الإطار تكنية القرآن الكريم عن الجماع بالمباشرة والملامسة والإفضاء والحرث والدخول ... والبعد عن الكلمات ذات الدلالة الصريحة على هذا الفعل .

ومن هذا النحو الابتعاد عن كل الألفاظ الدالة على قضاء الحاجة وأمكنتها، كالغائط (وهو ما انخفض من الأرض)، وإتيان الخلاء والتبرّز ... إلخ .

ومن العوامل الخارجية كذلك، تعايش لغتين أو أكثر في محيط جغرافي واحد لسبب من الأسباب؛ إما بحكم الجوار بين الشعبين، أو بوفادة أحد العنصرين على الآخر، فإنه ينجم عن هذا الاحتكاك اللغوي تأثر وتأثير، وتبادل اقتراض في

الألفاظ ، وتغير في بعض أصوات كل من اللغتين ليتلاءم أو يتقارب مع الخصائص الصوتية للغة المجاورة .

وقد فطن لهذا الاحتكاك اللغوي أبو الأسود الدؤلي حين خاطب زياد بن أبيه قائلا : «إن العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم فأذن لي أن أضع للعرب كلاما يعرفون به كلامهم»[٢] .

كما تنبه أبو الفتح بن جني إلى هذا الاحتكاك الذي ينشأ عن تعايش لهجات مختلفة في محيط جغرافي واحد ، فينجر عنه تأثر وتأثير ، فتتولد أصوات جديدة لم تكن موجودة في هذه اللهجات ، فتأخذ هذه من تلك ، وتلك من هذه ، يقول في باب «تركب اللهجات» مشيرا إلى هذه الظاهرة «تلاقى صاحبا اللغتين ، فاستضاف هذا بعض لغة هذا ، وهذا بعض لغة هذا ، فتركبت لغة ثالثة . . . من ذلك قولهم قنَط يقنَط ، إنما هو لغتان ، وذلك أن قنَط يقنِط لغة ، وقنِط يقنَط أخرى ، ثم تداخلتا ، فتركبت لغة ثالثة»[٣] .

وقد عقد بابا تحت عنوان «باب في الفصيح يجتمع فيه لغتان فصاعدا»[٤] .

١ - ٢ - عوامل داخلية :

وتعني كل ما يتصل باللغة ذاتها ، كالأسباب الصوتية والاشتقاقية والنحوية والسياقية ، فهي إذن عوامل ذاتية ، تكمن في طبيعة اللغة .

فمن الأسباب الصوتية ما يعود إلى تقارب في مخارج الحروف ، فتغدو الكلمة لها صورتان لفظيتان أو ثلاثة ، لكن تدل على اختلاف صورها على معنى واحد ، (الصقر والزقر والسقر) ، وكلها تعني الطائر المعروف[٥] . وكذلك الفصد والفزد ، وهما يعنيان قطع العرق لسيلان الدم[٦] . وقد ينجم عن التغير الصوتي تغير في الدلالة ، من ذاك كلمة «الغلَط والغلَت» ، فالغلط يدل على الخطإ عامة ، أما الغلت فتعني الخطأ في الحساب خاصة[٧] . ومن هذا الباب العض بالأسنان ، والعظ الذي يعني التأثر بمصائب الدهر من حروب وغيرها[٨] .

أما الأسباب الاشتقاقية (أي رجوع بعض الكلمات إلى أصل واحد) ، فربما ينتج عنها اختلاف في المعنى ، وإن كان الأصل اتحاد المعنى ، من ذلك قولهم «ضربه فأشواه» ، أي أصاب شواه (ظاهر جلده وأطراف جسده) ، كما يقال رآه ورأسه إذا أصاب رئته ورأسه ، لكن بعض اللغويين يرون أن معنى ضربه فأشواه ، أي أحرقه ، كما يشوى اللحم في النار(٩) .

أما الأسباب السياقية فيرى بعض اللغويين المحدثين أنها من أهم الأمور التي تساهم في تحديد المعنى اللغوي للمفردات . فقد عنوا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق الذي ترد فيه ، وعلى ذلك عرّفوا المعنى بأنه حصيلة استعمال الكلمة في اللغة ، من حيث وضعها في سياقات مختلفة ، وقللوا من قيمة المعنى المعجمي للكلمة .

وقد بالغ بعضهم حين اعتبر أن الكلمات لا معنى لها خارج السياقات .

ومن أمثلة التغير في المعنى السياقي الناشئ عن كثرة استعمال كلمة في موضع معين كلمة «الفشل» التي تدل على مجرد الضعف ، غير أنها حين استعملت في قوله تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ (الأنفال : ٤٦) في سياق التنازع المؤدي إلى الإخفاق عادة ، ارتبطت في ذهن القارئ بالإخفاق ، فأصبح المعنى المعجمي مرتبطا – في الذهن – بالإخفاق .

وأمثلة اختلاف المعنى المعجمي باختلاف الوضع السياقي لا تخفى على ذي فهم ، إذ الشروح التي يقدمها أصحاب المعاجم ليست في معظمها إلا معاني سياقية . كما أن المعاني المعجمية تتصف بالعموم والمراوغة واحتمال أكثر من وجه ، بينما يكون المعنى السياقي واضح الدلالة دقيق المعنى .

١ – ٣ – عوامل ذاتية :

وتتمثل في اتساع اللغة العربية في التعبير ، وخصائصها الذاتية التي تميزها عن سائر اللغات .

فحينما نصف اللغة العربية بالاتساع التعبير ، ووفرة المفردات ، وتنوع

الدلالات ، وكثرة الاشتقاقات ، فنحن واعون لخطورة ما نذهب إليه من تعصب لهذه اللغة يستلزم تبرير هذا الإطراء ، وإبعاد تهمة التغني بالأمجاد .

ولا جرم أن اللغة العربية تمتلك من آليات النماء ، وطرائق التوسع ما لا نظير له في أغلب اللغات . فهي لغة اشتقاقية ، أثبتت - عبر ماضيها - أنها قادرة على استيعاب ثقافات وحضارات شعوب عديدة .

فحين بدأ عصر الترجمة في العصر العباسي ، وتحديدا في خلافة المأمون بن هارون الرشيد ، استطاع القائمون على هذا الشأن أن يُرفدوا الثقافة العربية بعلوم وثقافات الشعوب اليونانية ، بما تحمل من فنون وعلوم كالفلسفة والمنطق والرياضيات وعلم الفلك والطب . . . فقد وسعت اللغة كل تلك العلوم ، وصيغت بمصطلحات وقوالب عربية فصيحة ، لم تُعوزهَا الوسائل ، إن على مستوى المفردات أو على مستوى التراكيب .

وقد أسعف اللغةَ في هذا الشأن طبيعتُها الاشتقاقية ، التوليدية ، إضافة إلى الكثرة الهائلة في صيغ العربية وأبنيتها اللامحدودة ، التي تسمح بالصياغة على نمطها وأوزانها ، والنسج على منوال قوالبها ، وكذا طبيعة اللغة المجازية ذات المعاني الكثيرة المرتبطة بأصل الكلمة بواسطة العلاقات المجازية ، فضلا عن المعاني المتجددة التي تمليها الاستعمالات ، وتستدعيها ضرورات الحياة المادية والفكرية .

فإذا أضفنا إلى هذه الميزات الذاتية للغة ما كان يتحلى به أغلب العلماء من مرونة وإنصاف ، وبعد عن التعصب اللغوي ، ووعي لغوي ناضج ، يرى في نمو اللغة وتجددها وتعبيرها عن واقع العصر تطويرا لها وإحياء لما مات من مفرداتها ، إذا عرفنا كل ذلك أدركنا ما لهذه اللغة من قدرات وخصائص ذاتية (١٠) .

ينضاف إلى هذه الأمور ، عاملان مهمان يتمثلان في :

● تعمير الكلمات العربية قرونا طويلة لا نظير لها في اللغات الأخرى ، بحيث نلحظ أن اللغة العربية المتكلّمة في صدر الإسلام ، معظم مفرداتها حي مستعمل حتى اليوم .

• أن اللغة العربية مدونة في المعاجم بمستعمَلها ومهجورها ، وهو ما يتيح فرصة إحياء ما هجر ، والتوسع في معانيه ، بدلا من اللجوء إلى التعريب والترجمة والإدخال .

وهناك قاعدة «القياس اللغوي» ، التي دعا إلى الأخذ بها بعض أئمة اللغة القدماء حرصا على إبقاء باب التجديد اللغوي مفتوحا ، ورغبة في أن تظل اللغة معينا جاريا ينبض بالحياة ، ويتجدد بتجدد العصور والمعطيات ، وعيا منهم لخطورة إبقاء مفردات اللغة على ما كانت عليه لما في ذلك من تهديد لها ولتطورها .

فالمفردات محصورة ، والمعاني لا نهاية لها . قال السيوطي في المزهر : «المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية»(١١) .

وكان ابن جني من أوائل الداعين إلى هذا التوسع حين قال : «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»(١٢) . ونلمس في هذه الدعوة رفض الوقوف عند الحدود الضيقة للحواجز اللغوية ، والسعي إلى التوسع في أوزان اللغة وصيغها ، والقياس على المتواتر من ألفاظها . ولهذا قال من قال في العجاج وابنه «إنهما قاسا اللغة وتصرفا فيها ، وأقدما على ما لم يأت به مَن قبلهما»(١٣) .

وقد حاول ابن جني إقامة الحجة بما تيسر له من الحجج الدامغة التي يرى أنها قاطعة لأدلة المانعين ، من ذلك قوله «ومما يدلك على أن ما قيس على كلام العرب فإنه من كلامها أنك لو مررت على قوم يتلاقون بينهم مسائل أبنية التصريف ، نحو قولهم في مثال صَمَحْمَح من الضرب ضَرَبْرَب ، ومن القتل قَتَلْتَل ، ومن الأكل أَكَلْكَل ، ومن الشرب شَرَبْرَب ، ومن الخروج خَرَجْرَج ، ومن الدخول دَخَلْخَل . . . ، ونحو ذلك ، فقال له قائل : بأي لغة يتكلمون ، لم نجد بدا من أن نقول بالعربية ، وإن كانت العرب لم تنطق بواحد من هذه الحروف»(١٤) .

ومن حججه العقلية ، قوله : «وذكر أبو بكر أن منفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرجل اللفظة فيشك فيها ، فإذا رأى الاشتقاق قابلا لها أنس بها وزال استيحاشه منها ، فهل هذا إلا اعتماد في تثبيت اللغة على القياس؟ ومَع هذا أنك لو

سمعت ظرُف ولم تسمع يظرُف ، هل كنت تتوقف أن تقول يظرُف ، راكبا له غير مستحي منه ، وكذلك لو سمعت سَلِم ولم تسمع مضارعه ، أكنت ترِعِ أو ترتدع أن تقول يسلَم ، قياسا أقوى من كثير من سماع غيره . وختم بقوله : ... ونظائر ذلك فاشية كثيرة»[١٥] .

وتفتح هذه القولة المجال لدخول الألفاظ غير العربية ، طالما أنها تتفق مع صيغ عربية صحيحة ، وهو ما يسمى عند علماء اللغة بالتعريب ، أي تطويع الألفاظ الأجنبية للغة العربية . وهو موضوع تناوله القدماء ووضعوا فيه فصولا وكتبا ، حاولوا فيها تبرير إلحاقه بوسائل تنمية اللغة ، وأكدوا أنه رافد من روافد نموها واتساعها ، ومعين متجدد يُمدّ اللغة بما تستدعيه من ألفاظ الحضارة ، وضرورات تواصل الناس وتقدمهم العلمي والتقني .

وقد حصر اللغويون ألفاظا غير قليلة وردت في القرآن الكريم ، من أصل غير عربي ، وألف السيوطي كتابا أسماه «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب» ، ولخص ما جاء به في هذا الكتاب في مبحث من مباحث كتابه «الإتقان» ، تحت عنوان «فيما وقع فيه من غير لغة العرب»[١٦] ، ونبه علماء اللغة في المعاجم والقواميس إلى أصول هذه الكلمات وعجمتها ، وإن لم يمنعهم ذلك من الحكم بأنها عربية فصيحة .

وقد شغل موضوع التعريب ثلة من اللغويين قديما وحديثا ، وإن كان القدماء يتشددون في شأنه ، ويرون في ما عُرِّب في عصر الاحتجاج مقبولا ، وما بعده مرفوض ، بحجة أنه مولّد أو دخيل .

كما تناوله الدارسون المحدثون ، ووضعوا له أسسا وقوانين تبيح ما دعت إليه ضرورة الاستعمال في المجالات العلمية والتقنية ، شريطة أن يُجيزه أحد مجامع اللغة العربية .

واشتهرت ألفاظ معرّبة على ألسنة العامّة في الوقت الحاضر ، كنَجلَز وأمْرَك وفَبْرَك وتَلْفَن ... أما في المجالات العلمية والتقنية فإن الألفاظ المعرّبة لا يمكن حصرها[١٧] .

ويمكن إجمال طرائق توسع اللغة العربية في النقاط الآتية :

ثانيا: التوليد

٢ - ١ - تطور الألفاظ المولّدة تاريخيا :

أول استعمال لكلمة مولّد قد استعمل في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني . أما قبل ذلك فلم يكن استعمال لفظ «مولّد» شائعا بين الناس ، وإنما كانوا يستعملون ألفاظا أخرى للدلالة على أن الشخص أو اللفظ غير عربي ، مثلا «الأعجمي - المولى - الأجنبي» . وهذه ألفاظ تتناسب مع الفترة التي شاعت فيها ، فلم يكن الأجانب قد اختلطوا بالعرب في هذه الفترة . ثم كثر استعمال هذه اللفظة «مولّد» ، وشاعت بين علماء القرن الثاني والثالث ومن بعدهم .

وقد ارتبط هذا اللفظ «المولد» في بداية إطلاقه على الألفاظ التي ترد في معاجم اللغة ، وكتب اللحن والتعريب ، بأنه ليس من كلام العرب ، أو أنه خطأ أو أنه ليس بصحيح مثل قولهم : الكشخنة : مولد ، وليست بصحيحة ، والنحرير : ضد البليد ، وكان الأصمعي يقول : «النحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هي كلمة مولّدة»[١٨] .

وفي الطراز المذهب : هو ما أحدثه المولدون ، وقيل كل لفظ عربي غيرته العامة[١٩] .

وفي الاشتقاق والتعريب : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام وإنما استعمله المولدون[٢٠] .

واللفظ المولّد هو ما استعمله المولدون على غير استعمال الفصحاء من العرب ، وهو أربعة أنواع :

ما استعمله المولدون من مفردات أعجمية لم يعربها فصحاء العرب .

ما نقله المولدون بطريق التجوز أو الاشتقاق ، على أن يكون هذا النقل جار على أسلوب القياس العربي ، ومنه ومن العربي الأصيل تكون اللسان العربي الفصيح .

ما حرّف على ألسنة المولدين من مفردات اللغة العربية تحريفا يتعلق بالأصوات أو بالدلالة ، أو بهما معا ، ولا يمكن تخريجه على أصل من أصول اللغة الفصيحة وهذا ما يسمى بـ «العامي» .

ما جرى على ألسنة المولدين من المفردات التي ليس لها أصل في العربية ولا في غيرها كالحفلطة والشبرقة . وقد أصدر مجمع اللغة العربية قرارا حظر فيه استعمال النوعين الأخيرين[٢١] .

أما الدكتور محمد عيد فالتوليد عنده ثلاثة أنواع :

- الارتجال بالاشتقاق
- التعريب بعد عصر الاحتجاج
- التحويل من المعني اللغوي إلى معنى آخر مولد .

(أ) الارتجال بالاشتقاق وهو أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ، لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ، ولم يشتقوها ، فهي إذن كلمة جديدة على الكلام العربي المتوارث ، كاستخدام النواة الدلالية أو حروف الأصول ، فمثلا كلمة «فسقية» مولدة ، ومادة (ف - س - ق) موجودة في اللغة بمعنى الخروج . ومثل :

«حرّار» لبائع الحرير ، وقد جاءت على صيغة فعّال ، التي تدل على النسبة ، لكن العرب لم يستعملوها من قبل .

ومن التوليد كذلك أسماء الفرق الدينية من سنّة وخوارج وشيعة ومرجئة وصوفية ومشبّهة وزنادقة ومعطّلة وقدرية ، ولم تستعمل هذه الأسماء في العربية أصلا لكونها فرقا طارئة .

(ب) التعريب : ومنه ، (بطاقة : بمعنى رقعة صغيرة ، معرّبة من الرومية ، جريدة : دفتر أرزاق الجيش في الديوان ، كيمياء : الحيلة والحذق ، يونانية) .

(جـ) التحويل : ومنه قصف بمعنى اللهو ، استعملها المولدون في أشعارهم ، وأصل معناه كسر غصن صغير ، مقامة : حيث سموا ما يقام في المجلس من حديث «مقامة»[٢٢] .

٢ - ٢ - نظرة النحاة إلى التوليد :

كان أبو عمرو بن العلاء متشددا في الاستشهاد بأشعار المولدين ، قال : لا يحتج بشعر إسلامي ، «لقد أحسن هذا المولّد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته»[٢٣] ، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق .

وقد تسامح الأصمعي وبعض العلماء ، حتى قبلوا ما جاء من أشعار قبل منتصف القرن الثاني الهجري ، وشملت هذه الفترة أشعار كثير من المولدين واعتبروها حجة . روي عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : عمر بن أبي ربيعة مولّد وهو حجة ، وسمعت أبا عمرو بن العلاء ، يحتج في النحو بشعره ويقول : هو حجة ، وفضالة بن شريك الأسدي وابن الرقيات ، هؤلاء مولّدون وشعرهم حجة[٢٤] .

وقد اتسمت نظرة العلماء الأقدمين للتوليد بأنها غير صريحة ولا حاسمة ، وإن كان يغلب على عباراتهم موقف التحفظ ، والذي جاء عنهم في ذلك الموضوع تعليقات قصيرة متفرقة على بعض الأمثلة المتناثرة التي تذكر في المعاجم أو كتب اللحن والتعريب[٢٥] .

ويمكن إجمال أحكامهم في العبارات التالية :

- الألفاظ المولدة ليست من كلام العرب .
- بعض الألفاظ المولدة خطأ .
- لم يرد به سماع .
- لا أصل له في العربية .
- اختراع محض لا أصل لها .

وهذه العبارات كلها تستند إلى تحديد زمن محدد في الحضر ، هو حوالي منتصف القرن الثاني الهجري ، على ما هو مشهور .

وهو تحديد يمكن أن يناقش ، فالعامل الزمني يُستأنس به لكن لا يكفي ، إذ يجب أن يكون الرفض ناجما عن عدم التطابق مع القواعد النحوية والصيغ الصرفية .

٢ - ٣- الألفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة :

اختلف موقف علمائنا من الألفاظ المولّدة بين الاعتراف بفصاحتها ورفض الاستشهاد بها ، أو الاعتراف بمعانيها واستخدامها في الأدب والانصراف عن بنيتها ودراستها في اللغة ، مما قرره ابن جني بقوله : «فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون ، وقد كان أبو العباس - يعني المبرد - وهو الكثير التعقّب لجلّة الناس ، احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائي - يعني أبا تمام - في كتابه فَي الاشتقاق ، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه»[٢٦] .

ولنا أن نتساءل عن الأساس الذي ركن إليه الأقدمون في إخراج هذه الثروة الجديدة من الألفاظ عن كلام العرب ، وعدم السماح لها بالدخول إلى الدراسة ، إلى أن بقيت حتى اليوم مشتتة تائهة في مصادر اللحن والتعريب والمعاجم ، موسومة بتلك السمة العنصرية «مولدة» . فما الرأي في هذا الموضوع من وجهة نظر المحدثين؟ أو ليست الألفاظ المولّدة مظهرا من مظاهر تطور اللغة؟ !

إن تغير الظروف الاجتماعية الدائم ينعكس تأثيره على اللغة واستعمالها ، فتنزوي ألفاظ لم يعد ثمة حاجة إليها ، وتجدّ ألفاظ أخرى في الاستعمال لدواعي الظروف الجديدة إليها .

ويتم كل ذلك بطريقة تلقائية مستمرة ، تماما كما يتم التغيير في كل المظاهر الاجتماعية الأخرى . والباحث في اللغة من وجهة النظر الحديثة يعترف بالتطور باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للغة كما يحدث لغيرها ، وينظر إليه بهذا الاعتبار ، فيلاحظه ويصفه ، ويصل من ذلك إلى معرفة ما جدّ من عناصر التطور في مرحلة من مراحل اللغة بالمقارنة مع مرحلة أخرى .

وليس من عمل الباحث العلمي أن يقف بدراسته عند فترة معينة ، يحتفي بلغتها ، ويرفض غيرها ، معتقدا أن ما احتفى به هو الصحيح الجدير بالدراسة ، وأن غيره مما لم يسر على نهجه مخالفات ينبغي وسمها بهذه الصفة ، فهي مخالفات حقا إذا وضعت في ضوء مسلك اللغة في مرحلة سابقة ، لكنها بالقياس إلى عصرها ذات قيمة متميزة ، لا تقل في تمثل المستوى الصوابي له عن غيرها من العصور .

وعلى ذلك فإن موقف النحاة من الألفاظ المولّدة قد تحكمت فيه اعتبارات سلّموا بها ثم استسلموا لها ، وهي اعتبارات تعود إليهم ، من تصنيف أنفسهم سلطة تبيح وتمنع ، مع أن عملهم الحقيقي هو الوصف والاستقراء ، كما تعود إلى تعلقهم بربط اللغة المثالية بعصر خاص ، مع أن واقع الأمر أنها ترتبط بالاستعمال وحاجة المجتمع في كل عصر على انفراد ، وينبغي النظر إليها بهذه الصفة ، بدون تفضيل عصر على عصر آخر بالقبول والرفض . وهي أخيرا ترتبط بفكرة الربط بين نقاء العنصر ونقاء اللغة ، فقد وثقوا الأعراب بعد وقف الاستشهاد بالحضر حتى القرن الرابع ، ورفضوا الاعتماد على المولدين في هذا العصر نفسه . فكل هذه الاعتبارات غير مقنعة لغويا ، وقد وجهت نظرتهم في رفض الألفاظ المولّدة .

وقد نقم بعض الغربيين على علماء النحو والصرف وضعهم بعض الحواجز في اللغة التي تحد من تطورها - إن لم نقل تعيقها - يقول براجشتراسر : "الذي منع علماء الشرق- مع بذل الجهد العجيب في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ، ومن جهة المفردات - من الاعتناء الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام ، سببان :

- مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده ، وعلى المنع من كثير من العبارات ، وهذا وإن كان واجبا نافعا ، فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة لا عما كان ينبغي أن يكون .

- اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمي .

وهذا الحكم غير العلمي هو الذي طبقه النحاة على المولّد من الألفاظ لغويا . وهو الذي يفسر تلك المفارقة التي وردت عنهم في الاعتراف بفصاحة المولّد دون حجيته في الاستشهاد ، والاعتراف بمعانيه دون صيغة ، واستخدامه في الأدب دون دراسة اللغة ، أليس هذا عجيبا غريبا؟[٢٧] .

وخلاصة القول أنه يجب علينا - خدمة للغتنا ووفاء لذمة لغويينا على مرّ العصور - أن نرد لما أطلق عليه النحاة «المولّد» قيمته اللغوية باعتباره جانبا مهما من مظاهر تطور الفصحى ، وسبيلنا لذلك جمع شتاته من مصادره ، مرتبة بحسب عصور الفصحى ، ثم استقراء بنية الكلمات فيه ، لمعرفة ما جد من تطور على مسلك الصيغ العربية بسببه .

ثالثا: التعريب:

٣ - ١ - التعريب بين القديم والحديث :

التعريب - بعد عصر الاحتجاج - يقصد به أن ينقل المولّدون كلمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية ، وقد أطلق عليها «مولّدة» تفرقة بينها وبين الكلمات التي عرّبها العرب أنفسهم .

وقد عرب العرب أنفسهم في الجاهلية كثيرا من الكلمات ، ونطقوا بها ، فمنها ما هو واضح العجمة . فأمية بن أبي الصلت كان يستعمل ألفاظا غريبة في شعره فيسمي الإله «السلطيط»[٢٨] ، والسماء «الصافورة والحاقورة» ، ولعله أخذ هذه الألفاظ من الكتب الدينية التي كان يداوم على قراءتها .

وسبب دخول الكلمات غير العربية أن الوفود العربية لم تكن تنقطع عن الرحلات إلى بلاد الفرس والروم والحيرة وغسان والحبشة والهند ، ولا بد أن يكون لهذه الرحلات أثر في تبادل الألفاظ بين العرب وغيرهم .

والدليل على وجود بعض المعرب من الألفاظ في الجاهلية ، هو وجودها في القرآن الكريم ، ورواية بعض الصحابة والتابعين لهذه الألفاظ ووصفهم لها أنها من غير لغة العرب .

من ذلك ما نقله ابن عباس ووهب بن منبه وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك والسدي وأبو عمران الجويني وعمرو بن شرحبيل وأبو موسى الأشعري والزمخشري وابن الحاجب والسيوطي وغيرهم[٢٩] .

وقد رد على هذه الجماعة جمع من العلماء ، قائلين بعدم ذلك ، منهم أبو عبيدة وابن فارس وابن جرير الطبري والباقلاني[٣٠] .

وعلى رأس هؤلاء أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس حيث قال «من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول»[٣١] ، واحتج بقوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف : ٢) .

وكلا الفريقين يرى رأيه ، فالأول يرى أنها عربية باعتبار أن العرب أدخلوها في لغتهم ونطقوا بها ، والثاني يرى أنها غير عربية باعتبار أصلها ، بيد أن ورودها في القرآن يرجح عربيتها ، ورواية الصحابة لها ومن بعدهم ترجح نفس الأمر .

والذين يرون عدم وجود المعرب في القرآن نظروا إلى الأمر من زاوية التورّع وإبعاد الألفاظ غير العربية عن القرآن ، ولم ينظروا إلى أن المعرب من الألفاظ هو ما كان أصله أعجميا ثم استعمله العرب الفصحاء على طريقتهم في ألفاظهم[٣٢] .

وتخضع الكلمة الأعجمية عند تعريبها للأساليب الصوتية العربية ,فينالها التحريف في أصواتها ، ووزنها ، وطريقة نطقها .

فمن تحريف الأصوات أن تزاد فيها أصوات صامته أو صائته ، أو تنقص منها . وقد تبدل من أصواتها أصوات عربية ، كما قالوا في (بارس) فارس ، وقد يبدلون بدون ضرورة صوتية كما قالوا في (دشت) وهو الصحراء في الفارسية دست وفي إشماعيل إسماعيل . وأما التحريف في الوزن فإن الغالب أن تؤول الكلمة الأعجمية عند تعريبها إلى وزن من الأوزان العربية كما في (درهم) و(فهرس) أصبحتا هكذا لتوازن هجرع (وهو الأحمق) وزبرج (وهو السحاب الرقيق) ,وكان أصلهما دراخما(في اليونانية) وفهرست في الفارسية[٣٣] .

وعربوا عن اليونانية مصطلحات طبية وفلسفية ومنطقية وطبيعية وغيرها . وعن السريانية والعبرانية أسماء الأنبياء وبعض المصطلحات الدينية .

ولا خلاف عند العلماء في جواز استعمال المعرب ، وهو ما استعملته الفصحاء ، وقد ورد كثير منه في القرآن الكريم[٣٤] .

أما ما عربه المولدون أو يراد تعريبه فقد رأى مجمع اللغة عدم جواز استعماله لأن في العربية غنيةً عنه إلا في ضرورة قاهرة .

٣ - ٢ - دواعي التعريب :

ازداد مع مجيء الإسلام اختلاط العرب بالأجانب بالفتح والهجرات والرق والخدمة ، وترتب على ذلك استخدام الألفاظ الأجنبية في العربية ,ووجود ألفاظ عربية في اللغات التي احتكت بالعربية ، وهذه الألفاظ المعربة قد ضمت الكثير منها فيما بعد المعاجم العربية ، والمصنفات الخاصة بالتعريب ، دون الإشارة إلى تاريخ استخدامها في اللغة العربية . ومع ذلك فمن المؤكد أن حركة النقل اللغوي في القرن الأول قد استمرت ، وزادت عما كان عليه الأمر في الجاهلية .

على أن العرب اشتدت حاجتهم - في بداية القرن الثاني الهجري- لكلمات جديدة ومصطلحات جديدة ,حيث اتسع نشاط الثقافة العربية تأليفا وترجمة, واستطاعوا أن يتغلبوا على هذا الأمر بمسألتين :

الأولى : التصرف في مدلولات الكلمات العربية الأصل كالفاعل والمفعول والموضوع والمحمول ، وذلك بتحويل المعنى اللغوي إلى معنى اصطلاحي .

الثانية : نقل الألفاظ الأعجمية نفسها إلى اللغة العربية ,وأكثر ما كان ذلك في أسماء النبات والحيوان والآلات والأمراض والمأكولات وسلع التجارة .

وفي حوالي منتصف القرن الثاني الهجري توقف الاستشهاد باللغة في الحضر وشمل ذلك أيضا ظاهرة التعريب في الألفاظ . أما ما نقل بعد تلك الفترة من الألفاظ الأجنبية فقد أطلق عليها اسم «المولّد» .

٣ - ٣ - ظهور المؤلفات في التعريب

كان العلماء قبل القرن السادس يتناولون هذه الظاهرة ضمن كتب اللغة من نحو وصرف ومعاجم ، فتجد استطرادا لها في بعض المؤلفات دون الإطالة أو التعمق .

وكان أول مؤلف يتناول التعريب بصورة معمقة ويخصه بتأليف هو أبو منصور الجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) ، في كتابه «المعرب من الكلام الأعجمي» .

ثم جاء بعده السيوطي (ت ٩١١هـ) فألف «المتوكلي فيما في القرآن من المعرب» .

ثم «شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٩٦هـ) .

ثم «الطراز المذهب في الدخيل والمعرب» لمحمد تهاني[٣٥] .

قواعد تعريب الأعلام الأعجمية:

أقر مجمع اللغة العربية قواعد معينة لتعريب الأعلام الأعجمية وكتابتها بحروف عربية[٣٦] . ونص القرار هو :

(أ) يجيز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم[٣٧] .

(ب) يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلا إذا اشتهر المعرب .

(جـ) ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب(٣٨) .

ويرى السيوطي - وهو من القائلين بوجود ألفاظ معربة في القرآن - أن عدد اللغات المنقول عنها في القرآن الكريم تلك الألفاظ هي عشر لغات (الحبشية - الفارسية -الرومية - الهندية - السريانية - العبرانية- النبطية - القبطية - التركية - الزنجية البربرية) ، وذكر تحت كل لغة الألفاظ المعربة منها وعددها أكثر من مائة كلمة[٣٩] .

٣ – ٤ – التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال :

إن النحاة بوصفهم رعاة اللغة والذابين عن حماها ، قد نصبوا أنفسهم سلطة ، تبيح وتحظر ، وتستحسن وتستهجن ، وهم أحرى الناس بهذه السلطة ، بيد أن اللغة – في نظر بعض المحدثين – كائن حي ، يستجيب لكل المؤثرات ، ويعبر عن متطلبات كل عصر بما يناسبه من الألفاظ ، وما يحتاجه من المعاني ، فلا يتأتى للنحاة الوقوف أمام قوانين التطور اللغوي ، ولكنّ دورهم ينحصر في رعاية هذا التطور ، وتمريره ضمن قوالب وصيغ القواعد العامة للغة ، حتى يصطبغ بصبغة هذه اللغة ، ويخضع لنظمها ، فدورهم دور المفتي في مجال اللغة ، يشَرِّع ولا يملك ما وراء ذلك ، فإن راموا قهر اللغة وإعاقتها جازتهم وغلبتهم .

ويجمع الباحثون المحدثون – وهم يحسون حاجة اللغة العربية إلى النمو والاتساع للحياة الحديثة – على أن اللغة يجب أن تفي للحياة ، وأن تصورها في وجوهها المتطورة المتجددة ، وأننا نسير على سنة السلف والحياة والحق إذا نحن عَرَّبنا[٤٠] .

ويذهب عبد القادر المغربي إلى أن التعريب قياسي ، ويستدل على ذلك بكثرة المروي عن العرب من المعرّب ، ويشير إلى أن قانون الاستعارة معروف وطبيعي بين اللغات[٤١] .

وفي مقابل هذا الرأي المتحمس للتعريب والداعي إليه ، نجد موقفا آخر متحفظا عليه مبالغا في رفضه ، يمثل هذا الموقف الشيخ أحمد الإسكندري وحفني ناصف وسليم الجندي وآخرون[٤٢] .

وخلاصة رأي الإسكندري ومن سار في فلكه يتلخص في أن المعرب سماعي ويبرر ذلك بأمرين :

الأول : قلة المعرب ، إذ لا يعدو ما ورد عن العرب الفصحاء ألف كلمة بالمقارنة مع لغة العرب قياسها وسماعها .

الثاني : مخافة تفشي الأعجمية في كلام العرب ، وتزايدها على ممر العصور ،

فتصير لها الغلبة وتنقرض لغة العرب فتنقرض إثرها القومية العربية ، ويستغلق القرآن ، ويبيد كل ما دون باللسان العربي من العلوم والآداب والشرائع(٤٣) .

أما مجمع اللغة العربية فيتخذ موقفا وسطا هو أميل إلى الاحتراس ، وفي مجلته معرّب قليل ، إذا ما قيس بما وضعه المجمع بطرق الاشتقاق والنقل المجازي . فالتعريب يأتي أخيرا ، بين طرق التوسع في رأي المجمع ، ذلك أن الطريقة التي اتبعها المجمع في وضع المصطلحات هي التنقيب عنها أولا في كتب اللغة والمعاجم القديمة ، فإذا وجدها اعتمدها ، وإذا لم يجدها لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز أو النسب أو التصغير ، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية ، حتى تكون ثروة اللغة مستمدة من أصولها ومواردها ، فتستغني بها عن سواها ، وتستطيع أن تثبت أمام جيوش الألفاظ الأجنبية التي تحاول أن تغزوها لتحل محلها بعد حين(٤٤) .

والمجمع يرجئ التعريب إلى ما وراء ذلك كله من طرق التوسع ، ويلتجئ إليه إذا لم يوفق فيها(٤٥) .

وقد أصدر المجمع قرار التعريب بما نصه : «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»(٤٦) .

وخلاصة القول أن الإدخال سنة طبيعية في لغات البشر ، وأن التعريب أمر من أمر لغتنا ، قائم في عصور الاحتجاج وما أعقبها . وأنه عمِل في تنمية اللغة العربية وإمدادها بجملة من ألفاظ الحضارة الجديدة على مر العصوَر ، وأرفدها بكل الألفاظ الضرورية للحياة النامية المتسعة في العلم والصناعة .

رأي المحدثين في مسألة التعريب

التعريب ضرورة علمية واجتماعية متجددة ، وقد تناول اللغويون المحدثون ما أسماه العرب «التعريب» ضمن دراسة عامة ، وأطلقوا عليه اسم الاقتراض أو الاستعارة "prowing" ، فدرسوا التأثير والتأثر بين اللغات من نواح متعددة .

يقول فندريس : «استعارة المفردات مهما اشتد تأثيرها يمكن إذن أن تظل مسألة خارجة عن اللغة» [٤٧] .

ونص قرار المجمع اللغوي على أنه «يجوز أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»[٤٨] .

وقد قيد استعمال الكلمات الأجنبية بالضرورة ، وهي لا تتحقق إلا في هذا النوع المتعمد ، أما الاستعمال العام فلا ينتظر قرارا أو إجازة ، ولا يبحث عن ضرورة أو رخصة . يقول عباس حسن : «التعريب علاج يسير ، وهو على يسره باهر الأثر ، يزود اللغة بزاد صالح هي في أشد الحاجة إلى بعضه ، ليدفع عنها فقرها المدقع ، في عصر المخترعات والمبتكرات ، ومن حمق الفقير المضيق عليه أن يجد الفسحة السائغة فيتأبّى»[٤٩] .

الفرق بين الإدخال والتعريب:

إن تبادل التأثر والتأثير بين اللغات قانون اجتماعي إنساني ، واقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية[٥٠] . فهي جميعا تقرض غيرها وتقترض منه ,متى تجاورت أو اتصل بعضها ببعض على أي وجه وبأي سبب ، ولأي غاية [٥١] .

وإننا لا نكاد نظفر بتلك اللغة التي تعد خالية من أي عنصر أجنبي .

وخلاصة ما يراه المحدثون في تعريف الدخيل والتفريق بينه وبين المعرب أن الدخيل يطلق في معناه اللغوي الراهن على الألفاظ الأعجمية التي لم تغيرها العرب ، وأبقتها على صورتها الأصلية في لغاتها ، أو على بنائها الأعجمي على الأقل ، على حين يطلق المعرب على «الألفاظ الأعجمية التي غيرها العرب وألحقوها بأبنيتهم»[٥٢] . قال عباس حسن في تعريف التعريب «إنه اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها ، وصقلته على منهاجها وأوزانها ، أو تركته بغير صقل ، وربما تناولته بالاشتقاق»[٥٣] .

وللإدخال في اللغة العربية تاريخ متصل بيِّنٌ ، وقد لعب في توسعتها ورفدها دورا واضحا .

رابعا: الاشتقاق:

٤ - ١ - تعريفات :

يقول صاحب كشف الظنون معرفا الاشتقاق «علم باحث في كيفية خروج الكلم بعضها من بعض بسبب مناسبة بين المخرج والخارج بالأصالة والفرعية باعتبار جواهرها، والقيد الأخير يخرج علم الصرف إذ يبحث فيه أيضا الأصالة والفرعية بين الكلم، لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة وهذا هو الفرق بين الاشتقاق والصرف»[٥٤] .

وقال الشريف الجرجاني في التعريفات : «هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة، والصغير هو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب، نحو ضرب من الضرب، والكبير أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو جبذ من الجذب، والأكبر : أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق من النهق»[٥٥] .

والاشتقاق : طريق من طرائق نمو اللغة، وهو استخراج لفظ من لفظ، أو صيغة من أخرى متفقين في المعنى والحروف الأصلية، بالقياس على النظائر، فإن اتحد المشتق والمشتق منه في ترتيب الحروف الأصلية، فهو الاشتقاق (يعبر عنه هكذا بالإطلاق، وقد يقال له الاشتقاق الصغير)، ومثاله أخذ (قاتل) من القتل، وهو المراد في بحوث الاشتقاق عند الصرفيين غالبا، وإن اختلفا في ترتيب الحروف فهو الاشتقاق الكبير، نحو : جبر وبرج، وجبذ وجذب[٥٦] .

٤ - ٢ - أنواع الاشتقاق :

(أ) الاشتقاق من أسماء الأعيان :

قد يشتقون من أساء الأعيان، وصورته أن العرب تشتق من أسماء الأعيان أفعالا بمقتضى قواعد معينة، خلاصتها أنه إن كان الاسم مجردا ثلاثيا أو رباعيا، فإن الفعل منه يكون مساويا له في عدد الحروف وأنواعها وترتيبها، كما قالوا من الرأس رأسه بمعنى ضرب رأسه، ومن الفهد والأسد والذئب : فهد، وأسد، وذؤب،

بمعنى نام وتغافل كالفهد ، وأشبه الأسد في جراءته ، وصار كالذئب في الخبث والدهاء [٥٧] . وكذلك قالوا من العصفر ، عصفرت الثوب ، إذا صبغته بالعصفر ، وقطْرَنَ ، إذا طلاه بالقطران . ومثل ذلك حظلت الإبل إذا أكلت الحنظل من الحظل ، وكذا حنأ لحيته وسردق من السرادق . وكذلك في قولهم «استأسد - بغدد - وأنجد وأشأم وأعرق» [٥٨] . وقد أجاز المجمع هذا الاشتقاق للضرورة في لغة العلوم [٥٩] .

(ب) الاشتقاق من الحروف :

يجوز الاشتقاق من الحروف كقولهم : أنعم له بكذا أي قال نعم ، ولاليت لي أي قلت لا لا ، وسألتك حاجة فلوليت لي أي قلت لولا ، وسوّفت الرجل إذا قلت له سوف أفعل [٦٠] .

(جـ) الاشتقاق من أسماء الأصوات :

يجوز أن تؤخذ من أسماء الأصوات أفعالٌ ثم تصرف هذه الأفعال ، ومن ذلك قولهم .جأجأ إبله ، بمعنى دعاها لتشرب ، وقالوا قهقه الرجل إذا اشتد ضحكه ورجع فيه ، وبس بس الدابة إذا زجرها [٦١] .

(د) الاشتقاق من المركبات التامة :

وهو أن تختصر جملة بفعل ، كقولهم سبح وكبر وحمدل وسبحل وحوقل وطلبق وحيعل وجعفل وأفّف . . . إلخ .

(هـ) الاشتقاق المركب :

وهو الاشتقاق من المشتق بتوهم أصالته ، كقولهم تمسكن من المسكين ، وكذا قالوا تمذهب من المذهب ، وتمنطق من المنطق وتشيع من الشيعة . . . إلخ .

(و) الاشتقاق في البديع :

وهو أن يشتق المتكلم من الاسم العَلَم معنى في غرض يقصده ، من مدح أو هجاء ، مثاله في مَن اسمه نفطويه قولهم [٦٢] :

أحرقه الله بنصف اسمه　　　وصير الباقي صراخا عليه

خامسا: النحت:

٥ - ١ - تعريفات :

النحت في اللغة : هو النشر و القشر و الترقيق و التسوية ، وفي الاصطلاح : أن نختصر من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة تدل على ما اختصرت منه ، فيقال (حمدل) من الحمد لله ، ودرعمي (نسبة لدار العلوم) .

وقد تحدث القدماء عن النحت ، فتكلم فيه الخليل وسيبويه وغيرهما ، ووقف عنده ابن فارس طويلا ، وله فيه مذهب استقل به وعرف ، سنتعرض له قريبا بحول الله .

وذكر الخليل بن أحمد النحت وسماه باسمه ، أنشد :

وتضحك مني شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

نسبها إلى عبد شمس فأخذ العين والباء من «عبد» وأخذ الشين والميم من «شمس» وأسقط الدال والسين فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا من النحت [٦٣] .

وذكره سيبويه في الكتاب في موضعين : في الحديث عن «ما لا يتصرف من المركبات» ، و ذكره عند حديثه عن «النسب» إلى المركب ، وذكر أمثلة عليه ، لكن لم يسمه النحت ولم يخصه بباب وإنما ذكره عرضا [٦٤] .

ومما ذكره اللغويون من كلام المتأخرين : الفذلكة من قولهم : فذلك العدد كذا وكذا .

والبلكفة : أخذها الزمخشري من قول أهل السنة : إن الله يرى بلا كيف .

مذهب ابن فارس في النحت:

لقد استهوت ابن فارس فكرة النحت وطبقها على أمثلة كثيرة في كتابه «مقاييس اللغة» فخرج بنظرية مفادها أن أكثر الكلمات الزائدة على ثلاثة أحرف منحوت من لفظين ثلاثيين ، يقول ابن فارس : «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس ، يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت ، ومعنى

النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة، تكون آخذة منهما بحظ، والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل إذا قال حي على»[٦٥] .

ويقول ابن فارس في كتابه «الصاحبي» : «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار»، وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد ضبطر، «من ضبط وضبر»[٦٦] .

٥ - ٢ - النحت عند المحدثين :

كان الشدياق أول من دعا العلماء والمعربين إلى استعمال النحت في توليد الألفاظ للتعبير عن مستحدثات العصر، وذلك أنه طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتتسع أساليبها، وله نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات الأوربية، وهي التي كثرت مواد لغاتها وأحوجتنا إلى الأخذ منها . واعترض الشدياق على من يقصر النحت على الألفاظ، التي نقلت عن القدماء، وقد برر ذلك بقوله «وقد ساغ لنا أيضا ما تمس الحاجة إليه، فهم رجال ونحن رجال»[٦٧] .

ودعا جرجي زيدان في كتابه «الفلسفة اللغوية» إلى النحت، وخصه بفصل مطول عند حديثه عن الألفاظ الدالة على معنى .

والنحت عنده ناموس فاعل على الألفاظ، وغاية ما يفعله فيها، إنما هو الاختصار في نطقها تسهيلا للفظها واقتصادا في الوقت بقدر الإمكان، ثم يضيف وهذا الناموس لم تنج من فتكه لغة من لغات البشر، من أول نشأتها ولم يزل حتى الآن، ولن يزال إلى ما شاء الله، وليس للإنسان يد في عمله، فالنحت جار في الألفاظ عن غير قصد من الناطقين ثم يأتي بتطبيقات على نحت حروف[٦٨] .

ويرى الدكتور عبد القادر المغربي أن النحت أربعة أقسام[٦٩] :

- النحت الفعلي (سبحل - بسمل - حوقل) .

- النحت الوصفي : أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها أو بأشد منه (ضبطر) للرجل الشديد من (ضبط وضبر) .

- النحت الاسمي : أن تنحت من كلمتين اسما مثل جلمود من (جلد وجمد) .

- النحت النسبي : أن تنسب شيئا أو شخصا إلى بلدتي (طبرستان وخوارزم) فتختصر فتقول طبرخزي .

وقد عني به المحدثون لاسيما وقد احتيج إليه في لغة العلوم ، وهو عندهم ضرب من الاختصار ووسيلة من وسائل تنمية الألفاظ ، فتكلم عنه جرجي زيدان وعبد القادر المغربي وساطع الحصري وإبراهيم أنيس وإسماعيل مظهر وغيرهم .

وتميل طائفة إلى جواز النحت والنقل اللفظي الكامل للمصطلحات(٧٠) .

وهناك طائفة يمثلها الكرملي ، حيث يرى« أن لغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب ، كما هو مدون في مصنفاتها ، و المنحوتات عندنا عشرات ، أما عندهم- يعني الغرب- فمئات ، بل ألوف ، لأن تقديم المضاف إليه على المضاف معروف عندهم ، فساغ لهم النحت ، أما عندنا فاللغة تأباه وتتبرأ منه»(٧١) .

٥ - ٣ - النحت والمصطلحات العلمية :

أصبحت مسألة المصطلحات العلمية في مطلع القرن العشرين من أهم المسائل التي انشغل بها المفكرون والمربون والعلماء ، وكان بعض هؤلاء يشعر بفقر في العربية على الرغم مما عرف عنها في ماضيها من غنى .

وكان الحصري على رأس المربين العرب الذين اعتنوا بهذه المسألة ، إذ يعتقد أن التوسع في النحت أصبح من أهم حاجات اللغة العربية ، وأنه لا سبيل بدون ذلك لإغنائها بما تحتاج إليه من الاصطلاحات العلمية المتنوعة الجديدة .

وصرح الحصرى أن الاشتقاق ، رغم أهميته في تكوين المصطلحات ، فـ إنه وحده لا يكفي لتوليد الكلمات التي يحتاج إليها التفكير البشري ، لأن عمله مقصور على أوزان وقوالب معينة ، وهذه الأوزان والقوالب - مهما كانت كثيرة وولودة - لا تستطيع أن تستوعب جميع المعاني العقلية ، فلا بد من الاستعانة بالتراكيب ،

وبالإقدام على تركيب كلمتين أو أكثر على شكل تراكيب مزجية و وصفية وحتى على هيئة جمل فعلية[٧٢] .

وقد وضع الحصري قائمة تضم أمثلة من الكلمات المنحوتة ، من أمثلتها :

اللاأدرية (من لا وأدري) ، واللاشاة (من لا شيء) ، والعنعنة (من عن وعن) وهذه الأمثلة كما ترى لا تدخل في باب النحت .

ومن أمثلة ما دعا إلى استعماله :

(أ) لا شعوري - لا إرادي - لا سلكي - لا فقاريات . . .إلخ . وغرض الحصري من هذا - كما هو واضح- أن تستعمل (لا) في المركب السابق مقابلة للسابقة un أو a أو an ، وهي من السوابق (prefixe) التي تستخدم للنفي أو السلب في اللغات الأوروبية ، ومن ثم يقال لا محدود (unlimited) ولا أخلاقي (amoral) ولا مائي anliydrid .

(ب) غبمدرسي post schooler فتجيء (غب) في مقابل السابقة post لتدل على حدوث شيء بعد شيء .

(جـ) قبتاريخ : prehistory فتجيء (قب) في مقابل السابقة .

(د) وكذلك يمكننا أن ننحت كلمات (خارج -فوق - تحت) على شكل (خا -فو - تح) ، فنقول : (خامدرسي) (entraschoolar) وفوسوي (above horal) وتحشعوري (subconxiruc) وهكذا . . .

ويبدو أن ملاحظات ساطع الحصري السابقة - وإن كانت لا تخلو من فائدة - غير أنها لا تتجاوز كونها ترجمة واضحة للسوابق واللواحق مستقاة من اللغات الأوروبية .

ويختم الحصري بملاحظتين :

أولاهما : أنه قد يوجه إليه نقد في استخدام هذا النوع من النحت ، يقول : «إنني أعرف أن مثل هذه الكلمات المنحوتة تظهر في بادئ الأمر غريبة على الأسماع ولكنني لا أجد فيها ما يزيد غرابة عن الكلمات المنحوتة القديمة التي دخلت في القواميس وشاعت بين الناس من البسملة والحوقلة . . .»[٧٣] .

الثانية : أن انصرافنا عن النحت سيوقعنا في خطر أشد وهو التعريب ، يقول «ولا يمكن نشر العلم بالتراكيب المطولة ، فإذا لم نقبل النحت سنضطر إلى استعمال الاصطلاحات الإفرنجية نفسها ، ولا حاجة لإثبات أن اتساق اللغة في هذه الحالة يصبح أشد تعرضا للخطر»[٧٤] .

أما إسماعيل مظهر (لغوي وأديب وعالم في الأحياء) ، وهو من الدعاة إلى النحت فيعتقد أن النحت وسيلة إلى تيسير حاجة من حاجات العربية الملحة ، وهي وضع أسماء عربيه لأفراد الحيوان و النبات تعين الأشخاص والطبقات المختلفة ، بما فيها من الفصائل والعشائر والمراتب والأجناس و الأنواع .

ويرى أن التعريب لا يحقق الهدف السابق ، فأصحابه يريدون اختصار الطريق وأخذ الأمر بظواهره ، وفي التوسع فيه افتيات على جرس اللغة العربية وقوالبها ، فنادرا ما تكون الكلمة المعربة موافقة لها أو صالحة للخضوع إليها ، وينبغي أن لا نلجأ إليه إلا لضرورة [٧٥] .

ويرى إسماعيل مظهر كذلك أن كل اللغات الحية كانت في أصل بنيتها لغات اشتقاقية ، وإنما لجأ أهلها إلى النحت أو التركيب ليستعينوا به على صوغ ألفاظهم .

ومن جملة ما قاله في معرض الرد على من يمنعون النحت في المصطلحات العلمية أنه يجوز لنا النحت في المصطلحات العلمية التي نعجز عن ترجمتها أو تعريبها تعريبا يفي بالحاجة . و أن النحت لن يفسد العربية إذا روعي فيه ألا يكون نابيا في الجرس عن سليقة اللغة ، و أن يكون المنحوت على وزن عربي معروف ، وأن تستجيب اللفظة المنحوتة لقواعد العربية الصرفية والنحوية [٧٦] .

٥ - ٤ - النحت والاختصار :

يضع الدكتور إبراهيم أنيس النحت من بين طرائق نمو اللغة ، وإن كان لا يسمح به إلا حين تدعو إليه الحاجة الملحة .

ويشير إلى ظاهرة سماها اللغويون Haodology وهي حذف بعض الأصوات من الكلمة اختصارا لبنيتها وتيسيرا للنطق بها ، واعتبروا هذا ميلا عاما في تطور بنية الكلمات(٧٧) .

ويستخدم هذا المصطلح أيضا الدكتور عبد الصبور شاهين وهو Hapuligyويعطي أمثلة عليه U.S.A اختصارا لـ(United State America) ، وكلمة يونسكو U.N.E.S.C.O. .

ثم يضيف : وقد شاع هذا اللون من الاختصار في اللغة العلمية حتى أصبح وسيلة الرياضيات والفيزياء والكيمياء ، في التعبير عن مفاهيمها ، ويكفي في بيان أهميته أن نرجع إلى جدول الرموز العلمية للعناصر الكيميائية(٧٨) .

وقد سبق العرب إلى هذه الاختصارات ، فحين دونت المصاحف في صدر الإسلام استعملت الاختصارات ، فأثبتوا (لا) اختصارا للجملة (لا تقف) و (ج) إشارة للوقف الجائز و(م) للوقف اللازم .

وكان الفيروزبادي (صاحب القاموس) قد استفاد كثيرا من هذه الرموز في اختصار بعض مواده ، فاستعمل (م) لمعروف ، و(ع) لموضع و(ج) لجمع وهاء لقرية ودال لبلد ، وقد نظم هو نفسه هذه الرموز بقوله :

وما فيه من رمز فخمسة أحرف	فميم لمعروف وعين لموضع
وجيم لجمع ثم هاء لقرية	وللبلد الدالُ التي أهملت فعِ(١٤)

٥ - ٦ - النحت والتركيب :

ما تزال قضية المصطلح العلمي والفني تشغل اللغويين والعلماء والمترجمين حتى اليوم ، بل إن خطورتها تزداد يوما بعد يوم بذلك العدد الهائل الذي يتنامى من المصطلحات التي ينبغي تعريبها بأية طريقة وفي أسرع وقت ممكن حتى تجاري العلوم والصناعات في العالم العربي حركة التطور العلمي والتقني في أوروبا ,وآمريكا .

ويعد التركيب المزجي من الوسائل التي اتخذها بعض العلماء والباحثين في صياغة مصطلحات جديدة ترادف تلك المصطلحات الوافدة ، وتغني عن تعريبها بأصواتها .

وقد اختلفت أنظار اللغويين المحدثين في الاعتداد بأمثلة التركيب المزجي ، وفي الحد الذي وصلت إليه ليجوز القياس عليها أو يمنع . ولم يكن غريبا من ثم أن الذين دعوا إلى النحت مثلا يتوسعون في مفهومه - لاسيما عند التمثيل -بحيث يشمل بعض المركبات ، ويتبنون تفسير ابن فارس الذي انفرد به في الرجوع ببنية الرباعي والخماسي إلى كلمتين منحوتتين أو أكثر .

ومن صور المركب المزجي التي استعملت في العهد الوسيط مزج لا النافية باسم أو مصدر أو غيرهما على النحو الآتي :

لا بد (لا + بد) ولا شيء (لا+ شيء) ولا مبالاة (لا+ مبالاة) .

وثمة صور أخرى نتجت من دمج (ما) الموصولية بما بعدها من نحو قولهم ماهية (ما + هي + ه) ، ومن ذلك الماكشف (ال+ ما + كشف) وما فوق بنفسجي (ما + فوق + بنفسجي) .

مجمع اللغة العربية والنحت:

ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» ، قال ابن الأنباري : فلان يبرقل علينا ، ودعنا من البرقلة ، وهو أن يقول ولا يفعل ويعد ولا ينجز ، أخذ من البرق والقول .

وللمجمع في النحت قرار دار حوله نقاش طويل ،ثم استقر الرأي إليه بلا خلاف .

وقد أقر مجمع اللغة العربية - بالقاهرة - النحت عند ما تدعو إليه الضرورة العلمية ، ويمكن تلخيص القرار فيما يلي :

النحت : ضرب من الاختصار ، وهو أخذ كلمة من كلمتين فأكثر ، وقد نحتت العرب قديما على منهاج الأفعال الرباعية في الأفعال ، والخماسية في الأسماء ، فقالوا : سبحل و دمعز (أدام الله عزك) ، ومشْكَنَة وجعفلة .

يؤخذ من هذا النحت :

- أنه لا يلتزم في النحت الأخذ من كل كلمة من المنحوت منه ، فإن كلمة (دمعز) لم يؤخذ منها حرف من حروف لفظ الجلالة .

- لا يلزم أن تؤخذ الكلمة الأولى بتمامها .

- لا تلزم المحافظة على حركات الحروف وسكناتها ، فإن الشين في (مشكنة) ساكنة ، وهي في المنحوت منه متحركة(ما شاء الله كان) .

- ترتيب الحروف في النحت محل خلاف ، فبعضهم يرى أنه لا بد منه ، و لذا خُطِّئ من قال : (الجعفلة) وقيل إن الصواب (جعفدة) لأنها من جعلت فداك وبعضهم يرى ألا ضرورة لذلك ، ويكون عدم الترتيب تفننا .

ونحت العرب من المركب الإضافي فقالوا : عبقسي من عبد قيس ، ولم يلتزموا فيه طريقة واحدة في الأخذ من الكلمتين ، فقالوا دربخي من دار البطيخ و سقزني من سوق مازن و رسعني من رأس عين ، و بهشمي من بني هاشم .

والمتقدمون يرون أن النحت سماعي ، فيوقف على ما سمع منه ، وليس لنا أن ننحت - و لعل هذا - لأن النحت اختراع ألفاظ لم تعرفها العرب فلا تدخل في لغتهم .

وينتهي القرار بالقول بجواز النحت في العلوم والفنون للحاجة الملحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة [٨٠] .

وصيغة قرار المجمع «النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليه اللغة قديما وحديثا ، ولم يلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات ، وقد وردت من هذا النوع كثرة تجيز قياسيته ، ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة ، على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي دون الزوائد ، فإن كان المنحوت اسما اشترط أن يكون على وزن عربي ، و الوصف منه بإضافة ياء النسب ، وإن كان فعلا كان على وزن (فعلل) إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جريا على ما ورد من الكلمات المنحوتة» [٨١] .

المسائل التي يجب مراعاتها في النحت:

تكاد تجمع كلمة الداعين إلى النحت على أنه ينبغي أن يراعى في الكلمة المنحوتة :

١ - أن تكون على وزن عربي ليسهل جريانها على الألسنة ووقعها على الآذان . ولا ينبغي أن تتجاوز الكلمة الحد الأقصى المسموح به في العربية (الفعل ٦ أحرف والاسم ٧ أحرف) . والذي يحاول تجاوز ذلك ينتهك حدودها ، ويجافي طبيعتها .

ولذلك رُفضت محاولة عبد الحق فاضل لأن فيها تجاوزا لهذا الحد ، مثل : (نطخضر ومحطعرمة ورصفنائص لصعوبة الاشتقاق منها . . .) .

قال فاينرايخ : «إن اللغات التي تفرض قيودا على هيئة الكلمة تعتبر أكثر مقاومة للكلمات الدخيلة» (٨٢) .

٢ - انسجام الحروف : بحيث يقبلها الذوق ، ولا ينفر منها المستعملون .

٣ - ينبغي أن تتضمن الكلمة المنحوتة ما يشير إلى أصلها حتى يتعرف على معناها المركب ، ولهذا فإن بعض الكلمات التي اقترحها بعضهم (محطعرمة ومصطعجدة) لا يمكن أن تهدي بحال إلى معناها ، وليس لها من فرصة لتألفها الآذان أو تستسيغها الألسنة .

الغرض من النحت:

يتلخص في تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز ؛ فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت ، وهو وسيلة من وسائل تنمية اللغة وتكثير مفرداتها ، حيث يتم اشتقاق كلمات حديثة لمعان حديثة ، ليس لها ألفاظ في اللغة ، ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها (٨٣) .

النحت بين السماع والقياس:

يرى الدكتور إبراهيم نجا «أن النحت سماعي ، وليس له قاعدة يسير وفقها القائلون به إلا في النسبة للمركب الإضافي ، كعبشمي في عبد شمس ، وعبدري في عبد الدار ،وتيملي في تيم اللات ، وفي غير ذلك مبني على السماع والأخذ عن العرب»[٨٤] .

غير أن بعض الباحثين فهم نص ابن فارس المتقدم «وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت»- فهموه فهما مختلفا ، فقد استنتج بعضهم من هذا النص أن ابن فارس يرى أن النحت قياسي .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس :«ومع وفرة ما روي من أمثلة النحت تحرَّج معظم اللغويين في شأنه واعتبروه من السماع ، فلم يبيحوا لنا نحن المولدين أن ننهج نهجه ، أو أن ننسج على منواله . ومع هذا فقد اعتبره ابن فارس قياسيا ، وعده ابن مالك في كتابه (التسهيل) قياسيا كذلك»[٨٥] .

وقال أبو حيان في شرحه : وهذا الحكم لا يطرد ؛ إنما يقال منه ما قالته العرب[٨٦] .

وعلقت لجنة النحت بمجمع اللغة العربية في القاهرة على هذا الاختلاف بالقول :

«وقد نقلنا فيما تقدم عبارة ابن فارس في فقه اللغة[٨٧] ، وهي لا تفيد القياسية ، إلا إذا نظر إلى أن ابن فارس ادعى أكثرية النحت فيما زاد عن ثلاثة ، ومع الكثرة تصح القياسية والاتساع»[٨٨] .

سادسا: النقل المجازي:

٦ - ١ - تعريفه :

هو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللغة نفسها ، وتفيد من عناصرها اللفظية الماثلة أو المهجورة . وإذا كان من الحق «أن اللغات في توسعها تسير على تحوير العناصر الموجودة لا على الخلق» فما أجدر هذا القول أن ينطبق على هذه الطريقة(٨٩) .

وفي مجلة مجمع اللغة العربية «النقل المجازي اسم نرتضيه لما يطلق عليه اللغويون اسم المجاز حينا ، والنقل حينا آخر ، وقد يسمونه المجاز والنقل»[٩٠] .

والنقل إنما يكون عن الكلام الحقيقي ، ذلك الكلام الموضوع على وجه استقر بالاصطلاح والتعارف .

أما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه أو يتصل بسبب منه ، وتقييد «النقل» بـ «المجازي» هو تمييز له عن «النقل» الذي قد يحتمل نقل لفظ من لغة إلى أخرى .

فالباحثون يكادون لا يتفقون على تسمية واحدة لإدخال لفظ من لغة إلى أخرى ، فحينا يسمونه «الاستعارة» وحينا «الإدخال» وحينا «الاقتراض» وحينا «النقل» .

وينتقل اللفظ من معنى لآخر على هذا النحو المجازي إذا توافر لون من المشابهة ، أو المجاورة ، أو العلاقة ، والعلاقات المجازية تناهز الأربعين[٩١] .

وللغة العربية في تطورها من المجاز أكبر نصيب ، حتى ليسميها بعض الباحثين «لغة المجاز» وذلك واضح في مراحل تطورها أبلغ الوضوح[٩٢] .

٦ - ٢ - تطور الدلالات اللغوية إلى دلالات إسلامية :

لقد عمل المجاز عمله في نقل الألفاظ الجاهلية لتدل على المضامين الإسلامية الجديدة في دقتها وتخصصها وعمقها . فهذه المصطلحات الدينية والشرعية والفقهية واللغوية كانت ألفاظها موجودة قبل الإسلام ولكنها كانت تدل على معاني أخرى ، فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ المؤمن مثلا كان معروفا في الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الأمان ، أو الإيمان وهو التصديق ، فأصبح بعد الإسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها من الألفاظ . وكذلك الصلاة وأصلها في العربية الدعاء ، وكذلك الركوع والسجود ، والحج والزكاة ، وقس على ذلك في الاصطلاحات الفقهية ؛ كالعدة والحضانة والنفقة والإعتاق والوديعة والقسامة ، ويقال نحو ذلك في

الاصطلاحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللغوية كالنحو والعروض والشعر والحقيقة والمجاز[٩٣] . وقد تدل اللفظة الواحدة على معان اصطلاحية مختلفة عند أصحاب العلم الواحد . فـ«المتعة» تفيد عند الفقهاء معان اصطلاحية ثلاثة ترتبط بالعلائق المجازية المتكاثرة .

وقد استعان العرب بهذه الطريقة في العصر العباسي فنقلوا بها كثيرا من المعاني الطبية والرياضية والفلسفية[٩٤] .

وكان أثر النقل المجازي واضحا في ألفاظ الحرب والفتوح والإدارة . فقد «أسهمت الألفاظ العربية القديمة في الدلالة على المعاني الإدارية في الدولة الإسلامية ، مثل الخليفة والكاتب والدولة والحجابة . وكذلك سائر مناصب الدولة ، كالإمارة والشرطة والقضاء ، والإمامة وغيرها من اصطلاحات الجند كالمسترزقة والمتطوعة والعسكر ، وضروب الحرب وأبواب الهجوم ، كالزحف والكر والفر ، والبيات والكفاح والغرة ، وصنوف الأسلحة ، كالدبابة والكبش وغيرها ، ناهيك باصطلاحات الدواوين على إجمالها ، كقولهم الثغور والعواصم والعمل والولاية والحكومة والسكة ، والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والمرافق والجباية و الصدقة» . . . إلخ .

فهذه الألفاظ عربية الأصل ، وأكثرها معروف قبل الإسلام ، ولكن مدلولاتها تغيرت بتغيير أحوال المسلمين بعد إنشاء دولتهم ، إذ حدثت بإنشائها معان جديدة اضطروا في التعبير عنها إلى ألفاظ جديدة ، فنوعوا ما عندهم[٩٥] .

وليس من شك أن هذا التنويع إنما كان عن طريق هذه العلاقات المجازية في ملابستها ومشابهتها العديدة .

كان هذا شأن من شأن النقل المجازي في تاريخ لغتنا ، قبلا ، وهي تتخطى أدوارا وتعيش أطوارا من الازدهار والحياة والنماء .

كما يُذكر للمجمع العلمي العربي بدمشق ، جهودُ أعضائه ، في بعث الكلمات القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي ، فقد قدموا بحوثا

مفيدة يحتاج إليها ذوو الاختصاص وغيرهم من المثقفين ، مستخرجين من المعاجم ما تمس الضرورة إلى استعماله حديثا . كما حُرّرت بعض الرسائل ، وألفت بعض الكتب لذات الغرض ، من ذلك «ألفاظ عربية لمعان زراعية» للأمير مصطفى الشهابي ، و«رسالة الكرم» للأستاذ سليم الجندي ، و«رسالة الطرق» له أيضا[٩٦] .

ورغم أن هذه الطريقة في التوسع – النقل المجازي – اللغوي كانت هي الأطغى والأكثر فعالية في حياة اللغة العربية في عصر النهضة ، فإن هناك من يتخذ منها موقفا صارما ، ويقدم التعريب عليها .

ويرى عباس حسن أن وضع اسم عربي لكلمة أجنبية فيه نقل للاسم من معناه الوضعي الأصيل إلى مسمى جديد لا تعرفه العرب ، فأي فرق بين هذا وبين نقل الكلمة الأجنبية إلى اللغة العربية ، إذ كلاهما نقل تم وراء ظهر العرب ، ومن غير أن يعلموا عنه شيئا . كما يرى أننا نسيء إلى اللغة العربية بالإسراف في نقل أسمائها إلى المسميات الأجنبية ، لما يترتب على هذا من إشاعة الألفاظ المشتركة ، وهي ألفاظ يشوبها الغموض من بعض نواحيها بسبب الاشتراك ، وإن قيل إنها متساوية الدلالة [٩٧] . يقول محمد الخضر حسين «إن المعاني التي تشترك في اللفظ الواحد ، قد تختلف مواطنها اختلافا بعيدا ، كأن يكون لها معنى يرجع إلى الشؤون الدينية ، ومعنى آخر يرجع لمصطلحات علم خاص كالنحو أو الطب أو الحساب»[٩٨] .

والحاجة القائمة اليوم إنما هي حاجتنا إلى المعاني الاصطلاحية أولا ، وهذه يكاد لا يضيرها الاشتراك ، ذلك أن استخدام الكلمة في فن بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها اللغوي ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي .

ويدخل في هذا مصطلحات الآداب والفلسفة والقانون والاجتماع والعلوم والفنون وما إلى ذلك .ومن ثم «نرى أن الكلمة الواحدة تستعمل في الشعر بمعنى ، وفي الرسائل بمعنى آخر ، وفي السياسة بمعنى ثالث ، وفي القانون بمعنى رابع ، وفي الفنون الحربية بمعنى خامس وفي الطبيعة بمعنى سادس ، وفي الطب بمعنى سابع » [٩٩] .

ونحن واجدون في لغتنا هذا التعدد في المعنى للفظ الواحد في اصطلاحات مختلفة ، «فلفظة الرجعة عند أصحاب اللغة المرة الواحدة من الرجوع ، وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن ، وعند المتكلمين على ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطي في المعسكر لطمع واحد ، وعند المنجمين سير الكواكب من الخمسة المتحيرة على خلاف نضد البروج»[١٠٠] .

وخلاصة القول أن «النقل المجازي» توسعة طبيعية في اللغات جميعا ، وهو من طرق التوسع الكبرى في تاريخ اللغة العربية ، وهو عامل في حياة اللغة العربية اليوم عمله بالأمس ، يستمد من مادة وفيرة في معجمات الألفاظ والمعاني ، ويستغل في ذلك علاقات المشابهة والمجاورة على كثرتها . وجمهور العلماء على أن مدار صحة المجاز على تحقق ما كان يراعيه العرب من نوع العلاقات ، فلا تقف عند حد الألفاظ التي استعملوها في غير ما وضعت له ، كالأسد والقمر والغيث ، فإذا رأيناهم قد نقلوا اسم شيء إلى آخر لعلاقة السببية - مثلا - جرينا على أثرهم ، وساغ لنا أن نتصرف في الألفاظ تصرفهم ، فننقل اسم كل معنى إلى ما بينه وبين ذلك المعنى من وجه المشابهة ، فنطلق لفظ «الاستقلال» على راحة البال وهناءة العيش ، ونسمي الكتب خزانة ، ونستعمل الرعد في أصوات المدافع وإن لم يذهب العرب بلفظ الاستقلال والخزانة والرعد هذا المذهب من المجاز[١٠١] .

سابعا: القياس اللغوي:

٧ - ١ - الدعاة إلى القياس في اللغة :

في منتصف القرن الرابع الهجري ظهر بعض اللغويين أمثال أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني ينادون بالقياس «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[١٠٢] . وروي عن أبي علي الفارسي قوله «لأن أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية أحب إلي من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية»[١٠٣] .

ويرى الزمخشري (ت ٥٣٧ هـ) جواز الاستشهاد بأشعار المولّدين والقياس عليها ، مستشهدا في تفسيره ببيت لأبي تمام ، لأنه في رأيه ممن يوثق به ، أي جعل ما يقوله أبو تمام بمنزلة ما يرويه .

وحكى عبد القادر البغدادي في الخزانة أربعة أقوال في جواز الاستشهاد بطبقات الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمولّدين[١٠٤] .

ويرى جمهور اللغويين رفض القياس والوقوف عند السماع الذي أثر عن العرب في عصر الاحتجاج . ويمكن تلخيص آراء اللغويين في الظواهر اللغوية إلى أربعة أقسام :

المطرد في القياس والسماع ، وهو أكثر اللغة ، ولا جدال في الأخذ به وترسمه .

المطرد في السماع الشاذ في القياس ، ويصر البصريون على الوقوف منه عند حد السماع .

المطرد في القياس الشاذ في السماع ، ويدخل تحته ما قاله المولدون من اشتقاقات جديدة لم تسمع من قبل في الأساليب المروية عن العرب الفصحاء ، وقد أجاز هذا النوع بعض اللغويين ورفضه بعضهم .

الشاذ قياسا وسماعا ، وهو ما أجمعوا على رفضه ، ويمثلون له بكلمة «هداوى» التي قبلها الأخفش واعتبرها مناظرة لكلمة هدايا .

وإذا تتبعنا آراء النحاة واللغويين في كل العصور وجدناهم يكادون يجمعون على الأخذ بالمطرد سماعا وقياسا ، ويرفضون الشاذ في القياس والسماع . ولكنهم يختلفون اختلافا كبيرا فيما سمع عن العرب مخالفا لقواعد البصريين وأصولهم ، وفي كل ما يراد وضعه وضعا جديدا ، ولا نظير له بين الأساليب المروية[١٠٥] .

٧ - ٢ - موقف المجمع من القياس :

رأى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأخذ بالقياس في مسائل معينة دعت إليها الحاجة منها :

جعل المصدر الصناعي كالجاهلية واللصوصية والرهبانية ونظيراتها مصدرا قياسيا ، حيث رأى الحاجة ماسة في التعبير بهذا المصدر عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون .

يصاغ «فعّال» للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي ، كما يرى المجمع قياس هذه الصيغة للدلالة على أصحاب الحرف والمهن .

جعل المجمع صياغة اسم الآلة قياسية ، كما جعل المصادر الدالة على الحرفة قياسية مثل : نجارة حياكة تجارة . . . إلخ[١٠٦] .

أجمع أهل اللغة - إلا من شذّ منهم - أن للغة العرب قياسا ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض[١٠٧] .

وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها[١٠٨] .

والكلام في الاشتقاق قديم ، يرجع العهد به إلى زمان الأصمعي وقطرب وأبي الحسن الأخفش ، وكلهم قد ألف في هذا الفن[١٠٩] .

ولكن ابن دريد بدأ النجاح الكبير لهذه الفكرة بتأليف كتاب الاشتقاق ، وثناه ابن فارس بتأليف المقاييس ، وحاول معاصراه أبو علي الفارسي ، وتلميذه أبو الفتح ابن جني أن يصعدا درجة فوق هذا بإذاعة قاعدة الاشتقاق الأكبر التي تجعل للمادة الواحدة وجميع تقاليبها أصلا أو أصولا ترجع إليها فأخفقا في ذلك ، ولم يستطيعا أن يشيعا هذا المذهب في سائر مواد اللغة[١١٠] .

٨ - خاتمة :

بعد أن أشرنا في ثنايا البحث إلى أهم وأشهر وسائل تنمية اللغة ، وعوامل إثرائها ونموها - معترفين أننا لم نحط بها ، بل ولم يسعنا الحديث في مقام كهذا تناول أغلبها - لنا أن نتساءل عن السر الكامن وراء ثراء هذه اللغة ، والأسباب التي

جعلتها تتصدر - إن لم نقل تتميز - قائمة اللغات ذات الطابع الاشتقاقي التوليدي . وقد أتيح لها من الظروف والعوامل ما لم يتح لأي لغة في العالم في رأينا .

ويمكن حصر أهم هذه العوامل فيما يلي :

١ - كونها لغة القرآن الكريم ، الذي هو معجزة الأمة وترجمان السنة ، الناطق بتعاليم الشريعة الإسلامية . وقد أتاح لها هذا العامل خدمة علماء الأمة ، سعيا إلى ترسيخ قواعد الإسلام ونشر تعاليمه ، فتظاهر المفسرون والفقهاء والمحدثون والأصوليون وعلماء اللغة على تفجير طاقات اللغة ، واستكناه أسرارها ، كلٌ من زاويته وتخصصه خدمة للقرآن والسنة . وقد آزرهم على خدمة اللغة كونها لغة مجازية ، أرفدها المجاز بكمٍّ هائل من المصطلحات والمفاهيم ، ما كان لولاه لتصل إلى ما وصلت إليه من أسباب الثراء . ويكفي لمعرفة عائد المجاز على اللغة النظر إلى كتب التراث بمختلف فروعها وتخصصاتها . وإن نظرة في الأسباب الإسلامية وكتب التعريفات ومعجمات المصطلحات ، وكتب البلاغة لتؤكد صدق تفرد هذه اللغة بخاصيتها الاشتقاقية التوليدية .

٢- كونها لغة اشتقاقية توليدية : وهو ما جعل الكلمات تعطي من المعاني والدلالات على مقدار ما يتاح لها من الاستعمالات ، إذ كل استعمال هو ميلاد لألفاظ جديدة ، تحمل في طياتها بذور ألفاظ أخرى كلما دعت الحاجة إلى إحيائها .

وقد أثبتت اللغة العربية أنها تحمل في خصائصها قابلية التطور والنماء . أثبتت ذلك حين وسعت كتاب الله لفظا وغاية ، فأصبحت لغة دين وحضارة بعد ما كانت لغة جاهلية وبَداوة .

وحين أراد العرب الانفتاح على ثقافات وعلوم الحضارات القديمة ، وسعت اللغة تلك العلوم بمختلف فروعها ، سواء تعلق الأمر بالعلوم الإنسانية كالفلَسفة والمنطق ، أو كانت علوما بحتة كالفلك والرياضيات والفيزياء .

وها هي تي تثبت القدرة على التجدد والتطور في العصر الحديث لتبرهن -

عكس ما يرميه بها أعداؤها من عجز عن استيعاب حضارة ثورة المعلوماتية - على قدرتها على احتضان العلوم والتِّقانة وتمثلها وتوطينها لتصبح من نسيج الثقافة العربية المعاصرة .

٣ - أن علماء اللغة الذين تولوا تدوين لغة العرب ، كالأصمعي وابن الأعرابي وأبي زيد ، كانوا يدونون في المعجمات كل كلمة تصدر ممن يثقون بفصاحته ، وانتقوا بعض قبائل العرب لم تفسد لغتَهم الحضارةُ ، وهم : قيس وتميم وأسد ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر العرب ، كما لم يأخذوا عن حضري ، ولا عن سكان البراري ممن يسكن أطراف بلادهم المجاورة للأمم الأعجمية . ولم يميزوا في التدوين بين المهجور من الكلام والمستعمل ، إذ في اعتقادهم أن المهجور قد يُحيى متى دعت الحاجة إليه . وهذا ما يبرر ذاك الكم الهائل من الكلمات المترادفة التي تزخر بها المعاجم والقواميس العربية .

وقد خصص بعض علماء اللغة مباحث من مؤلفاتهم للحديث عن الألفاظ المترادفة ، فأفرد ابن سيده معظم السفر السابع من كتابه المخصص لباب أسماه «كتاب الإبل» ، حاول فيه استقصاء نعوت الإبل في حَلِّها وترحالها ، وهزالها وضروب سيرها ، وصبرها على تحمل الأعباء وقساوة الصحراء .

وذكر الثعالبي في «فقه اللغة» أن حمزة بن حسن الأصبهاني جمع من أسماء الدواهي ما يزيد على أربع مائة . كما ذكر السيوطي في المزهر أن ابن خالويه جمع للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتي اسم .

وألف مجد الدين الفيروزابادي ، صاحب القاموس المحيط كتابا أسماه «الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف» . كما ألف أبو حاتم السجستاني كتابا في «الأضداد» ، وكذا ابن الأنباري . وكتب أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني في «الوجوه والنظائر» في القرآن الكريم . وتناول السيوطي مسألة «الأشباه والنظائر» في كتابه المعروف بهذا الاسم . وجمع الأصمعي في كتابه ما وسمه بـ «ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه» .

كما أُلّفت كتب عديدة في «الاشتقاق» ، ذكرنا بعضها في ثنايا البحث ، منها كتاب «الاشتقاق» لأبي بكر بن دريد ، وهو أول كتاب في هذا الفن ، و«الاشتقاق» لعبد الله أمين ، و«الاشتقاق والتعريب» لعبد القادر المغربي . إضافة إلى الكتب التي حاول أصحابها استقصاء «المُعَرَّب» من الكلام الأعجمي ، ككتاب الجواليقي «المُعَرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم» ، وكتابي السيوطي «المتوكّلي» لما وقع في القرآن من المعرب ، و«المُهذّب» لما وقع في القرآن من المعرب . هذا فضلا عن الكتب التي تتناول بعض مظاهر التوسع اللغوي ضمن مواضيع أخرى ، ككتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، والصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس ، والخصائص لابن جني . وثمة كتب أفردت وسائل التوسع اللغوي بموضوع ، تعرضت فيه لبعضها أو أغلبها ، وهي كتب حديثة ، ككتاب النحت في اللغة العربية لنهاد الموسى ، والمظاهر الطارئة على الفصحى لمحمد عيد ، وكتاب من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس .

فإذا أضفنا هذه الكتب إلى ما حوته المعاجم ، وكتب المصطلحات والحدود والتعريفات ، ككتاب التعريفات للشريف الجرجاني ، ومفتاح العلوم للخوارزمي ، وحدود ابن عرفة ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، وكتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث للأمير مصطفى الشهابي ، عرفنا ما لهذه اللغة من ثروة تقاصرت عنها سائر اللغات . إضافة إلى المقالات الكثيرة المتناثرة في الكتب والمجلات العلمية ، والدوريات والحوليات ، وجهود المجامع العلمية في هذا المجال .

كل ذلك يدل بحق على ثراء هذه اللغة وقدرتها الواضحة على استيعاب علوم العصر .

٤ - أن اللغة العربية زيادة على ما تقدم تختص بميزة لا تعرف لغيرها من اللغات ، وهي كونها لغة قياسية ، بمعنى أن مفرداتها لا تقف عند الحد الذي نطق به الأوائل فيما يسمى بعصر الاحتجاج اللغوي . وقد أثبت قياسيتها بعضُ أئمة اللغة من القرنين الثالث والرابع ، كأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ،

وكذا محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، وذلك إشفاقا على اللغة ، وحرصا على أن تستوعب كل الألفاظ التي تدعو إليها ضرورة الاستعمال وحاجة الناس إلى التعبير عن متطلبات حياتهم . فأرسلوا قولتهم المشهورة التي جاءت على لسان ابن جني «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» . ولم تكن دعوتهم هدما لصيغ العربية وتمزيقا لأوزانها ، ولكنه عَمَلٌ من خلالها ، ولم تكن منفذا يتسلل منه الناقمون على اللغة للتشكيك في قدراتها والنيل من ثوابتها ، ولكنه تطويع لهذه القوالب لتستوعب الحديث ، فالنهر يتجه إلى مصبه ويظل أمينا لمنبعه ، كما يقول أحد فلاسفة الغرب .

فلو وقفت اللغة عند ما أراد لها القدماء من جمود وعجز عن مسايرة ومواكبة مستجدات الحياة لأصبحت «مومياء» محنَّطة كما الفراعنة ، لكن أبى الله إلا أن ينصر لغة القرآن ، ويجعلها - كشرعه - صالحة لكل زمان ، تلبي حاجات الإنسان حيثما كان . فليست اللغة - كما وصفها بعض أنصارها - عجينة طيعة في أيدي المتحذلقين ، ولكنها أداة حية في أيدي صناع التاريخ وبناة الحياة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، ط : مكتبة الانجلو مصرية ط :٣/ , ١٩٦٦

إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة، ط : السابعة ١٩٨٥مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة .

إبراهيم محمد نجا : فقه اللغة العربية .

ابن الأنباري (محمد بن القاسم) : الأضداد ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط ١ ، الكويت ١٩٦٠م .

ابن جني : الخصائص ، ط :١ ، تحقيق د عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ٢٠٠١م .

ابن دريد للهالاشتقاقلله لأبي بكر ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨م .

ابن سلام (محمد بن سلام) الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود محمد شاكر ، مطبعة المداني ، القاهرة ، لاط ، لات .

ابن سيده (علي بن إسماعيل) : المخصص ، دار الكتب العلمية ، لاط ، لات .

ابن فارس الصاحبي ، ط :مكتبة المعارف بيروت ،ط ١ ، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م ،تحقيق

ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط : الثانية ١٣٨٩ / ١٩٦٩ شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر .

ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط : دار إحياء الكتب العربية ,سنة ١٣٦٦هـ .

ابن منظورالإفريقي ، محمد بن بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت –

أبو حاتم السجستاني : الأضداد ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢م .

أحمد الإسكندري : المعرب والأعجمي ، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة .

أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ، ط :٢ ، دار الفكر ١٩٩٩م .

الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد : تهذيب اللغة ، إشراف محمد عوض مرعب ط : ١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ، مطبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

إسحاق الحسيني : اختصار الكلمات و البحوث والمحاضرات ، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورة (٤١) .

الأصمعي : كتاب للهما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيهلله ، (مخطوط) .

الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، ط : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٥م .

أنور الجندي : اللغة العربية بين حماتها وخصومها ، ط : مكتبة الانجلو المصرية بدون تاريخ .

برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية ، إخراج وتصحيح وتعليق د . رمضان عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ ، المطبعة الوطنية ، عَمّان ، المملكة الأردنية
الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، لات .
الجرجاني : التعريفات ، ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٨١ ط : دار الكتاب المصري .
جرجي زيدان : اللغة العربية كائن حي ، مراجعة وتعليق مراد كامل ، ط : دار الهلال بلا تاريخ .
جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية ، ط : دار الهلال ، ١٩٦٩م .
الجواليقي : المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، ط : دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٦١هـ .
حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٤م .
حسين نصار :المعجم العربي : نشأته وتطوره ، ط دار الكتاب العربي مصدر ١٣٧٥ هـ , ١٩٥٦
الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين تحقيق الدكتور عبد الله درويش ، بغداد ، ١٩٦٧م .
الخوارزمي : مفاتيح العلوم ط ٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ،القاهرة ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
الدامغاني (أبو عبد الله الحسين بن محمد) الدامغاني : الوجوه والنظائر في ألفاظ كتاب الله العزيز ، تقديم وتحقيق عربي عبد الحميد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ، تح مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الفكر بيروت لبنان ، ٢٠٠١م .
ساطع الحصري : في اللغة والأدب ، ط : مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ١٤٨٥هـ .
سيبويه ، عمر بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر : الكتاب ، ط مكتبة الخانجي القاهرة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٤م .
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : الأشباه والنظائر ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .
السيوطي : اللهالمتوكّليلله لما وقع في القرآن من المعرب ، ولله المُهذّبلله لما وقع في القرآن من المعرب (مخطوطان) .
السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، طبعة قديمة ، بلا مكان ولا تاريخ طبعة .
السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أبي الفضل وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥٨م .
السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر : المزهر في علوم اللغة والأدب ، شرح وضبط وتصحيح وتعلبق أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، ط : دار الجيل ودار الفكر ، بيروت ، لاط ، لات .

الشدياق : كنز الرغائب ، مطبعة الجوائب .
شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ط : ٥ ، دار المعارف – القاهرة ، ١٩٧٩م .
صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، ط : ٢ بيروت ١٣٨٢/ ١٩٦٢م .
الطراز المذهب فيما في اللغة من المعرب
عباس حسن : رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، ط : القاهرة ١٣٧١هـ , ١٩٥١
عباس محمود العقاد اللغة الشاعرة ، ط : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠م .
عبد الصبور شاهدين : العربية لغة العلوم والتقنية ، ط : دار الإصلاح السعودية ، الدمام , ١٩٨٣
عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ، ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر ط : ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م .
عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ، ط : ٢ ، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م ، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة .
عبد القادر بن عمر البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط : ٣ ، ١٩٨٩م .
عبد الله أمين : الاشتقاق ، ط ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .
علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ، ط : الخامسة ، مكتبة نهضة مصر ١٣٨٢/ , ١٩٦٤
اللغة العربية بين حماتها وخصومها .
مجد الدين الفيروزابادي محمد بن يعقوب : الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف .
مجد الدين الفيروزابادي : القاموس المحيط ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .
مجلة اللسان العربي العدد ٤٧/ ربيع الأول ١٤٢٠/ يونيو١٩٩٩ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مكتب تنسيق التعريب– الرباط – المغرب .
مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مطبعة وزارة الأوقاف ، القاهرة ١٩٥٣م .
محمد الخضر حسين : المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة : مجلة المجمع ، القاهرة .
محمد حسن عبد العزيز : النحت في اللغة العربية
محمد سليمان عبد الله الأشقر : معجم علوم اللغة العربية ، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
محمد عيد : المظاهر الطارئة على الفصحى ، ط : عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
نهاد الموسى : النحت في اللغة العربية ، عمّان ، المملكة الأردنية .

الهوامش

(١) راجع د . أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات .

(٢) د . شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ص ١٥ .

(٣) ابن جني : الخصائص ، ١/ ٣٧٦ .

(٤) نفس المصدر ١/ ٣٦٨ .

(٥) راجع أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري : تهذيب اللغة (صقر – زقر) .

(٦) التهذيب (فصد – فزد) ، تقول العرب لمن يصل إلى طرف من حاجته ، وهو يطلب نهايتها «ما حُرِم من فُصْدَ له ، وفي رواية فُزْدَ له» .

(٧) راجع اللسان وتاج العروس والقاموس المحيط وتهذيب اللغة (غلت) .

(٨) راجع التهذيب واللسان وتاج العروس (عظ) .

(٩) تهذيب اللغة والمعجم الوسيط (شوى وأشوى) ، وراجع د . أحمد محمد قدور : مبادئ اللسانيات ص ٣٢٧ .

(١٠) سنرى نماذج من السعي إلى التوسع في ألفاظ اللغة عند ابن جني في قوله «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» .

(١١) السيوطي : المزهر في علوم اللغة والأدب ١/ ٢٩٣ .

(١٢) ابن جني : الخصائص ١/ ٣٥٦ .

(١٣) ابن جني الخصائص ١/ ٣٦٦ .

(١٤) نفس المصدر ١/ ٣٥٨ .

(١٥) نفس المصدر ١/ ٦٧ .

(١٦) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ص ١/ ١٧٨ – ١٨٥ .

(١٧) سنتحدث عن المعرّب في نقطة مستقلة بحول الله في ثنايا البحث .

(١٨) راجع د . محمد عيد : المظاهر الطارئة على الفصحى ٨٤–٨٥ .

(١٩) الطراز المذهب فيما في اللغة من المعرب . صـ ٨ .

(٢٠) الاشتقاق والتعريب . صـ ٦٢ .

(٢١) مجلة المجمع ١/ ٣٣ .

(٢٢) راجع د محمد عيد : المظاهر الطارئة على الفصحى ص ٨٨ – ٩٢ .

(٢٣) راجع عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ، ١/ ٣٠ .

(٢٤) فحول الشعراء صـ ٣٩ .

(٢٥) المظاهر الطارئة ص ٩٤ .

(٢٦) ابن جني : الخصائص ١/ ٧٩ .

(٢٧) التطور النحوي ١٣٧ ، و المظاهر الطارئة على اللغة صـ ١٠١ .

(٢٨) الجوهري : تهذيب اللغة (سلط) .

(٢٩) راجع بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٥٩ - ٣٦٣ .

(٣٠) راجع البرهان في علم القرآن ١/ ٣٥٩ - ٣٦٠ ، والمظاهر الطارئة على الفصحى صـ ١٠٦ .

(٣١) الزركشي : البرهان ، ١/ ٣٦٠ .

(٣٢) راجع المعرّب للجواليقي ص ٥ .

(٣٣) راجع الكتاب : هذا باب ما أعرب في الأعجمية ٤/ ٣٠٣-٣٠٤ .

(٣٤) راجع د صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣٥) راجع كتاب المظاهر الطارئة على الفصحى صـ ١١٢ .

(٣٦) محلة المجمع ٤/ ٣٣ ، ١٢٤ ، ١٠/ ٥ .

(٣٧) مجلة المجمع ١/ ٣٣ .

(٣٨) مجلة المجمع ١/ ٣٣ .

(٣٩) انظر السيوطي : الإتقان في علوم القرآن صـ ١/ ١٨٠ - ١٨٤ .

(٤٠) عبد القادر المغربي : الاشتقاق والتعريب ص ١٢٠- ١٣١ .

(٤١) الاشتقاق والتعريب صـ ٤٤-٤٥ .

(٤٢) راجع أنور الجندي : اللغة العربية بين حماتها وخصومها ص : ١٥٥ و ١٧٣ .

(٤٣) راجع : أحمد الإسكندري : المعرب والأعجمي ، مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٢٠٠ .

(٤٤) راجع مجلة مجمع اللغة العربية ٥/ ٦ .

(٤٥) مجلة المجمع ١/ ٢٢ .

(٤٦) مجلة المجمع ١/ ٢٠٢ .

(٤٧) راجع المظاهر الطارئة على اللغة صـ ١٣٠ .

(٤٨) المظاهر الطارئة صـ ١٣٣ .

(٤٩) عباس حسن : رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية صـ ٩٠ .

(٥٠) د .صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٣٦٧ .

(٥١) نفس المرجع ص ٣٦٦ .

(٥٢) راجع حسين نصار :المعجم العربي : نشأته وتطوره ١/ ٧١ .

(٥٣) عباس حسن : رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ص ٧٥ .

(٥٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة ١/ ٨٥١ .

(٥٥) الجرجاني : التعريفات ص ٤٣ .

(٥٦) معجم علوم اللغة العربية . د . محمد سليمان عبد الله الأشقر ص ٤٩ – ٥٠ .

(٥٧) الجوهري : تهذيب اللغة (ذؤب) .

(٥٨) راجع مجلة المجمع ٤/ ٣٢٨ وما بعدها .

(٥٩) مجلة المجمع ١/ ٢٣٢- ٢٣٥ .

(٦٠) الأشباه والنظائر ١/ ٦٣ .

(٦١) راجع ابن منظور : لسان العرب (بس بس) .

(٦٢) الأشباه والنظائر ١/ ٦٣ .

(٦٣) العين ١/ ٦٨- ٦٩ .

(٦٤) الكتاب ٣/ ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٦٥) راجع ابن فارس : مقاييس اللغة ، ١/ ٣٢٨- ٣٢٩ .

(٦٦) الصاحبي لابن فارس ص ٢٧١ .

(٦٧) الشدياق : كنز الرغائب ١/ ٢٠٤ -٢٠٥ .

(٦٨) جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية ص ٧١ فما بعدها .

(٦٩) الاشتقاق والتعريب ، مرجع سابق ، ص ١٣ – ١٥ .

(٧٠) راجع دصبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٢٦٦ .

(٧١) نفس المرجع ص ٢٦٤ – ٢٦٦ .

(٧٢) ساطع الحصري : في اللغة والأدب ص ٧٤ ٨١ – .

(٧٣) راجع النحت في اللغة العربية د . محمد حسن عبد العزيز ص ٢٥– ٢٦ .

(٧٤) النحت في اللغة العربية ص ٢٦– ٢٧ .

(٧٥) راجع د . محمد حسن عبد العزيز : النحت في اللغة العربية ص ٢٧ .

(٧٦) النحت في اللغة العربية ص ٢٨ .

(٧٧) د . إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ٧٨ .

(٧٨) راجع د . عبد الصبور شاهدين : العربية لغة العلوم والتقنية ص ٢٩٤– ٢٩٦ .

(٧٩) راجع الفيروزابادي : مقدمة القاموس المحيط ، ود . إسحاق الحسيني : اختصار الكلمات و البحوث والمحاضرات ، مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة دورة (٤١) ص ٢١٥– ٢٢٠ .

(٨٠) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ :٧ ص ٢٠١– ٢٠٤ .

(٨١) مجلة المجمع ، بتصرف ٧/ ٢٠١ – ٢٠٤ .

(٨٢) النحت في اللغة : د . محمد حسن عبد العزيز ص ٨٤ .

(٨٣) راجع مجلة اللسان العربي العدد ٤٧/ ربيع الأول ١٤٢٠/ يونيو ١٩٩٩ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مكتب تنسيق التعريب– الرباط – المغرب .

(٨٤) راجع د إبراهيم محمد نجا : فقه اللغة العربية ، ص ٥٦ .

(٨٥) لم أقف على قول ابن مالك في التسهيل ، وقد راجعت التسهيل مرارا في مكتبتي ، راجع د . إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ٧٢ .

(٨٦) لم أقف على قول أبي حيان فيما اطلعت عليه من كتبه ، راجع : السيوطي : المزهر ١/ ٤٨٥ .

(٨٧) يعني به كتابه «الصاحبي» ، الذي تقدم العزو إليه ، ويطلق عليه كتاب فقه اللغة كذلك .

(٨٨) راجع مجلة المجمع ٧/ ٢٠٢-٢٠٣ .

(٨٩) راجع النحت في اللغة العربية نهاد الموسى ص ٣١ .

(٩٠) مجلة مجمع اللغة العربية ١/ ٢٩٢ .

(٩١) اللغة العربية بين حماتها وخصومها ص ١٥١ .

(٩٢) راجع عباس محمود العقاد اللغة الشاعرة ص ٣٧ .

(٩٣) راجع جرجي زيدان : اللغة العربية كائن حي ، ص ٦٤ وما بعدها .

(٩٤) راجع اللغة العربية كائن حي ص ٨٠ وما بعدها .

(٩٥) نفس المرجع ص ٧٠ وما بعدها .

(٩٦) راجع النحت في اللغة العربية د . نهاد الموسى ص ٤٠ .

(٩٧) راجع رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ص ٨٩ وما بعدها .

(٩٨) محمد الخضر حسين : المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة : مجلة المجمع ١/ ٣٠١ .

(٩٩) راجع علي عبد الواحد وافي : علم اللغة ص ٢٩٤ .

(١٠٠) راجع الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٣ .

(١٠١) راجع مجلة المجمع ١/ ٢٩٤ .

(١٠٢) عقد ابن جني في كتابه الخصائص ١/ ٣٥٦ بابا تحت هذا العنوان أثبت فيه أن ما دخل تحت مقاييس اللغة ، ولم يخرج عن نواميسها ، ولا شذ عن أبنيتها وأوزانها فإنه من كلام العرب حتى ولو لم تنطق به العرب في عصر الاحتجاج اللغوي .

(١٠٣) راجع من أسرار اللغة د . إبراهيم أنيس ص ١٢ .

(١٠٤) عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ١/ ٣٠ .

(١٠٥) د ابراهيم أنيس من أسرار اللغة ص ١٢ وما بعدها .

(١٠٦) راجع مجلة المجمع ٧/ ٣٥١ - ٣٥٨ .

(١٠٧) ابن فارس الصاحبي ص ٦٦ .

(١٠٨) الصاحبي ص ٦٧ .

(١٠٩) المزهر للسيوطي ١/ ٣٥١ .

(١١٠) راجع مقدمة تحقيق عبد السلام هارون لكتاب مقاييس اللغة ص ٢٤ ج ١

انتقائية مصادر الشعر العربي الحديث
تنظيرا وممارسة

د. أبو اليزيد إبراهيم الشرقاوي

١- فاتحة

تمثل عملية العودة إلى "مرجعية" تؤطر حركة الشعر إشكالية ممتدة في تاريخ الأدب العربي. ففي القديم ظهر "الصراع بين القدامى والمحدثين" كحالة من تجليات هذه الإشكالية. ومع أن "المرجعية" لم تكن باتساع يسمح باختلاف كبير، إلا أن حجم الصراع وما دوَّنه القدامى يبدو مبالغا فيه، إذا ما قيس بالإشكالية نفسها؛ لقد كان "الشعر القديم" يؤسس جوهر الموقفين: القديم والمحدث، وكان الخلاف حول "تفصيلات"، لا تؤدي، بحال، إلى نقض المرجعية، كما هو الحال لدى أبي نواس في اعتراضه ـ الشكلي ـ على المقدمة الطللية، وفي خروج أبي تمام على "عمود الشعر" باستعارة تُقَيِّبُ وجهَ الشبهِ، أو جرأة على " طريقة القدامى" في الوصف، وأيضا ـ كما حدث مع شعراء البديع الذين أرادوا فتح باب جديد لإظهار مهارتهم ومقدرتهم على تقديم جانب "شكلي" مبهر في الإبداع.

وظلت هذه "القضية" تحدد جوهر الإبداع النقدي ـ والأدبي ـ. وكان النقاد يميلون إلى جانب "القديم"، ويقفون ضد أي محاولة لفك الارتباط به، بينما حمل الشعراء ـ أو بعضهم ـ عبء مناوشة هؤلاء النقاد، والجرأة على الخروج (وفق مفاهيمهم هم). واستمرت الحالة ـ بصورة سلمية ـ إلى مشارف العصر الحديث، والذي يؤرخ له النقاد بمطلع القرن التاسع عشر. وبدأ الموقف يتغير وأخذت المراجعة تشمل كل شيء، فلم يعد ثمة "ثوابت"، ووضح أن كل شيء لم يعد يستمد قيمته من قدمه، وأن تأكيد هذه القيمة خاضع لإثبات صلاحية من خلال إعادة فك وتركيب جديدين لكل "المكونات" الثقافية التي تؤسس جوهر الثقافة العربية الإسلامية "القديمة".

٢- مستوى التنظير

٢- ١ مدخل

٢- ١- ١ وأول محاولة محدثة لإعادة طرح هذه الإشكالية ظهرت، خفية، على يد رفاعة رافع الطهطاوي، في كتابه "تخليص الإبريز". وتقود مراجعة الكتاب إلى ما

يشبه الشعور الوجل، أو الخوف، من قِبَل مؤلفه في طرح مسألة قديمة برؤية جديدة. ويبدو أنه يمتحن الركون الداخلي فينا (أو على الأصح لدى جيله) إلى ثقافتنا الموروثة، وما ترسب في الوجدان أو اللاوعي من مفهومات متعلقة بقيمة هذه الثقافة. ومن ثم يتعرض لمفهومات راسخة منها مفهوم " علم"، و"عالم" وانسلاخهما عن الفهم الديني. فوَصْفُ الفرنسيين لرجل بأنه عالم " لا يفهم منه أنه يعرف في دينه، بل أنه يعرف علما من العلوم الأخرى"[1]. وهذا يترتب عليه أن صفة العلم منزوعة من المؤسسات الدينية الكبرى التي تتولى تدريس علوم الدين، أو على الأقل فما تقدمه "علوم نقلية" مقابل "علوم عقلية"، يبدو رفاعة مأخوذا بالقسم الثاني - العلوم العقلية - على حساب القسم الأول - العلوم النقلية-، إذ يقول : سيظهر لك فضل هؤلاء النصارى في العلوم عمن عداهم، وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها. وأن جامع الأزهر المعمور بمصر القاهرة، وجامع بني أمية بالشام وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس، ومدارس بخارى ونحو ذلك زاخرة بالعلوم النقلية"، ثم يكمل فيما يشبه التعريض : "والعلوم في مدينة باريز تتقدم كل يوم فهي دائما في الزيادة، فإنها لا تمضي سنة إلا ويكتشفون شيئا جديدا".

ثم تدفعه المقارنة إلى إعادة النظر في مقولات مغالية في سياق الرد على الشعوبية، لكنها ترسخت في لاوعي القدامى، مثل انفراد اللغة العربية بفن الشعر، أو العروض، فيرد رفاعة مؤكدا عمومية وجود الشعر في لغات الأرض، وأن الله لم يوقفه على بني العرب: " ونظم الشعر غير خاص بلغة العرب، فإن كل لغة يمكن النظم فيها بمقتضى علم شعرها"[2]. ثم ينص على أنه ربما كان فن العروض نابعا من طبيعة اللغة، وبالتالي فإنه يختلف باختلاف اللغات. (وهذه نظرة متقدمة إلى اختلاف موسيقا الكلام باختلاف اللغة)، وعليه، فإن " فن العروض على الكيفية الخاصة به المدون عليها في لغة العرب، وحصره في البحور الخمسة عشرة المستعملة هي بخصوص اللغة العربية، وليس الفرنساوية".

ومن طريق المقابلة بين "علوم الأدب في اللغتين" يعيد تقييم البلاغة، ولا يرى (كما ذهب الجاحظ والمتقدمون) أنها من عبقريات اللغة العربية، فيذهب رفاعة إلى أن الهدف من علوم البلاغة الثلاثة، هو أن يتوصل" الإنسان إلى الإفصاح عما في ضميره بفصيح الكلام وبليغه"[3] ؛ فإذا كانت هذه هي غاية علم البلاغة المشتمل على علم البيان

والمعاني والبديع، فإن هذا العلم بهذه الحيثية ليس من خواص اللغة العربية· بل قد يكون في أي لغة كانت من اللغات، و(أنه) يعبر عن هذا العلم في اللغات الأجنبية بعلم "الريتوريقي" ···ثم أنه قد يكون الشيء بليغا في لغة بليغا في أخرى، أو قبيحا فيها، وقد تتفق بلاغة الشيء في لغتين أو لغات"·

إن آراء الطهطاوي - في زمنها - ثورية ضد الاقتناع بفرادة الموروث الثقافي وتميزه لارتباطه بالمخيلة العربية والحس العربي· لكن هذه الآراء لم يكن لها مردود ثقافي في حينها، لأنها أتت سابقة على زمن التمرد ومحاولة الخروج على هذا الموروث· فقد كان معاصرو رفاعة ممن يتعاطون الأدب غير مهمومين بهذه المشاكل التي تعيد النظر في "هوية الأدب العربي"· وكان الشعراء مستسلمين - اختيارا - للتقاليد المنقولة عن التراث· وربما رجع ذلك إلى أن تجربة الاحتكاك بتراث الآخر لم تتوفر لعدد كاف زمن رفاعة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن فكرة الرغبة في الخروج على التقاليد الأدبية الموروثة لم تكن مطروحة· وربما كان النموذج المنقول عن التقاليد النابعة من عمود الشعر قادرا على إقناعهم بكفاءته على نقل معاناتهم الإبداعية، التي كانت هي الأخرى نُسَخًا منقولة عن النموذج التراثي، وبالتالي كانت إبداعاتهم تقاس بمدى قربها أو ابتعادها عن الإجادة المحسوبة بناء على مقاييس عمود الشعر·

وعلى يد هؤلاء، وتلامذتهم، تكونت حركة إحياء التراث· ولم يكن مرشحا أمام هؤلاء أي بديل لينافس "البعث"، فالنموذج الموروث كان لمّا يزل هو الغاية المنشودة، ولم يكن الأدباء على اتصال بمجريات الأمور لدى الثقافات الأخرى· فبلغ "بعث التراث" و"إحياؤه" قمته في غياب وعي الأدباء بالثقافات المحيطة بهم، وغياب تأثير دعاوى مثل دعوة رفاعة إلى إعادة تقييم هذا النموذج، وكذلك بسبب أن دعوة رفاعة نفسها لم تكن صريحة، ولا مُقنِعَةً·

٢- ١- ٢ لكن الانفتاح على ثقافة الآخر أخذ في الازدياد بدءا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر· مما ترتب عليه إعلان الشك في مقدرة النموذج التراثي القديم على التعبير عن "روح العصر"·وهذا الشك استدعى رد فعل مناوئ، فبدأت نواة صراع، تعيد إلى الذاكرة طرفا من صراع القدامى والمحدثين، وجدلهم حول "مرجعية" الشعر العربي·

ويظهر صراع "المرجعية" على أيدي نفر من أدباء مروا بتجارب تقترب في كثير من تجربة رفاعة، المبنية على احتكاك مباشر بالثقافة الأوربية، وعلى وجه الخصوص بالثقافة الفرنسية. وأعلى الأصوات الأولى - برغم خفوته - يمكن الوقوف عليه في كتاب "رحلة باريس" لمؤلفه: فرنسيس فتح الله، وهو أديب سوري توفي عن عمر يناهز التاسعة والثلاثين عام١٨٧٤م . ولعل وفاته المبكرة هكذا، هي التي حالت دون أن يتم مشروعه، الذي كان يبشر برؤيا مبنية على وعي متقدم جدا بضرورة الخروج على النموذج التراثي ؛ إذ يعترف بأن غاية التعليم وفق النموذج العربي غير مقنعة، أو كما يقول هو نصا: " وإذا تأملت الفائدة لم أجدها سوى نظم الشعر، فها أنا شاعر إذا أراد شعراء العصر".[٤] ويقصد بذلك - كما شرح قبل المقبوس السابق - قيام التعليم، على أيامه، على مختصرات ومطولات في النحو والصرف. وهو ما دفعه إلى الاعتراض على هذا "العلم النقلي" فاتجه لدرس علوم الطب، منفردا، حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين قرر أن يرحل إلى باريس ؛ وهناك واجه الثقافة الفرنسية والأدب الفرنسي، فكتب شعرا في الاعتراض على " عمود الشعر"، و"النموذج الموروث"، وطالب بالكف عن "حديث الطل الطلل" والظعن، إلى أن يقول:

لا والذي خلق الإنسان مكتسبا	بالذوق غير عقيم العقل والعمل
لكل عصر رجال حسب دولته	فالآن ما الرجل العبسي بالرجل
واليوم لم يبق للإقفار من رهط	ولم يعد لظهور النجب من دخل
ولم يعد في خيام العرب من سكن	غير اللصوص وسقط الناس والسفل
هذي عصور علينا في الحجى جدد	فلا نبلبلها بالأعصر الأول

٢- ١- ٣ ولم يُلْتَفَتْ إلى هذه الدعاوى الصريحة بإعادة محاكمة النموذج الموروث، صراحة وعلانية، إلا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر؛ إذ بدأت الدعوات مع مجلة "المقتطف"، التي جعلت تبني النموذج الأوربي في الثقافة الحديثة من أولى اهتماماتها، بالدعوة إليه، ومقارنته بالنموذج الموروث ؛ مع التصريح علانية بانتقاص النموذج الموروث، كما ورد في مقال لم تذكر المجلة مؤلفه، بعنوان:"الشعر والشعراء" عام ١٨٩١م؛ إذ يقارن المؤلف المجهول بين حال الشعر العربي والنقش المصري، بعد أن تحول إلى نماذج، أو كما يقول هو :"كأنها أفرغت في قالب واحد" . وهذا عكس

حال شعراء الأوربيين، فإن "فحولهم لم يتبعوا خطة التقليد بل ما زالوا إلى عهدنا يطلقون العنان لجياد القرائح لتجول في عالم الحقيقة وفي بحار المجاز وتنتقي درر المعاني وتنظمها في أسلاك البيان، وتتخير من الحوادث والأحاديث ما يهذب الأخلاق ويدمث الطباع ويغري باتباع الفضائل واكتساب المحامد". ويرى المؤلف أن الحل الوحيد للخروج من الحال الراهنة، وتحرير الشعر من ربقة القيود التي تقيد بها يتمثل في ترجمة أشعار هوميروس وملتون وغيرهما من فحول الشعراء. فإذا حدث، وخرجت هذه الأشعار بصورة مرضية:" رأى فيها أدباؤنا ما يغير رأيهم في الشعر والشعراء، فيغادرون الطريقة التي اتبعوها حتى الآن، ويتبعون طريقة الأوربيين". وحين استجاب سليمان البستاني لهذه الدعوة، وترجم إلياذة هوميروس اعتبر القائمون على "المقتطف" هذا حدثا استثنائيا، وأضاف صاحب تقريظ ترجمة البستاني (ولم تذكر المجلة اسمه)، أن طباعة هذا العمل ستؤدي إلى أن "تزول عنا وصمة عار لحقتنا منذ ألف عام، وهي أن العرب مع اعتنائهم بفلسفة اليونان وعلومهم واهتمامهم بالشعر والشعراء، لم يقدموا على ترجمة أشعار هوميروس، إما لأنهم لم يفهموا معانيها، أو لأنهم لم يقدروها قدرها"[٥]. وهذه الإضافة أمر جديد في صراع مرجعية الشعر، لا يتعلق بمقدرة النموذج التراثي أو عدم مقدرته على مواكبة روح العصر، بقدر ما تتعلق بالدعاوى الشعوبية التي وجهها المستشرقون. ومما يجعل الأمر مربكا أن هذه الترجمة وقعت في صياغة شبه عمودية، وكان هذا - بحد ذاته - كفيلا برفع قيمة النموذج التراثي، والزعم بأنه قادر على نقل الملاحم، لكن المؤلف المجهول لم يكن يعنيه هذا الأمر.

ووصلت "المقتطف" في باب انتقاص النموذج التراثي الغاية، وظهر أدباء يجيدون الجدل حول مقارنة النموذجين: الأوربي والعربي، كما فعل " نقولا فياض" في مقاله: "بلاغة العرب والإفرنج" [٦]، والذي هاجم فيه الشعر العربي، واتهم شعراءنا بالخمول العقلي، ومحاربة التجديد، بدعوى أنه يحمل" تصورات إفرنجية"، واتهمهم بأنهم ضد مسيرة الحياة التي تسير إلى أمام، وأنكر عليهم ما يكتبون لمجافاته روح عصرهم، "فلو قام أبناؤنا في القرن التالي وقرؤوا ما كتبناه في غير العلم والسياسة، لما حسبوا أننا عشنا في هذا العصر المختار عن سائر العصور السالفة، بل ظنوا أننا عشنا في عصر قبل هذا وزمن لم يكن فيه ما نراه الآن من حقائق العلم وعجائب العمران".

وإذا كان تعريض نقولا فياض بشعراء جيله بسبب تقليدهم للقدامى (وهي الدعوى التي رفعتها ضدهم المقتطف) فإن نجيب شاهين يكتب بعنوان " الشعراء المحافظون والشعراء العصريون"[٧] عام ١٩٠٢م، باحثا عن أسباب هذا التعلق بالنموذج القديم ؛ وأرجعه إلى "اقتصار شعرائنا على درس الشعر العربي، وعدم الاحتفال بدرس الشعر الأجنبي، إما لأنهم يجهلون اللغات الأجنبية، أو لأنهم يزدرون الشعر الأجنبي ويحسبون أن آلهات الشعر لا توحي إلا إليهم". ثم يرصد من مظاهر التقليد ذكر أسماء أمكنة لم يرها الشعراء، ويطالب الشعراء باستبدال مظاهر الطبيعة حولهم بذكر وجرة ومائها، والأماكن المجهولة التي لم يرها أحد. ويرى أن الوصف إذ ذاك سيكون أكثر مطابقة للحقيقة.

٢- ١- ٤ إن هذه الحركة "التحريضية" على "الشعر العربي" يغلب عليها طابع التعميم والانفعال، ويبدو أن القائمين عليها غير مطلعين بصورة مقنعة على التراث الشعري العربي. أو على الأقل يمكن القول إنهم حاكموا التراث العربي كله وفق أحكام تم استنباطها من متأخري الشعراء العرب على نهاية القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. وهذه الأشعار لا تصلح دليلا على تفاهة الشعر العربي كله. وهذا الحكم التعميمي يقع فيه أدباء كبار مثل مطران خليل مطران، كما في مقاله "الكتّاب أمس والكتّاب اليوم" المنشور ١٩٠٠[٨] في "المجلة المصرية"، إذ جعل الشعر القديم كله ضمن "أمس"، وفي مقابل القديم جعل المحدث "اليوم". وظهر هذا التعميم في كلامه على أشده في مقدمته الشهيرة لديوانه. فإذا افتخر بأن "هذا شعر ليس ناظمه بعبده، ولا تحمله ضرورات الوزن والقافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الفصيح باللفظ الفصيح.... الخ"[٩] ؛ أليست هذه كلها مما ينطبق على الشعر القديم؟. وهل كان الشعر في القرون الأولى غير هذا؟. إن الذي يعيبه مطران في هذا الكلام هو صنيع المتأخرين من الشعراء، لكنه عمم الكلام وجعله منسحبا على التراث كله، الذي يسميه "القديم".

٢- ١- ٥ أما من نجا من هذه الأحكام العامة، والقاصرة، فقد عكس كلامه وعيا حقيقيا وجادا بحقيقة الخلاف بين طبيعة الأدب العربي والآداب الأوربية، التي امتدحها كُتّاب المقتطف، وعلى رأس هؤلاء - على قلتهم - سليمان البستاني، إذ قال في مقدمة ترجمته للإلياذة" وليس من اللازم أن يكون شعر جميع الأمم على نسق واحد، بل ربما

كان هذا التباين من الأسباب المؤدية إلى إبراز أنواع الجمال كافة على اختلاف صوره وأشكاله"[10]، واعترض على كاتب المقتطف الذي اعتبر ترجمة الإلياذة مكملة لنقص في طبيعة الشعر العربي، فقال إنه " لا سبيل إذن للزعم بوجود ملاحم لعرب الجاهلية على نحو ما يراد منها بعرف الأفرنج، ولكن للجاهليين نوعا آخر من الشعر القصصي"، وأكد على حيوية اللغة العربية، التي لم تخذله في نقل المعاني، ونص على مرونتها بصورة لا تتوافر في اللغات الغربية المعاصرة[11] ، فقال : " إن اللغة العربية شعرية بطبيعتها، لتفرع مادتها وتنوع اشتقاقاتها القياسية على أسلوب لا يرى له مثيل في اللغات الآرية، والقوافي مزدحمة فيها ازدحاما يسهل النظم، وهي بخلاف ما يزعم بعض الأعاجم جزلة التركيب بحكم الانسجام وفيها من طرق الحذف والتقدير والتقديم والتأخير ما ينفسح معه المجال لصوغ عبارته على قوالب شتى، وتلك مزية تمدح عليها اللغة في الشعر".

٢- ٢ ما بعد مرحلة البدايات

٢- ٢- ١ وفي هذه الخلفية الثقافية نشأ جيل الديوانيين، وعَكَسَ هؤلاء الديوانيون الجدلَ حول المرجعية بصورة انفعالية، غالبا، مما ترك أثره على هذه القضية، وما كتبه رواد الديوان عن مصادر ثقافتهم يشير إلى تغيُّر كبير في مرجعيتهم الثقافية؛ إذ يقول العقاد عام ١٩٣٩ عن مصادر ثقافة جيله : " كان الميل الطبيعي للقراءة هو قراءة الإنجليزية، ولكن هذا لا يمنع من قراءتنا لنقاد اللغات الأخرى بالإنجليزية، أيضا".[12] وهو نفس ما أكده في مجلة المجلة، إذ تحدث عن مرحلة ما بعد شوقي، ورآها "مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية، ...، وهي على إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز، لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين"[13]، وهو نفس ما ذكره شكري[14]، والمازني[15]، وأكده المازني عام ١٩٣٤ في مقال له منشور في "البلاغ" يمتدح فيه زميله عبد الرحمن شكري، وأنه صاحب يد عليه في توجيهه إلى مصادره الثقافية، إذ فتح عينه على شكسبير وبيرون ووردزورث وكولردج وهازلت وكارليل ولي هنت وماكولي وجوته وشيلر وهينه وريختر وليسنج وموليير وروسو، ومئات غيرهم من أعلام الأدب الغربي".

٢- ٢- ٢ وعكست إشارات الأدباء إلى مصادرهم أن الانتساب إلى الثقافة الأوربية أصبح مما يمتدح به الأديب، فانتسب صالح جودت إلى " شيللي وكيتس ووردزورث"[16].

ونقل صالح جودت اعتراف أحمد زكي أبو شادي؛ إذ يقول: "تأثرت كثيرا بوردزورث وبشيلي وكيتس وهيني من الشعراء، وبيرنز وأرنولد بنيت من الأدباء"[17]. فإن أخذنا ما يقوله هؤلاء على محمل الجد؛ فإن الإطار الثقافي الذي يتحرك فيه هذا الجيل يختلف كثيرا عن الإطار الثقافي لدى الجيل السابق، وهو ما يرشح لحدوث ثورة على النموذج التراثي المنقول.

٢- ٢- ٣ وتظهر هذه الثورة جامحة بصورة مفتعلة، وغير مقنعة، لدى العقاد والشابي. ذهب العقاد إلى تحقير النموذج التراثي معتقدا في صحة دعواه بما وصل إليه من فروق في الموهبة والاستعداد النفسي بين الجنسين: السامي والآري. وأرجع الجمود والركود الفكري الخلاق لدى الساميين إلى أثر البيئة الصافية الجو؛ إذ خلت مما يخيف ويذعر، "فقويت حواسهم وضعف خيالهم. ومن ثم كان الآريون أقدر في شعرهم على وصف سرائر النفوس، وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء، وذلك لأن مرجع الأول إلى الإحساس الباطن، ومرجع هذا إلى الإحساس الظاهر"[18]. ورتب العقاد على هذا الفرق اختلاف الأنواع الأدبية، فظهرت الميثولوجيا لدى الآريين، وظهر الشعر القصصي، وهذا بدوره انعكس على أشعارهم؛ "فكانت له ينبوعا تفرعت منه أساليب وتشعبت أغراضه ومقاصده، وحرم الشعر العربي منها، فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها". وأيما شاعر كان واسع الخيال قوي التشخيص؛ فهو أقرب إلى الإفرنج في بيانه وأشبه بالآريين في مزاجه، وإن كان عربيا أو مصريا. وزاد العقاد في مقدمته ديوان المازني، فضيق الخناق على الشعر العربي في مقابل نظيره الغربي[19]. وبالتحديد في مجال الوزن والقوافي، لأن " أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تنفسح لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه، وقرأ الشعر الغربي فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة المختلفة المقاصد، وكيف تلين في أياديهم القوالب الشعرية، فيودعونها ما لا قدرة لشاعر عربي على وضعه في غير النثر".

٢- ٢- ٤ تلقف أبو القاسم الشابي هذه الأفكار، وحاكم التراث (والعقل) العربي في ضوئها، بسبب ساميته. فقارن بين الأساطير العربية والغربية، والأولى " لا حظ لها من وضاءة الفن وإشراق الحياة". أما الثانية، فإنها "مشبعة بالروح الشعرية الجميلة، زاخرة بفلسفة الحياة الفنية الراقصة في ظل الخيال"[20]. ويؤكد خلاصة رأيه في الميراث العربي: "أنه أدب مادي لا سمو فيه ولا إلهام. ولا تشوق إلى المستقبل ولا نظر إلى صميم

الأشياء ولباب الحقائق"٠ وتذهب " ريتا عوض" في تعليقها على منطلقات الشابي التي قادته إلى هذه الأحكام إلى أنه " من الغريب والمؤسف معا أن عددا كبيرا من الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التجديد في الشعر العربي في هذا القرن نظروا إلى التراث العربي نظرة احتقار، كنظرة الغربيين حتى نها[1] " ألقرن التاسع عشر إلى تراث الشعوب غير الأوربية٠٠٠(كما في) الموقف الذي وقفه أبو القاسم الشابي من التراث الشعري العربي في محاضرته:الخيال الشعري عند العرب؛ التي حاكم فيها الشعر العربي بأسره بمنطق رومنتيكية القرن التاسع عشر في أوربا وفرض عليه معاييرها" ٠[٢١]وبالفعل، فقد جمع الشابي ما تفرق من إشارات إلى عيب أو وجه خلل في الشعر العربي على ألسنة الكتاب والمستشرقين، وجعلها ـ معاـ كل ما في التراث، وسبب ما وصلنا إليه٠ وقرر أن الأدب العربي " لم يعد ملائما لروحنا ولمزاجنا"؛ بعد أن أصبحنا نتناول الحياة بنفس المنظور الأوربي، ومن ثم فإذا أردنا أن ننشئ أدبنا الجديد، فعلينا بالأدب الغربي، لأن "الصوت الغربي أقوى دويا وأبعد رنينا من الصوت العربي الخافت الضعيف"٠ وبصراحة مفجعة يعلن : " أنه ينبغي لنا إن أردنا أن ننشئ أدبا حقيقا بالخلود والحياة أن لا نتبع الأدب العربي في روحه ونظرته إلى الحياة؛ لأنها لم تعد صالحة للبقاء"٠

٢- ٢- ٥ إن هذه الآراء قد وجدت من يفندها، وهي لا حظ لها من الصحة، ولم يكن الشابي بثقافته مؤهلا لإصدار مثل هذه الأحكام ؛ فقد أعلن القريبون منه "جهل الشابي باللغات الأجنبية"٠[٢٢] ولم تكن حياته مستقرة ماديا وعاطفيا وصحيا، حتى تتاح له فرصة الاطلاع على "الأدب العربي" بعمومه، ليقارنه "بالآداب الأوربية" بعمومها؛ ويؤكد مترجم حياته أنه ولد ١٩٠٩ ومات ١٩٣٤، بعد حياة حافلة بالمعاناة الصحية والاجتماعية٠[٢٣] كما أن روح التعميم والمبالغة واضحة جدا في كلامه، وتعمد الاستشهاد بأمثلة من شعر زمن الانحطاط لتأكيد كلامه واضح٠

إن المستفاد من كلام العقاد والشابي أن الجدل الشائك حول قضية مرجعية الأدب الحديث، وتحديد مصادره الثقافية كان قد أصبح واقعا، لا فكاك منه ، وبالتالي كانت الآراء المتعلقة بتلك الإشكالية تجد من يتداولها، وهذا ما لم يحدث ـ قديما ـ مع آراء رفاعة، وفرنسيس فتح الله٠

ومن إشارات المازني - القليلة - ندرك أنه قد بنى اقتناعه في "الشعر:غاياته ووسائطه" على منهج توفيقي مستمد من التراث الأوربي كله مختلطا بالتراث العربي كله. دون أن يهتم بالجدل الفلسفي حول إشكالية المرجعية.

٢- ٣ مرحلة الوعي

٢- ٣- ١ ويبدو عبد الرحمن شكري أقربهم - جميعا - إلى الاعتدال الفكري. وتبدو آراؤه مدعومة بروح علمية عقلانية، كما في مقاله " رأي في الشعر الحديث" في المقتطف ١٩٣٩م ؛ إذ قدم النصيحة للشبان من الأدباء، فكانت" أن لا يقصروا اطلاعهم على شاعر دون شاعر أو عصر دون عصر، وأن يكون أساس اطلاعهم الأدب العربي، وأما الأدب الأوربي فهو لنا في المنزلة الثانية، ولا يكون الاطلاع عليه مفيدا إلا بعد دراسة الأدب العربي في العصور المختلفة"[٢٤].ويضيف شكري عدة نصائح منها عدم الالتفات إلى النظريات النقدية المعتمدة على التفلسف دون ربط كلامها بأدلة وشواهد مستقاة من واقع الأدب، وعدم الوقوع ضحية خداع من يريد تلقيح اللغة العربية بأساليب إفرنجية، وكذا عدم الخضوع للصرعات المذهبية الأدبية والنقدية، لأنها لا تلبث أن تنطوي وتزول كما تنطوي الأزياء.

٢- ٣- ٢ وجد الرأي المتزن أنصارا له، وإن كانوا قلة، إلا أنهم ممن يؤبه لهم، كما في البستاني وشكري. واستطاع أنصاره أن يتواجدوا وظهر إلياس أبو شبكة في "روابط الفكر والروح"، ليعيد النظر في هذه المرجعية، بعد أن تحدث في الإشكالية خلق كثيرون، ولم تعد مجرد انفعالات عشوائية، أو تعميمات منفلتة. ولعل إلياس أبو شبكة يمثل الجيل الثالث بعد البستاني وشكري.

إذا كان المثقفون في معرض مقارنتهم الشعر العربي بالشعر الأوربي يذهبون إلى تدني منزلة الأول ؛ فقد أكد إلياس أبو شبكة هذا الرأي، وانطلق منه بحثا عن حل للتخلص من هذا التدني، وذهب إلى إنسانية التراث العالمي، وأن "الحركة الثورية الكبرى التي تشعبت أندية وأحزابا (هدفت) لخدمة فكرة إنسانية واحدة" . وأن هذه الحركة العالمية أثرت في كل آداب العالم ، بما فيها الآداب العربية؛ فقال: " ومن هذه الحركة الثورية في الأدب الفرنسي نشأت حركة على مثالها في الأدب العربي"وهذا ترك آثاره التي يمكن اكتشافها في الشعراء العرب المحدثين؛ بما فيهم الشعراء المحافظون، مثل شوقي وحافظ وولي الدين يكن، أما الشعراء الأقل محافظة فإن

"القصائد التي بنى عليها شعراء تلك الحقبة شهرتهم الأدبية نرى معظمها منحولا عن شعراء الإفرنجية"[٢٥]٠

واعتبر أبو شبكة أن "النقل والاقتباس" كان المنفذ الوحيد لنقل درر الفكر الغربي إلى ثقافتنا، وهذا ليس عيبا يرمى به جيل الرواد، لأن الثقافات الأوربية الحديثة مرت في نشأتها بدور "النقل والاقتباس" وهو نفس ما فعله "رجال النهضة الأدبية في القطر العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد كانوا منصرفين إلى النقل والاقتباس"٠ وإذا جاز لجيل الرواد هذا الانفتاح المطلق على الثقافة الأوربية، فإنه لم يعد مطلوبا، لأن الخوض في هذا الطريق يؤدي إلى طمس الهوية وفقدان التفرد، فقال : "ولا نزاع في أنه من الضروري الاطلاع على أدب الأجانب للاستفادة من كنوزه، ولكن الاستفادة من هذه الكنوز لا تفضي إلى التخلي التدريجي عن السجايا الوطنية٠ واختلافُ المشارب وطرق التفكير لا يفقد الأمة فضائلها ومزاياها٠ فاقتداء الأدباء العرب في تلك الحقبة من الزمن بأدباء فرنسا لم يفقدهم طابعهم العربي٠ وكان تأثر شوقي بفيكتور هوجو مثلا لا ينسيه ديباجة المتنبي"[٢٦]٠

٢- ٣- ٣ يمكن القول - باطمئنان - إن إشكالية المرجعية في الشعر الحديث كانت مع مطلع الربع الثاني من القرن العشرين موضوعا للنقاش الجدلي؛ وأصبح الجدل فيها دائرا بين فريقين : الأول يرى الانفتاح المطلق على أدب أوربا ، هربا من واقع فاسد٠ والثاني يقتن لهذا الانفتاح، ويدعو إلى الحيطة والحذر فيه٠ وذلك بعد أن تراجع صوت الفريق المنادي بالاحتماء، كلية ، بالتراث، وسد المنافذ أمام هذا "الغزو الثقافي" الوافد٠

وهذا الجدل لا يمنع، مطلقا، الانفتاح على الأدب الأوربي، ولكن الخلاف في الدرجة، فقط٠ وعليه، فقد بدأت آثار الحركات الأدبية والنقدية الأوربية تجد طريقها في الثقافة العربية، علانية٠ وسهّل هذا "الانفتاح الثقافي" طريق دخول الأساطير وأساليب التعبير والخيال، وأنماط التفكير، المستمدة - كلها - من الفكر الأوربي٠ وتبارى الشعراء في استلهام هذه المؤثرات الأجنبية، وظهر شيء من "الاحتقاب" العشوائي والخلط بين هذه الأمور الوافدة من جهة، وبين العناصر التراثية من جهة أخرى٠ ومن ثم فلم تكن بدايات هذا الانفتاح ناضجة بصورة تكفي لإقناع القارئ، الذي لم يكن مؤهلا " بأفق توقعاته" لملاحقة هذه الثقافة الجديدة٠

٢- ٤ مرحلة الجدل الثقافي حول المرجعية

٢- ٤- ١ ويظهر هذا الحشد لدى معظم شعراء هذه الحقبة، وعلى رأسهم العقاد وأحمد زكي أبو شادي· فقد كان لديهما انفتاح على عالم الثقافة الأجنبية· وقد حاول العقاد الإفادة من "روايات الميثولوجي" التي اعتبرها من علامات تميز العقلية الآرية، فنقل طرفا من أساطيرهم، كما في "أكاروس" التي أدرك أنها لن تلقى استجابة من القارئ لغرابتها فعمد إلى شرح أسطورة ديدالوس والد إيكاروس، كي يضع أمام القارئ ما ينير جو القصيدة، ولكن هذا الشرح لم يُجْدِ نفعا، لأن الأسطورة لم يتم توظيفها فنيا[٢٧]· وكذلك شرحه لأسطورة أورفيوس المضمن في قصيدة "حديقة الحيوانات الآدمية" [٢٨]· ولم يكن موقف العقاد إلا تعبيرا عن رغبة عامة في نقل هذا الشعور الأجنبي إلينا، بعد أن عم رمي الشعر العربي بالنقص لجهله بعالم الأساطير، حتى من قبل أشخاص محافظين، مثل أحمد أمين الذي قال : "يرمى الشعر العربي عادة بضعف الخيال إذا قيس بالآداب الأخرى، لقلة ما فيه من قصص وأساطير خرافية"[٢٩]· وربما شجع على ذلك أن وجد العرب في تراث الرومانسية الأوربية ميلا واضحا إلى استخدام الأساطير في الشعر، لأنها تعود بالعقل إلى عالم الفطرة[٣٠]· وربما كانت الإفادة من التراث الرومانسي هي التي دفعت بالعقاد إلى إنشاء "عابر سبيل" ، بعد أن استقر الرأي على " أن العقاد كان ينحو في مجمل حياته الأدبية نحو الرومانتيكيين الإنجليز"·[٣١] وأن دعوته في مقدمة ديوان "عابر سبيل " لجعل موضوع الشعر مستمدا من واقع الحياة: في البيت والدكاكين وفي الطريق وفي السيارة، لأن كل ما يمتزج بالحياة الإنسانية، فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدى محببا في خواطر الناس"·[٣٢] وهذه الدعوة مستمدة من مقدمة ووردزورث لديوانه "قصائد غنائية قصصية" الذي دعا فيه "لالتصاق الشعر بحياة الناس السذج العاديين موضوعا ولغة، والابتعاد عن الموضوعات التقليدية المتحجرة، والقوالب اللغوية المحفوظة"·[٣٣]

٢- ٤- ٢ أما أحمد زكي أبو شادي، فبرغم العداوة التي أججتها مجلة أبولو بينه وبين العقاد، بعد أن نقد أبو شادي "وحي الأربعين"[٣٤]، فرد عليه العقاد بشراسة، مما أعطى أنصار أبولو فرصة لنقد العقاد، فاتهمه الهمشري بالسرقة من شعراء الغرب[٣٥]، واتهمه إسماعيل مظهر بالخلط بين البحور الشعرية[٣٦]، وذكر على ذلك شواهد عدة· واتهمه رمزي مفتاح بالنقل والسرقة من قصائد شكري[٣٧]· وجمع إسماعيل مظهر كل

ما قيل من نقد للعقاد وأعاده في " العقاد في الميزان وتداعي الأفكار في نقد الشعر"[٣٨]، وأعاد قراءة" وحي الأربعين" في ضوء مقياس نقدي جديد يقوم على اللفظ والموسيقى والوزن والقافية والخيال الشعري والذوق الشعري. وكان ذلك مدخلا دخل منه "أمين الخولي" في مقال بعنوان "أدب النقد" ذهب فيه إلى أن حديث العقاد عن الشعر النفسي ووحدة القصيدة وفلسفة النور ، مما نقله عن التراث الأجنبي.

والذي يعنينا من كل هذه التهم أنها كانت الوجه الجديد في الشعر العربي الحديث. فجيل الرواد - كما سبق عن أبي شبكة - اعتمد على النقل والاقتباس. والخلطُ بين البحور سمةُ الشعراء المجددين لدى الديوانيين وأبولو والمهجر، وأكثر من ذلك ، فقد دعت مجلة أبولو إلى " الشعر المنثور" مما اضطر إسماعيل نجاتي إلى السخرية : "ما هو الشعر المنثور، ولماذا لا يكون النثر المشعور؟"[٣٩] ؛ وأخذ إسماعيل نجاتي على مجلة أبولو التزيد في الشعر المترجم، مما اضطر معه أبو شادي للرد عليه في نفس العدد ليكشف عن مفهوم جديد للشعر، كان العقاد واضع أسسه من قبل، فقال : " إنما الشعر هو البيان لعاطفة نفاذة إلى ما خلف مظاهر الحياة لاستكناه أسرارها، وللتعبير عنها ، فإذا جاء هذا البيان منظوما فهو شعر منظوم، وإذا جاء منثورا فهو شعر منثور".[٤٠] فإذا أضفنا إلى ذلك " شعر التصوير" الذي دارت حوله معارك وآراء جدلية.[٤١] وكانت ردود أبي شادي تشير إلى أنه " قد اكتسب فلسفته في هذا الدفاع من نظريات علماء النفس الغربيين، الذين ينادون بالاختلاط بين الجنسين ومنح الحرية الكاملة للرجل والمرأة أو للفتى والفتاة في إقامة علاقاته الجنسية والاجتماعية على قدر ميله وهواه"[٤٢] - فإن ما نصل إليه - في النهاية - هو أن مرجعية الشعر العربي إذ ذاك كانت تشهد انجذابا شديدا باتجاه التراث والنموذج الأوربي على حساب النموذج التراثي العربي. ولعل توظيف الأساطير لدى شعراء أبولو، خصوصا لدى أحمد زكي أبو شادي، يعكس هذا الانفتاح غير الواعي على تراث غريب لم يفهمه الشعراء - حينها - ولم يتعاملوا معه فنيا ، فبدت الأساطير ألفاظا أجنبية غريبة محشورة قهرا في نسيج قصائد عربية، دون أن يكون توظيف جمالي، أو مبرر فني لوجودها هكذا. وهذا العيب عم - تقريبا - كل المحاولات الأولى للانفتاح على ثقافة الآخر من خلال استلهام أساطير أوربا القديمة، حتى لدى شعراء كبار، استطاعوا - فيما بعد - أن يجيدوا توظيف الأساطير وفق رؤية ووعي جديدين، كما في أعمال السياب المتقدمة، والتي

تبدو فيها أساطيره بلا وظيفة فنية، وربما - كما يقول ناجي علوش[٤٣] - حشد الشاعر أساطير مضطربة في الدلالة الرمزية، دون أن يكون واعيا، وبدا الشعراء مضطرين - كما في حال السياب - إلى شرح الأساطير في الهوامش، كي يضمنوا تجاوب القراء مع ما يكتبون.

٢- ٤- ٣ يمكن القول بأن مرجعية الشعر الحديث بدأت في التحول صوب النموذج الأوربي مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين بصورة أكدت أنه من غير الممكن التحكم في هذا الاندفاع صوب الفكر الأوربي، واستلهامه، وتأسيس النموذج الشعري العربي الجديد وفق مقولاته، التي نظّرتْ لتأسيس الشعر الحر.

لقد كان الاتجاه في النصف الأول من القرن العشرين صوب النموذج الأوربي للاستفادة منه في موضوعات الشعر ومضامينه، وأي خروج على الشكل العمودي التقليدي كان يجد سنده في محاولات الخروج التراثية على الوزن الواحد، والقافية الواحدة. وكان اعتماد الشعراء على مضامين القصائد المترجمة عن اللغات الأوربية يدفع إلى محاولات بناء صور شعرية جديدة، وظهر الميل إلى التشخيص، وتماسكت أجزاء القصيدة فيما أسماه العقاد بالوحدة العضوية. وهذه المؤثرات كانت تدخل إلى الشعر الحديث مدعومة بآراء مستمدة من التراث العربي غالبا.

٢- ٤- ٤ وبظهور الشعر الحر، اعتمد الشعراء على إليوت، ومارست تقنيات إليوت تأثيرا واسعا على الشعر الحديث[٤٤]، مما باعد بينه وبين النموذج التراثي.[٤٥] ومن اعترافات الشعراء - كما في حال السياب وصلاح عبد الصبور والبياتي[٤٦] - فإن الانتساب إلى إليوت وتجربته النقدية يبدو مما يفاخر به شعراؤنا، ولم تكن هذه حال هؤلاء الشعراء فقط، بل إن التفاخر بتحصيل الثقافة الأوربية والمباهاة بها، أصبح سمة الشعراء والنقاد معا [٤٧]. لكن يجب النص على أن الاندفاع صوب النموذج الأوربي لم يقطع الصلة - كلية - بالنموذج القديم، فحتى الآن تظهر محاولات متكررة، وكثيرة، لرد كل بنيات الشعر الحر إلى مقولات تراثية عربية. حتى الشكل، الذي بدا مفارقا للشكل الموروث، حاولت نازك - وغيرها - ربطه بالتراث، وجعله مجرد تنويعات وزنية، وإيقاعية تراثية. وكذا في باب الخيال الشعري والاستخدام اللغوي، والمجاز، فثمة محاولات تعمل جاهدة على ربط كل ما بدا جديدا في الشعر الحر بالمقولات التراثية. مما يعني أن الشعر الجديد لم يكن خروجا تاما على النموذج التراثي، بقدر ما هو

تمرد، ومحاولة تعديل، أثمر هذا التمرد تيارا شعريا كبيرا امتد طوال النصف الثاني من القرن العشرين وحتى اليوم اليوم.

٢- ٥ تطرف في الجدل حول المرجعية

٢- ٥- ١ إن أهم النتائج المترتبة على هذا التمرد يتمثل في توسيع دلالة "التراث" ، لتشمل "تراث العالم" كله. ويصبح" التراث العربي " مجرد "طبقة" في " أركيولوجيا الثقافة" العالمية. وساهمت مقولات وافدة مثل ما أشاعه إليوت عن تواجد الأجداد الموتى في إنتاج الشاعر الحي[٤٨]، ومقولات باختين عن" المبدأ الحواري"[٤٩]، التي انتهت على يد نقاد كبار إلى ما أصبح معروفا " بالتناص"[٥٠] ـ ساهمت هذه المقولات ـ ومازالت ـ في ربط الشعر العربي بالميراث الإنساني العالمي كله ، قديمه وحديثه. وشاعت "وحدة الثقافة العالمية" . وجاهد النقاد العرب المحدثون لتأكيد أن الثقافة لا هوية لها ، ولا تحدها التخطيطات الإقليمية وإذا أصبحت "ثقافة العالم" رهن استخدم شاعر، فإن هذا ـ بالضرورة ـ يؤدي إلى شيوع التناول الفردي، والرؤية الفردية، بالاعتماد على الانتقاء، والاختيار. ومن ثم أصبح للشاعر مطلق حرية في أن يدع أو يقبل من المقولات العالمية ما يشاء. وصار ربط الأدب بالحرية عاملا جوهريا في الإبداع الحديث، ولكنها حرية تقترب كثيرا من "الفوضى". وهذه الفوضى مدعومة ـ غالبا ـ بما يشبه " وهم القوة" في امتلاك "ثقافة العالم". ومن ثم لم يعد مطروحا ـ الآن ـ النظر إلى ثقافة الغرب في مقابل ثقافة الشرق، وأصبح تكرار شيء مثل " الآرية" أو "السامية" من مخلفات الثقافة القديمة. وعليه ، فحق للشاعر العربي أن يستخدم نفس التقنيات التي يستخدمها شعراء العالم، دون أن يشعر بهاجس "السرقة" أو "تغريب الشعر"، فقلد منحه" التناص" حقا "مشروعا" في امتلاك ثقافة "أجداده"، لكن مفهوم الأجداد اتسع جدا، ليشمل كل أدباء العالم بلا استثناء. وربما كان كلام أدونيس التالي ، معبرا، بصدق، عن هذه النقطة، إذ يقول : " التراث لكل شاعر هو في المعنى الأخير انتقاء بين الإمكانات والقيم التي يزخر بها، وليس أخذا بالجملة لهذه القيم والإمكانات. هذا الانتقاء لا يعني إهمالا للقيم الأخرى أو ازدراء، بل يعني شيئا واحدا هو أن الإنسان لا يأخذ، ولا يستطيع أن يأخذ إلا ما يوافق تجربته وحياته وفكره، إذن، لكل شاعر تراثه ضمن التراث الواحد، في هذا عظمة الخلق الإنساني، في سعة التراث وخصوبته".[٥١]

٢- ٥- ٢ وشكّل موقف أدونيس من التراث ركنا أصيلا من تجربة "الحداثة" بعد أن ألح أدونيس على علاقة الشاعر بتراثه، وتحديد مدلول: التراث، كثيرا ، وبدا كلامه ملغزا ، ومتناقضا ، ومثيرا للجدل كثيرا، لأنه كان يعتمد على مقولات أجنبية تحدد موقف الشاعر من التراث، وتنص هذه المقولات - صراحة - على ضرورة تعزيز ارتباط الشاعر بتراثه، ولكن أدونيس يحاول أن يهمش التراث العربي، ويجعله "شيئا "، مجرد شيء، في "تراث" كبير، يتربع على قمته النموذج الأوربي· فلقد نص إليوت في مقالته الشهيرة "التقاليد والموهبة الفردية" على "ضرورة تأثير الحاضر في الماضي، بالضبط كما يؤثر الماضي في الحاضر· وإذا أدرك الشاعر هذا بحق، فإنه يكون عالما بما يواجهه من صعوبات هائلة ومسئوليات كبيرة"·[٥٢] ونص نورثروب فراي ، صراحة، على أن الأعمال الشعرية تتوالد من أعمال شعرية أخرى، وكذا في الروايات ، إذ يتم إبداعها من روايات أخرى سابقة"[٥٣]· وهذا ما أصبح يعرف" بالتقاليد الأدبية" والتي أدت إلى قيام مناهج نقدية كبرى، مثل المنهج الأسطوري والبنيوي والتفكيكي·

ومن خلال ألسنية دي سوسير ، وتفرقته الشهيرة بين اللغة والكلام، يضع أدونيس علاقة الشاعر العربي الحديث بتراثه في نسق ألسني، فيقول في "صدمة الحداثة"[٥٤]: "إن هوية الشاعر العربي لا تتحدد بالشكل الكلامي الذي نطق به أسلافه الشعراء، وإنما تتحدد بخصوصية اللسان العربي كله"؛ ليؤسس على هذه المقدمة نتائج تؤدي إلى رفض - عقلاني - لجوهر النموذج التراثي، كما في تأكيده على أن الشعر العربي (وجَعَلَهُ هو اللسان العربي، قياسا على كلام دي سوسير) يمكن أن يتجسد شعرا في بنية كلامية غير بنية الوزن والقافية، كما يصل - عكس ما نص عليه إليوت وفراي - إلى أن علاقة الشاعر العربي الحديث بتراثه لا يمكن أن تقوم على التواصل، بل يجب أن تتأسس على القطيعة، يجب أن يكون الشاعر الحديث ضدا لمن سبقه، وإلا كان كلامه تقليدا· ويعيد أدونيس تأكيد "الموقف الضدي" من التراث مرارا، وبإلحاح، كما في إجابته على سؤال افتراضي عن علاقته هو بالتراث: " إنني لا أستطيع أن أحدد علاقتي مع شيء غائم غير محدد، وإنما أحددها مع شاعر معين· وأجيب ثانيا بتساؤل: ماذا تعني العلاقة هنا؟ · إذا كان السؤال مطروحا بمنطق الثقافة السائدة، فإن هذه العلاقة تعني أن أكون مؤتلفا مع" تراثي" ، أي أن لا آتي بشيء إذا لم يكن أسلافي من الشعراء عرفوه ومارسوه وأقروه· أما إذا كان السؤال مطروحا

بمنطق الرؤيا الإبداعية فإن هذه العلاقة تعني أن أكون مختلفا عن أسلافي من الشعراء. بل أكثر: لا يكون الشاعر العربي الحديث نفسه حقا إلا إذا اختلف عن أسلافه، فكل إبداع اختلاف"[٥٥].

ويبدو اضطراب موقف أدونيس في هذه القضية، بسبب اعتماده على مقولات، جد متنافرة، جمعها من كل حدب وصوب، ليواصل إصراره على القطيعة، بدعوى "أن الشعر العربي يقوم على فضائل "الأمية"، و"البداهة"، و "الارتجال" ـ وهي فضائل ما يزال يعتمدها معظم العرب المحدثين ـ قراء، ونقادا، وشعراء"[٥٦]. وتذهب ريتا عوض في تبرير هذا التناقض إلى أن مقولات أدونيس يجمعها بقايا "المذهب الرومنتيكي الذي قامت القصيدة الحديثة والنقد الحديث على أساس نقضه"، وترى في موقف أدونيس "تأكيدا رومانتيكيا ساذجا للفردية والذاتية في الإبداع الأدبي"[٥٧].

٢- ٥- ٣ إن موقف أدونيس هو امتداد لتيار قديم، بدأ مع رفاعة مرورا بفرنسيس فتح الله، والعقاد، والشابي، وليس منتهيا بأدونيس. لكن أدونيس قدم أكثر الحجج إثارة وأجمعها للجدل. وقد أكدت مقولات أدونيس بما أثارته من ردود عاطفية، وانفعالية غالبا، وردود علمية، أن أنصار هذا الرأي الداعي إلى التخلي عن التراث، لأنه لا يزيد عن محصول لفظي ـ كما يفهم من كلام فرنسيس فتح الله، و"أدب مادي لا سمو فيه ولا إلهام ولا تشوف إلى المستقبل، ولا نظر إلى صميم الأشياء، ولباب الحقائق، وأنه كلمة ساذجة لا تعبر عن معنى عميق بعيد القرار، ولا تفصح عن فكر يتصل بأقصى ناحية من نواحي النفوس"[٥٨]. كما أعلن الشابي ذلك؛ فإن " كل شاعر يشعر ويفكر ويكتب انطلاقا مما هو وما هو، كذات كاتبة، مغايرة، بالضرورة، لما هو غيره قديما وحديثا" ـ كما أكد ذلك أدونيس مرارا في "صدمة الحداثة".

٢- ٥- ٤ ولعل من نافلة القول النص على أن هذا الموقف في ضوء المقولات التي تؤسس "الحداثة" يبدو معيبا، لأن الحداثة لا تقطع العلاقة بالتراث، بل أزاحت هاجس توهم الوقوع في النقل والاتباع والاستنساخ، الذي ربما كان دافعا لأن يتبرأ الشعراء ـ قديما ـ من ماضيهم ـ خوف الرمي بتهم السرقات؛ ومن ثم فقد هذا الموقف الحماسة التي كانت تحوطه في القديم.

٢- ٦ موقف مضاد

٢- ٦- ١ أما الموقف الثاني، فأفضل تجل له، يتمثل في ملاحظات صلاح عبد الصبور الكثيرة حول تحديد "الموقف" من التراث·وفي "حياتي في الشعر" عرض ناضج لعلاقة الشاعر بالتراث، وتحديد مفهوم التراث·لا ينطلق هذا العرض من النقطة القديمة القائمة على وضع الشعر العربي في موقف تضاد مع الشعر الأوربي، ومن ثم المحاكمة، والدفع إلى اختيار واحد من الاثنين؛ فهذا وضع مغلوط للقضية، بتصوير الأمر كما لو كنا مجبرين على أن نختار بين الشعرين، ومن ثم ينسحب اختيارنا إلى التراث الذي يدعمه: عربي أم أجنبي؟· إن صلاح عبد الصبور يتحدث عن "التجربة الإنسانية" في عمومها· وهذه التجربة يساهم فيها "الإنسان" عموما، مهما كانت لغته، أو زمنه· ومن ثم فإن تجربته الشعرية نتاج تلاقح أفكار عديدة: من الشرق والغرب·

تنبع تأملات صلاح عبد الصبور من النظر إلى "الإنسان" باعتباره هو "الموجود الوحيد الذي يستطيع أن يعي ذاته···وليس تاريخ المعرفة الإنسانية، بأوجهها العقلية والحدسية والتجريبية إلا تاريخ هذا التأمل الإنساني في ذاته···والذات هنا تصبح محورا أو بؤرة تصور الكون وأشيائه، و يمتحن الإنسان من خلال النظر في ذاته علاقته بهذه الأشياء"[٥٩]· ومن ثم تأتي آراء صلاح عبد الصبور مدعومة بكلام أرسطو والمتصوفة العرب، وفرويد وأفلاطون· ويتجاور إليوت مع السراج الطوسي والقشيري جنبا إلى جنب في وعي صلاح عبد الصبور· وهو يتحدث عن التجربة الشعرية، في اللوحة الأولى من "حياتي في الشعر" بصورة نادرة·

وفي اللوحة الثانية يتناول "التشكيل في القصيدة"· ويعتبره محور الشعر الحديث الجيد؛ لأن القصيدة التي تفقد التشكيل تفتقد الكثير من مبررات وجودها"[٦٠]· ولكنه لا يقطع صلة القصيدة الحديثة بالتراث الإنساني، فيقول : " إن التشكيل في الشعر الحديث أكثر مما يستطاع تلمسه في الشعر القديم، سواء عندنا أو عند غيرنا، بدرجات متفاوتة"·فإذا كان الشعر القديم (عندنا) قل فيه التشكيل، فهذا ليس عيبه هو فقط، لأنه ـ أيضا ـ موجود في شعر غيرنا· وبالتالي ، فالتشكيل، ربما جاز القول إنه تحول فني إنساني، ليس بسبب عيب تراثنا ، بقدر ما هو ضرورة تفرضها تحولات حضارية عالمية·

وفي اللوحة الخامسة يتناول مصادر الشعر الحديث، وتتعدد هذه المصادر دون تفضيل. ويعلن عن تبنيه لمقولات إليوت، وكيفية توظيفها، وليس مجرد ابتاعها، وما يقود إليه ذلك من تعديل نظرة النموذج التراثي العربي القديم إلى فصاحة اللفظة، وكيف يمكن تقبل هذا الأثر؛ كما اتضح - بالفعل - من خلال قصيدة "الحزن".

ويؤكد صلاح عبد الصبور على أن إجادة الاستفادة من مقولات إليوت، لا تتحقق بقطيعة مع التراث (كما ذهب إلى ذلك أدونيس) بقدر ما تتأتى من شدة التمسك به؛ فيقول " إن سبيلنا إلى ذلك هو إتقان اللغة، ولا بد لإتقان اللغة من معاودة النظر في التراث الأدبي العربي"[61].

وقادته استبصاراته في الثقافة الأوربية إلى "قضية استعمال الأسطورة كعنصر شعري"، وأن استعمالها ليس هدفا في ذاته (وهذا عكس استخدام العقاد لها هو وجيله، خصوصا مع أبي شادي)، لكننا "نقبل بعضا منها حين وجدناه عنصرا فنيا مندمجا في كيان القصيدة"، ويتم رفض الأساطير إذا كانت "لصيقة بالقصيدة، منفصلة عنها بغض النظر عن ذلك الرباط الواهي من التتابع الشكلي".

لقد قادته استبصاراته - فيما يتعلق بالأسطورة - إلى موقف واع بقضايا النقل عن النموذج الأوربي، وأنه ليس مما يعطي الشعر البريق، بل إن قيمة الأثر المنقول تتمثل في فنيته. فيقول : "وقد تكشف لشعرائنا العرب عالم الأساطير الفني إثر قراءة بعضهم لنماذج من الشعر الأوربي الحديث. فدأبوا على محاكاتها، وفي ظني أن هذا المنهج منهج ناقص. إذ أن الدافع إلى استعمال الأسطورة في الشعر ليس مجرد معرفتها، ولكنه محاولة إعطاء القصيدة عمقا أكثر من عمقها الظاهر، ونقل التجربة من مستواها الشخصي الذاتي إلى مستوى إنساني جوهري، أو هو بالأحرى حفر القصيدة، في التاريخ. وبهذا المعنى فمن حقنا أن لا نستعمل الأسطورة فحسب، بل كل المادة التاريخية المتاحة لنا، من أساطير وقصص دينية وشعبية، وأحداث حقيقية مؤثرة في حياة الإنسان".[62]

٢- ٦- ٢ ويمثل موقف صلاح عبد الصبور التيار الثاني، الذي وضع قضية المرجعية في سياق التراث الإنساني، ونص على أن "لكل شاعر أن يتخير تراثه كما يشاء"[63].
وتؤدي هذه الحرية إلى نمط "جديد" من الثقافة القائمة على الانتقائية. وقد عكس كلام صلاح عبد الصبور هذا الشعور بفوضى الحرية فقال : " انتظم موروثي الأدبي أبا

العلاء وشكسبير، وأبا نواس وبودلير، وابن الرومي وإليوت، والشعر الجاهلي ولوركا، فضلا عن عدد من الشعراء والقصائد المتفرقة والأفكار والخواطر الشعرية".

٢- ٦- ٣ أصبح التأكيد على ضرورة ارتباط الشاعر بتراثه، ملازما للتأكيد على حق الانتقاء. بل إن الانتقاء هو الذي يعطي التراث صفة الحيوية؛ لأنه لا يتحقق إلا عن فهم، يقول بلند الحيدري :"إن رجعية التراث لم تتأت عن التراث نفسه، بل عن طريقة فهمنا له، وطريقة تعاملنا معه. فالتراث ليس كما مفصولا عن زمن معين ومكان معين، إنه حدث أو انعكاس فكري لحدث وواقع وزمن، وكما لا يمكن لنا أن نتعرف إلى الإنسان منسلخا عن لحمه ودمه، لا يمكننا أيضا أن نحدد قيمة التراث وهو منسلخ من الظروف المحيطة به"[٦٤] . وينص الحيدري على أن موقف الرفض تجاه التراث ينبع من خلل الفهم، وخلل التواصل مع التراث، ومن ثم بَحَثَ الشاعرُ المحدثُ عن تربة خارج ثقافته ليؤكد حداثته، بعيدا عن تراث لم يفهمه، ولم يتعاطف معه. ويشير - من طرف خفي - إلى موقف أدونيس الذي عمد إلى تسطيح أحداث التاريخ، وجعله زمنا واحدا هو الماضي، الماضي بلا تحديد، ولا تفصيل، ولا مستويات مختلفة.[٦٥] وهذا "التسطيح" الذي حاول أدونيس تبريره فلسفيا بالحديث في " صدمة الحداثة" عن الزمن الأفقي والزمن العمودي - هو جوهر الموقف الرافض للتراث جملة وتفصيلا.

٢- ٦- ٤ ومن خلال ما كتبه الشعراء المحدثون عن تجربتهم الشعرية، بدا بحث إشكالية ارتباط الشاعر بالتراث ركنا في "تقاليد" الكتابة عن الذات. ويبدو البحث متشحا بروحانية، مستمدة من إشراقات الشعر الرمزي في بحثه عن رمزية العبارة، والبعد الوجداني في التجربة الكتابية. وهذا ما حاوله صلاح عبد الصبور في تجربة شعرية لها سمات التجربة الصوفية؛ بل إنه ينص صراحة على "صوفية" التجربة الشعرية.[٦٦] وتبدو كتابات أدونيس (برغم مناهضتها الظاهرية لهذه الفكرة) غارقة في وهم وجداني صوفي.

٢- ٦- ٥ ويمكن تلمس " رحلة" البحث عن " المصادر" لدى البياتي ضمن ما كتبه في تجربته في الشعر، الذي يقرر أن جوهر مشكلة التجديد الشعري ليست كامنة في " الثورة على العروض والأوزان والقوافي" كما يظهر للوهلة الأولى، ولكنها" قائمة في وجود الشاعر أو عدمه. وإن وجود الشكل الشعري لم يمنح مدعي الموهبة قبسا واحدا

من نار بروميثيوس" ٠ ولتحقيق "وجود" الشاعر ـ بالمعنى الوجودي ـ فلا بد له من انتماء٠ فأين يضع قدميه ؟!٠

حاول البياتي ـ كما يقول ـ أن يؤسس "وجوده " على ماض؛ فانتقى ما رآه حسنا من التراث العربي ، واطّرَحَ معظمه لأنه عقيم٠ وكانت رحلة بحثه في التراث"مؤلمة معذبة لأنها كانت قراءة البحث عن شيء مفقود لا أحسه ولا أعيه (والكلام له) ، فكان أن نجوت من الوقوع فريسة في شراك تأثيرها الكلي" ٠ ومن ثم أقام علاقة وثام مع أخلاط الشعراء الذين انتقاهم، مع بعد الشقة بينهم في المكان والزمان والتوجه؛ يقول : "ومن الشعراء الذين قرأتهم باهتمام بالغ : الجامي وجلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار والخيام وطاغور٠ لقد عانى هؤلاء محنة استبطان العالم ومحاولة الكشف عن حقائقه الكلية من خلال تجربة المتصوفة الممتزجة بالرؤيا الشعرية النافذة٠ ثم كان هناك شعراء معاصرون ومحدثون : أودن ونيرودا وإيلوار وناظم حكمت ولوركا ولسكندر بلوك ومايكوفسكي٠ لقد استوقفتني أشعار هؤلاء لأن أشعارهم، ٠٠٠، تحمل قدرة النفاذ من خلال الموسيقى والصورة والرؤيا من تصور نفس هذا الإنسان المعاصر لذاته ولواقعه"[٦٧]٠

٢- ٦- ٦ إن المحصلة النهائية التي قادت إليها استبصارات هذا الفريق الثاني تمثلت في ضرورة ربط الشاعر بتراثه الإنساني والعالمي، منذ خلق الله الخلق إلى اليوم، وإزاء هذا التراث"الشمولي" يمارس كل شاعر حقه في انتقاء ما يحب وترك ما يكره٠ يدخل في ذلك التراث العربي على قدم المساواة مع أي تراث أجنبي آخر٠

٣- بين التنظير والممارسة

تشير كل الدراسات التي تناولت مجالا ما "بين النظرية والتطبيق" إلى وجود فجوة٠ فالتنظير ـ دائما ـ سبّاق، ومثالي؛ أما التطبيق فأمره ـ دائما ـ في مرتبة أقل٠ وفي الثقافة العربي، قديمها وحديثها، حالات ظاهرة على هذا؛ فابن قتيبة(في القديم) في مقدمة "الشعر والشعراء" يذم الانتصار للقديم، وفي تطبيقه ينقض ذلك٠ والديوانيون (في الحديث) كانت أفكارهم أكثر "فنية" من إبداعاتهم٠

فإذا انتقلنا إلى المرجعية، فإن الأمر لا يختلف٠ فمما بات مؤكدا "أن النص الأدبي العربي الحديث، والشعري منه بوجه خاص، نص أسهمت في تشكيله مكونات ثلاثة، هي (الأنا والآخر والعالم)٠"وإن متتبع نصوص الشعر العربي الحديث، منذ

فترة الإحياء، يلاحظ بسهولة خيط الموروث الثقافي العربي واضحا فيه٠٠٠ويلاحظ كذلك إشارات واستلهامات لهذا الموروث في شعر رواد الرومانتيكية، ٠٠، المستلهمة من الرومانتيكية الغربية"٠[٦٨] وثمة تأكيدات على المزاوجة بين تراث العرب والتراث الغربي تشيع لدى كل الدارسين٠ وقد قدمت إستراتيجية التناص فرصة للبحث في مصادر الشعراء - خصوصا شعراء التفعيلة - لتنتهي إلى نتائج تؤكد صحة هذه الفرضية٠ لكن الذي يعنينا هو ما يترتب على هذا "التزاوج" بين تراث العرب وتراث العالم، المحكوم بفكر انتقائي ليبرالي٠

٤- مستوي الممارسة

وسنقف على نماذج من شعر الرواد: البياتي وأدونيس والسياب وصلاح عبد الصبور ونازك الملائكة، تبين إلى أين قادت هذه المرجعية٠

٤- ١ البياتي

نظريا، يحمل البياتي صورة مشوهة عن التراث، ونفهم من حديثه "أن التراث عقيم"، وأن رحلته معه "قراءة مؤلمة ومعذبة" لأن ما بحث عنه "مفقود". كما مر. ٠ ومن ثم احتمى بأسماء عالمية، وأضاف إليها "بضعة أسماء عربية"٠ وهذا يؤهل لتوقع قطيعة مع التراث العربي٠ لكن الأمر على غير هذا٠ إن قراءة شعر البياتي تجعله "غارقا" في التراث العربي، واقعا تحت تأثيره، بصورة تخلو من الفنية - في أحيان كثيرة - ومن ذلك :

أ - نقل أبيات كاملة، دون أدنى تصرف، في بنائها اللغوي، كما في "كلمات إلى الحجر"[٦٩]، وفيها نقل أربعة أبيات من معلقة طرفة بن العبد، وجعلها ضمن بنية نصه، ولا جهد له فيها إلا كتابتها على هيئة أسطر شعرية، وتغيير ترتيبها الوارد في المعلقة٠ ولعل الشاعر أراد أن يعبر عن قطيعة معنوية، وموقف رفض مع البيئة والمجتمع، فتخفى وراء هذه الأبيات:

ومازال تشرابي الخمور ولذتي	وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها	وأفردت إفراد البعير المعبد
فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي	فدعني أبادرها بما ملكت يدي
كريم يروي نفسه في حياته	ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي

ويمكن تلمس نفس الأمر في قصائد "لزومية"[٧٠] ، وفيها بيتان بنصهما وترتيبهما منقولان عن المعري. و"الباب المضاء"[٧١]، ففيها بيت المتنبي الشهير:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى تراق على جوانبه الدماء

وقد غير الشاعر "يراق" إلى "تراق" و"الدم" إلى "الدماء". ولكن المعنى والمبنى واحد، ومن ثم فلا قيمة - فنية - لهذا التغيير.

وكذلك في " شيء من ألف ليلة"، نجد شطر بيت ابن خفاجة[٧٢]:

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

فأتى على هذه الصورة، وهو يتحدث عن "خائن المسيح في بلاط الملك السعيد" بعد أن أصبح "منجما ومخبرا وكاتبا"

رأيته هرا بلا نيوب

ويحكي انتفاخا صولة الأسد[٧٣]

ب - مقبوسات دخلها شيء من التحريف، فساءت معنويا:

ويمكن تلمس ذلك في "النبوءة" [٧٤]، حين حاول أن يؤكد الانتحار الخلقي الذي نعيشه، والذي يدفع إلى الابتذال، فقال :

تأكل الحرة ثدييها إذا جاعت، وفي أرض الملوك الفقراء

زهرة الدفلى على جدول ماء

تتعرى في حياء.

وهنا يعجز التعبير عن نقل المعنى، لقد أراد البياتي "تضمين" المثل القديم ليؤكد أن "الحرة" الآن تتعرض لضغوط أشد مما لاقته في الماضي ؛ ومن ثم فإن الجوع ليس كل ما يتهددها، كما كان لدى قائل المثل القديم: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فهي تتعرض لخطر الانقراض، خطر الفناء، لأنها "تأكل ثدييها"، وربما أوهم هذا عكس ما أراد الشاعر، فيظن القارئ - المتسرع - أنها باعت ثدييها، فأكلت بهما. وفي هذا عجز عن تمثل المعنى. وهذا نفسه ما حدث مع المثل الشعري القديم : "وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟" ، فصار عنده، في "سوق القرية"[٧٥] :

وبائع الأساور والعطور

كالخنفساء تدبّ : "قبرتي العزيزة" يا سدوم

لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم.

ج - تحوير لنصوص قديمة بصورة مخلة:

وفيها يعتمد الشاعر على أبيات ذائعة، لدعم معانيه، كما في "الموت والقنديل"[٧٦]:

كان الروم أمامي وسوى الروم ورائي، وأنا كنت

أميل على سيفي منتحرا تحت الثلج، وقبل أفول

النجم القطبي، وراء الأبراج

فلماذا سيف الدولة ولى الأدبار؟

وفي هذا المقطع تناص معه بيت المتنبي الشهير في سيف الدولة:

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميل ؟

ويظهر سيف الدولة لدى البياتي عكس ما كان عليه لدى المتنبي، وفي تصويره هكذا بالجبن إرباك للدلالة، وتعدٍّ على رمزية الشخص، وهذا خلل وقع فيه كثير من الشعراء، كما في "مقابلة خاصة مع ابن نوح" لأمل دنقل، إذ يصور رفضه لركوب السفينة نابعا من موقف بطولي، وهذا التصرف في الدلالة الرمزية للشخص يربك المتلقي، ويفسد المعنى. وهذا يرد كثيرا لدى البياتي، كما في تحويره لقول ذائع منسوب لعلي بن أبي طالب : " لو كان الفقر رجلا لقتلته "؛ فجاء في "سفر الفقر والثورة"[٧٧] :

لو أن الفقر إنسان

إذن لقتلته وشربت من دمه

لو أن الفقر إنسان !!

وكذلك في" محنة أبي العلاء" [٧٨]، إذ يرد:

الليل في معرة النعمان

زنجية على رخام جيدها قلائد الجمان

وفي التناص الأول نثرية، وسوقية، وفي الثاني نثر لألفاظ بيت المعري، دون تحقق فائدة فنية، حيث يقول المعري:

ليلتي هذه عروس من الز نج عليها قلائد من جمان[٧٩]

فوصف الليل الأليل عندما تظهر فيه النجوم لامعة، لم يطرأ عليه جديد، بعد أن زاد عليه البياتي "في معرة النعمان" و"على رخام جيدها"، وما احتاج إليه من حذف ألفاظ "هذه" و"عروس"، وتعديل "من الزنج" و"قلائد من الجمان".

د ـ إشارات معنوية إلى نصوص شهيرة· وهذا كثير جدا في شعر البياتي· فثمة "شواخص" في كل نص تشير إلى استلهامات تراثية عربية ، ويمكن تلمس ذلك في "الجرادة الذهبية"[٨٠] ، ففيه من معاني المعري ، خصوصا:

إن حزنا في ساعة الموت

أضعاف سرور ساعة

الميلاد

وكذا في "كتابة على قبر السياب"[٨١]، ففيها من شعر قيس بن الملوح، وفي "محنة أبي العلاء"[٨٢] من روح عمر بن أبي ربيعة ·وفي "البحث عن الكلمة المفقودة"[٨٣] جمل منقولة عن المعري، الذي وقع الشاعر تحت تأثيره كثيرا· وعلى سبيل التمثيل ثمة إشارات معنوية متزاحمة في "الموت والقنديل" و" قصيدة إلى العراق" و"عذاب الحلاج" و"يوميات العشاق الفقراء" ، و"العبير المسعور" و"إلى ساهرة" ، و"مراثي لوركا"و"إلى جواد سليم" ، و"الحجر" و" الملجأ العشرون"و "الأعداء" و "عشاق في المنفى" ، و"العرب اللاجئون" و"عن الموت والثورة"·ففي كل هذه النصوص ـ وكثير غيرها ـ إشارات واضحة إلى معان وصور وأفكار تراثية عربية ظاهرة· فإذا أضفنا إلى ذلك التناص مع القرآن ، وتخفّيه الكثيرَ وراء شخصيات تراثية فيما يعرف "بالقناع" ؛ فيمكن القول إن شعر البياتي يتكئ على التراث العربي بصورة واضحة، عكس ما يوحي به كلامه النظري عن تجربته الشعرية·

٤- ٢ أدونيس

ويحظى أدونيس بكم وافر من الجدل حول قضايا متعلقة بمواقفه، وليست بشاعريته· وفي مقدمة هذا الجدل ما أثاره هو شخصيا من مواقف ضد التراث العربي، واتكاء ظاهر على التراث الأوربي· مما دفع بالمثقفين إلى التخوف وإعلان أن أدونيس "لا يجدد ما هو موجود، وإنما يحاول إزالته تماما ليبني محله بناء جديدا مختلفا"·[٨٤] وحتى هذا الذي يبنيه مرفوض بزعم أننا " إزاء تخريب لا إزاء تجديد"·[٨٥]

وفيما يتعلق بشأن أدونيس ، فإن "التناص" يشكل جوهر موقفه النقدي والشعري، فثمة وشائج فنية تربطه بأدباء كثيرين· وهذا ما تدعمه آراء شائعة تعود إلى ماتيو آرنولد وإليوت وفراي وغيرهم، الذين يرون من ضرورات الشاعرية إلمام الشاعر بأفضل ما كُتِبَ من شعر في عدد من اللغات الأوربية، إضافة إلى تراث أمته· وفي ضوء

"التقاليد والموهبة الفردية" فإن هذه المعرفة تمثل نوعا من الحفاظ على الثقافة والتذكير بها، بإعادة تشكيل الذاكرة الجمعية لبيئة ثقافية ما · ومن ثم فإن اعتماد الأديب على "الموتى من أسلافه الشعراء" ـ كما يرى إليوت ـ مظهر من مظاهر عدة لتجليات "المعادل الموضوعي"·

وإلمام أدونيس بثقافات متنوعة أمر أكده دارسو شعره ، الذي ينفتح على عوالم كثيرة، من الأساطير والأقنعة والحداثة والتراث· وعلى العكس من ذلك آراؤه النقدية التي حاولت تأسيس حداثة غربية· لقد أثبت سامي مهدي " أنه لم يكن في ما كتب ونظّر إلا ناقلا ومحاكيا· فما الحداثة الأدونيسية إلا السوريالية ذاتها، وهذا ما تثبته منظومة المفاهيم التي ظل يرددها طوال أكثر من ربع قرن"· ويؤكد مهدي على أن أدونيس حاول إنكار مصادره إلا أنه اضطر تحت وطأة الملاحقة إلى الاعتراف، ويذهب إلى أن السوريالية ليست تهمة في ذاتها، ولكن ما يؤاخذ عليه أدونيس أنه حاول الإيهام بأن ما يدعو إليه هو الحداثة ذاتها، وليس ثمة حداثة غيرها، ومحاولة الإيهام بأن هذه الحداثة هي "الحداثة العربية"·[٨٦]

وقد ورد اعتراف أدونيس ـ المشار إليه ـ في "الشعرية العربية" فقال: "أحب أن أعترف بأنني كنت من بين من أخذوا بثقافة الغرب، غير أني كنت، كذلك، بين الأوائل الذين ما لبثوا أن تجاوزوا ذلك، وقد تسلحوا بوعي ومفهومات تمكنهم من أن يعيدوا قراءة موروثهم بنظرة جديدة، وأن يحققوا استقلالهم الذاتي"[٨٧]· وهذا الاعتراف مشكوك فيه، ففي دراسة سامي مهدي السابقة تأكيد على أن قاموس أدونيس النقدي ليس سوى ترجمة لما ورد في كتاب سوزان برنار"قصيدة النثر من بودلير حتى أيامنا" الصادر عام ١٩٥٩ · ويعقد المؤلف موازنة متأنية بين آراء أدونيس وسوزان برنار لينتهي إلى أن هذه الآراء ليست سوى ملخصات لما لا يزيد عن إحدى عشرة صفحة من كتاب سوزان برنار·

وبالعودة إلى اعتراف أدونيس، فإنه يقدم بعدا جديدا، إذ لم يفهم التراث إلا في ضوء مقولات مستوحاة من الغرب، فقراءة بودلير هي التي غيرت معرفته بأبي نواس، ولم يتمكن من فهم لغة أبي تمام واستكشاف أسرار شاعريته إلا في ضوء مالارميه، ويكمل: "قراءة رامبو ونرفال وبريتون هي التي قادتني إلى اكتشاف التجربة الصوفية بمفرداتها وبهائها· وقراءة النقد الفرنسي الحديث هي التي دلتني على حداثة النظر

النقدي عند الجرجاني". ولعل هذا هو ما دفع بريتا عوض إلى تشبيه موقفه بموقف المستشرقين من التراث العربي[88]، خصوصا أن كلام أدونيس به إشارات مفارقة، كما في قوله "وكما أننا نعيش بوسائل ابتكرها الغرب، فإننا نفكر بلغة الغرب : نظريات ومفهومات ومناهج تفكير ومذاهب أدبية، ابتكرها ، هي أيضا ، الغرب"[89]. وذهب عبد الواحد لؤلؤة إلى اكتشاف تجليات عدة من سان جون ـ بيرس وإيف بونفوا في شعر أدونيس. وقال إن "قصيدة النثر" التي بشر بها أدونيس إبداعا وتنظيرا ليست إلا مظهرا لهذا التأثر الواضح.[90] ثم تساءل: " كم اغتنى شعر أدونيس من إنجازات السوريالية الفرنسية كما توجد في الشعر الحر وقصيدة النثر عند الأسماء الكبيرة من شعراء فرنسا منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى رنيه شار وإيف بونفوا ؟ وهل يمكن مقارنة قصائده اللاحقة... مع قصائده الأولى.. بما فيها من أحلام كابوسية ونرجسيات وهوس بالجنس ونثر الكلمات على الأسطر والصفحة، بل نثر أحرف الكلمة الواحدة بشكل أفقي وعمودي، وبحرف غامق حينا ورفيع لا يكاد يقرأ حينا آخر، إلى جانب الأشكال الهندسية والأسهم المؤشرة... لقد أثار الشاعر مجموعة من الاعتراضات على شعره ومصادره منذ أواسط الستينات حتى آخر ما قرأت في هذا المجال من الشاعر الناقد الدكتور صلاح نيازي عن "شهرة تتقدم" إذ يجد الناقد أن الشهرة وحدها هي التي تتقدم، لكن الشعر لا يتقدم"[91].

وفيما يتعلق بشعر أدونيس، فإن الأساطير تشكل أهم المرجعيات التي يتأسس عليها إبداعه الشعري. ويرى علي الشرع أن "الأورفية بأصولها وتطوراتها اللاحقة توفر للدارس العربي منافذ إضافية تمكنه من تحليل شعر أدونيس وفهم الخلفية الفكرية والجمالية التي أسهمت في تشكيل قسط كبير من تجاربه الشعرية"[92] . ويؤكد على أن كتاب أوفيد Ovidus التحولات The Metamorphoses بالتحديد هو ما يرجع إليه أدونيس في معظم أشعاره المبنية في ضوء خلفية أسطورية. وبدءا من قصيدة "أورفيوس" في "أغاني مهيار الدمشقي" لأدونيس، نقع على صورة تكاد تكون مطابقة لأورفيوس أوفيد"[93].

ومن خلال تتبع تجليات أورفيوس في شعر أدونيس، يمكن القول بأن العديد من صوره يظل مبهما إن لم نقم باستحضار أسطورة أورفيوس ـ دائما ـ ونحن نقرأ ، وإلا كيف نفهم صورا كهذه:

١ـ تقذفني أصواتكم بالحجار

أصواتكم فوق جبيني دم، حول جبيني غبار

أصواتكم حصار[٩٤]

٢ـ اثقبوا جبهتي، قيدوني

وخذوا حرية وانحروني

مزقوني، كلوني[٩٥]

٣ـ جسد مغروس في البرية

والنهر دم والموجة نور[٩٦]

٤ـ ألمحك الآن على الضفاف

رأسا ، وكل زهرة غناء

والماء مثل صوت[٩٧]

٥ ـ ينبغي أن أسافر في جنة الرماد

بين أشجارها الخفية

في الرماد الخواتيم والجرة الذهبية[٩٨]

هذه الصور الخمسة نماذج تمثيلية لشعر أدونيس المعتمد على الأساطير· وتبدو ضربا من الهلاوس السوريالية في بادئ الأمر، أو تجليات لاوعي منفلت· لكن الأمر على غير ذلك ؛ إنها "ترجمات شعرية" لمواقف في أسطورة أورفيوس· فالصورة الأولى تتاص مع كتاب أوفيد السابق، فمن الملاحظ "أن أدونيس لم يكتف باقتفاء آثار أوفيد في بيان الدلالتين العامتين في أورفيوس الأسطوري، أي أورفيوس الفنان المغامر، وأورفيوس العجوز الفاشل، بل اقتفى آثاره وسار في ظله في تفصيلات جزئية كثيرة ، ولعل أهمها تصويره لحادث مقتل أورفيوس، وقذف رأسه في النهر،فقد أسهب أوفيد في الحديث عن مشهد قتل أورفيوس على يد النساء، وفي وصف الأسلحة التي استخدمنها· وقد وجدت هذه المضامين الأوفيدية طريقها إلى شعر أدونيس بتخريجات مختلفة، ففي الفقرة[السابقة]· ·نلاحظ مضامين أوفيد وأوصافه، وكل ما فعله أدونيس هو استبدال شخصية مهيار بشخصية أورفيوس"·[٩٩]

أما الصورة الثانية، فإنها إشارة إلى تمزيق أوصال أورفيوس بواسطة النساء اللائي استخدمن حراب الفلاحين·[١٠٠] والصورة الثالثة تتعلق برمي تلك الأشلاء في

الحقول. والرابعة تشير إلى رمي الرأس المقطوع في نهر هبروس، ونص على ذلك أوفيد فقال: "وحمل نهر هبروس الرأس والقيثار الذين انحدرا يطوفان مع تيار النهر. وكان القيثار يُصَعِّد ألحانه الحزينة، في حين كانت الضفاف تردد صدى تلك الألحان". والصورة الخامسة تجسد فكرة المغامرة أو التضحية من أجل الإنقاذ أو الخلاص.

إن توظيف أسطورة أورفيوس بكثرة لدى أدونيس أشبه باستعارة كبيرة يتخفى وراءها أدونيس. إنه يستلهم من تقطيع أوصال أورفيوس على يد نساء كيكونيا المجذوبات، ونثر أشلائه بين الحقول، ورمي رأسه على صفحة جدول هبروس، تلك الرأس التي ظلت سابحة يحملها تيار النهر، لتواصل الغناء، تشير بذلك إلى الصراع بين أبولو وديونسيوس، بين الفن والطبيعة، بين الشكل والطاقة[101] - يستلهم من ذلك فكرة عزائه الفني، وأنه مثل مهيار، الذي حلت به روح أورفيوس، صوت مغترب، حزين، متوحد. ولكنه التوحد الذي لا يوحي بالبلاهة أو الغباء، قدر ما يوحي بأمل الخلاص، "لقد كان أورفيوس يحيي الفجر على جبل بانجيوم، مسبحا بحمد الإله هليوس (الشمس) كبير الآلهة، في حياته. وفي مماته فإنه ينهض في هاديز (العالم السفلي) باحثا عن زوجته يوردیکي. ومن ثم فحياته الأولى والثانية موحية بأمل الخلاص، ومن ثم يخاطبه، أدونيس، فيقول:

الرعاة يبحثون عن ذبيحة. قل لرأسك أن يطفو
مركب أغنيات على النهر، وامنحهم نعمة أن يروك
الوباء جالس مقيم لا يطرده إلا صوتك - إلا دمك
أورفيوس .أورفيوس"[102]....

ويمكن القول - من ثم - إن أدونيس ،شاعرا، يسعى إلى إحداث قطيعة فعلية مع التراث، بهدف تأسيس حداثة جديدة. وقد ساعده على ذلك تبني مقولات التفكيك، ليس باعتباره منهجا في تحليل النصوص، بقدر ما هو أيديولوجيا؛ فالذين راجعوا الممارسات النقدية التفكيكية العربية يؤكدون على "أن هذا المنهج ظل في منأى عن التطبيق العلمي الدقيق"[103]، برغم كثرة الحديث النظري عن التفكيك. وقد أرجعوا ذلك إلى سببين: ١- صعوبة المنهج وتعقيداته. ٢- أن المنهج معبأ بمحتوى أيديولوجي، يهدف إلى تهديم المركز وتفكيكه، ونقضه، وهنا يبرز اسم أدونيس وكمال أبو ديب كناقدين وحيدين، فيما يقول علي الشرع[104]، استطاعا تقديم تطبيقات جادة نابعة من

فكر التفكيك· حاول أبو ديب أن يتخفى كثيرا، ولم يكن واضحا وضوح أدونيس الذي حمل وحده عبء هدم المركز ونقض جوهريته، باسم الحداثة التي جعلها قائمة على نقض الموروث، إذ أعلن : يبدأ الفكر العربي الإسلامي بتفكيك ذاته أو لا يكون، وأعلن كثيرا أن الحداثة هي انشقاق وهدم للنظام المعرفي بأكمله، وأن هذا الانشقاق والهدم للنظام المعرفي القديم لا يمكن أن يتما إلا عبر الجهر بتفكيك هذا النظام، وتجاوزه هو الجهر بنهاية هذا المطلق، ودون هذا الجهر والسير فكريا بمقتضياته لا يمكن·· أن يكون في المجتمع العربي حداثة ولا فكر حديث[١٠٥]·

إن حداثة أدونيس، والتي تلتبس بالتفكيك والسريالية وبقايا الفكر الرومانسي المتمثل في الرفض وتأكيد الذاتية ـ هي التي دفعته إلى اتخاذ هذا الموقف من التراث العربي، بعد أن تبنى ترويج أفكار معادية له، والاتكاء على نماذج تمثل تيار الرفض في التراث، ومحاولة دمج كل هذا بمختارات من الفكر الأوربي، ومن ثم خرج شعره هكذا مثيرا للجدل·

٤- ٣ بدر شاكر السياب

يتفرد السياب،دون جيله، بعدم الحديث النظري عن الشعر· إن تراثه يتمثل في عشرة دواوين نشرها في حياته، وديوانين بعد وفاته يضمان مختارات من مجموعات سابقة، وكتاب نثري بعنوان "رسائل السياب"· وحين حاول "عيسى بلاطة" الوقوف على بياناته النقدية استقى معظم معلوماته من مقابلات خاصة مع أصدقاء الشاعر ومعاصريه·[١٠٦] ولذا ، يعتمد دارسوه على مسيرته الشعرية، وبضعة معلومات مستقاة من حياته الخاصة·

وعن مراحل دراسته بدار المعلمين (١٩٤٣م :١٩٤٨م) يقول زميل دراسته، سليمان العيسى، إن دراسته للغة الإنجليزية بدأت تؤثر على علاقته بأدباء العرب، " فلم يعد يُرَى في أوقات مع أبي تمام والبحتري والمتنبي، ولكن مع مسرحيات شكسبير ودواوين الشعراء الرومانطيقيين، وخاصة ووردزورث وبايرون وشيلي وكيتس"·[١٠٧] وقد وُجِدَتْ بين أوراقه غير المنشورة أربع قصائد تاريخها ١٩٤٤ مهداة "إلى روح الشاعر وردزورث" وواحدة "إلى روح شاعر الطبيعة وردزورث"· لكن بدرا لم يقطع صلته بشعرائه العرب المفضلين، ولم يفقد اهتمامه قط بالحركة الأدبية الجارية في العالم العربي·[١٠٨] ويشير داود سلوم إلى أن السياب كان عضوا في الحزب الشيوعي العراقي[١٠٩]، بعد أن استهوته

الأفكار الشيوعية. وخلال دراسته اكتشف ت. س. إليوت وبدأ يعجب به بقدر ما كان يعجب بالشاعر جون كيتس، وقد وصفه في "أساطير" بأنه شاعر رجعي[110] بمقاييس الحزب الشيوعي، ولكنه أبدى إعجابه بأسلوبه الفني. و"كان يقضي كثيرا من الوقت في قراءة الكتب والمجلات الماركسية... وكان بعضها باللغة الإنجليزية وبعضها بالعربية"[111]، لكنها كلها ذات نغمة معادية للغرب. ومن تأثره بالأدب الأوربي اتجه إلى كتابة المطولات، مثل "حفار القبور" من ٢٢٩ بيتا ، و"بين الروح والصبا" تزيد عن ألف بيت - مفقودة - و"أجنحة الظلام" ٤٠٠بيت و"اللعنات" ٢٥٠بيتا. وترجم لأراجون "عيون إلزا" عام ١٩٥١، وله "قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث" ١٩٥٥ م.

إن هذه المؤثرات الأجنبية التي تعرض لها السياب لم تكن بالقوة التي تجعله يعيد مراجعة ارتباطه بالتراث. فتجاور لديه النمط العمودي والشكل الحر. ويشير دارسوه إلى تأثره بأسلوب إليوت وإيديث ستويل[112]. لكن تأثره بإليوت لم يكن كاملا، لأن المرحلة التي كان يمر بها السياب كانت تتلاقى مع المد الرومانسي، وليس مع الحداثة التي كان يبشر بها إليوت وإزرا باوند لخلخلة المقاييس الرومانسية. ومن ثم فإن "الوعي بالذات" سمة واضحة لدى السياب، وهذا امتداد لفكرة الذاتية التي تتمحور حولها الرومانسية. لذا لم يقع السياب تحت المؤثرات الأجنبية بصورة مفرطة، بل استمد بعض التقنيات، وفي مقدمتها : التناص، وربط شعره بالنبع الأسطوري العالمي من طريق تضمين أساطير العالم في شعره. وكان توظيف هذه الأساطير ينمي لديه فكرة الوعي بالذات، لكنه وعي لا يقتصر على وعي الذات بفرديتها - كما هو عند الرومانسيين - بل بوعيها التاريخي ؛ إن تمجيد البطل الأسطوري في حقيقة ذاته تمجيد للإنسان، الذي هو البطل الفعلي في شعر السياب. ومن ثم تبدو فكرة "الحرية" جوهرية لدى كل توظيفه للأساطير. إن استلهام أسطورة ما - لدى السياب - "يمثل موقفا إنسانيا ووجوديا يرتكز إلى أسانيد ودلالات واقعية. فنحن أمام استخدام حديث ومميز للأسطورة، فضلا عما أصبح لها من أبعاد واقعية. تم لها ذلك من خلال التحول بها من "واقعها الميثولوجي" إلى ما يمكن أن ندعوه "الواقع - الواقعي" ؛ إذ تحولت "الشخصية" فيها من "إطارها الشعائري" إلى صورة لـ "البطل المعاصر" الذي ينهض بمجتمعه وإنسانه من أجل أن يحقق انتصارهما، وذلك من خلال تأكيد المعاني المعاصرة لنضال هذا الإنسان من أجل تغيير واقع حياته إلى واقع أفضل ".[113]

وتعتبر قصيدة "من رؤيا فوكاي" ممثلة لمحاولة السياب الانفتاح على ثقافات العالم، لنقل "تراجيديا إنسان معاصر"، من خلال تلمس أسطورة صينية لشرح دلالة تضحية "كونغاي" التي تتردد أربع عشرة مرة في النص، ويشرح السياب رموزه لشعوره بأنها منقولة من تربتها إلى بيئة جديدة، متوسلا إلى ذلك بنقولات ـ أشار إليها بنفسه ـ عن شكسبير وإليوت ولوركا وإيديث ستويل، ويعمد الشاعر إلى نقل تصور عن لا معقولية حضارة أوربا، وسعيها لامتلاك الكون وما يترتب عليه من تدمير، و"فوكاي" ـ كما يقول السياب ـ كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيما، جُنَّ من هول ما شاهده غداة ضربت بالقنبلة الذرية، ومن ثم ينطلق خيال فوكاي ليستحضر كل رؤى الخراب والتدمير والعبثية، على امتداد تاريخ العالم:

أبوك رائد المحيط، نام في القرار
من مقلتيه لؤلؤ، يبيعه التجار
وحظك الدموع في المحار
وعاصف عات من الرصاص والحديد
....
أَهَمّ بالرحيل في غرناطة الفجر
فاخضرّت الرياحُ، والغدير ، والقمر؟
أم سُمِّرَ المسيحُ بالصليب فانتصر؟
وأنبتت دماؤه الورودَ في الصَّخَر؟
أم أنها دماء كونغاي؟
ورغم أن العالم استسرّ واندثر
ما زال طائر الحديد يذرع السماء
وفي قرارة المحيط يعقد الردى
أهداب طفلك اليتيم ـ حيث لا غناء

وربما كان توظيف التناص في "المومس العمياء" أفضل مظهر يعكس مصادره، ويكشف الشاعر عنها " من خلال هوامش كثيرة يسوقها من أساطير يونانية، وإحالات إلى القرآن الكريم، وإشارات إلى أحداث في تاريخ الإغريق، وتحوير لبيت من شعر المعري، واستخدام خاص لرمز فاوست عند الشاعر جوته، إلى جانب قصص من

القرآن الكريم لها صورة في المأثورات الشعبية، إلى تضمين أغنية شعبية عراقية بعد طلائها بمسحة من الفصحى. بهذه الطريقة يعود التناص إلى أسلوب التضمين العربي القديم ولكن بثوب جديد".[114] إضافة إلى صور مستمدة من إليوت، وتوظيف أسطورة أوديب:

من هؤلاء العابرون؟

أحفاد أوديب الضرير، ووارثوه المبصرون

جوكست أرملة كأمس ، وباب طيبة ما يزال

يلقى أبو الهول الرهيب عليه، من رعب ظلال

والموت يلهث في سؤال

باق كما كان السؤال، ومات معناه القديم

من طول ما اهترأ الجواب على الشفاه ـ وما الجواب؟

"أنا " ، قال بعض العابرين.

إن هذا الانفتاح على ثقافات العالم " لا يحمل الشاعر على التفريط بشكل القصيدة التراثي الذي يحترم الوزن والقافية، فنجده يمزج بين قصيدة التفعيلة وقصيدة البيت الخليلي، مع مراوحة في القوافي، فيطوع الموضوع إلى شكل من المعاصرة، وجده بعض الباحثين ضرورة للتخلص من رتابة الشطرين ووحدة حرف الروي. والسياب يستجيب ، ربما لا شعوريا، إلى تطوير الشكل، ولكن لا يفرط في قوانين القصيدة التراثية، فلا يذهب إلى حدود الشعر الحر ولا إلى قصيدة النثر، مما كان يكافح به بعض شعراء الحداثة في أواسط الخمسينات".[115]

٤- ٤ صلاح عبد الصبور

يمكن القول إن صلاح عبد الصبور "حالة خاصة" فيما يتعلق بالمصادر . فلديه رؤية عقلانية جادة تجاه "تراث العالم". وتظهر هذه العقلانية في "حياتي في الشعر"، وتؤكدها تجربته الشعرية. وفيما يتعلق بمصادره، فقد وقف أمامها جمع من الدارسين. وتؤكد نتائجهم موقفه الناضج من التراث. إن " تراث العرب" ليس سيئا لأنه "تراثنا"، وتراث أوربا ليس حسنا لأنه ينتمي إليهم، كما ذهب إلى ذلك العقاد وأدونيس مثلا. بل في كلّ جهة علامات حسن.

ذهبت بنت الشاطئ في تعليقها على "الناس في بلادي" إلى أن صلاح عبد الصبور يصدر في فنه عن وجدان قومه وأخيلتهم، ويتحدث عن الناس في بلاده بلغتهم المألوفة التي يراها أهلا لأن ترقى إلى مقام الفن العالي[116]٠وأكد د٠محمد عناني ذلك فقال: "فتمكنه من التراث جعل شعره رغم كل جدته وحداثته أصيل الإيقاعات أصيل الصور، فقبله القدماء والمحدثون على حد سواء"[117]٠ وأكد ماهر شفيق فريد على هذه الفكرة، فقال عنه : "إنه أقرب شاعر لدينا إلى مفهوم الحداثة البصيرة، فهو يجمع بين معرفته بالتراث وانفتاح على معطيات العصر، وهو يملك حسّا معنويا بأسرار اللغة العربية وبراعة في اللغة الإنجليزية، وقدرة على التصرف بفنونها، وهو يغوص على منجزات العقل الإنساني في الفلسفة وعلم النفس والتاريخ وغيرها"[118]٠ وهذا الرأي يتردد لدى كل دارسي إنتاجه

ويدور جوهر الدراسات المتابعة لمصادره،حول أن صلاح عبد الصبور لم يفقد طريقه خلال تأثره بمصادر أجنبية، بل كان واعيا، ويصرح بذلك كما في تذييله لمسرحية "مسافر ليل" التي يعلن تأثره بيوجين إيونسكو، وبالتحديد مسرحية الكراسي[119]٠ لكنه في ذات الوقت يقدم مسرحية، "تحتل مكانة رفيعة في المعيار النقدي، ٠٠ ،وتتجلى في المسرحية قدرة إيحائية قوية، وأصالة وابتكار"[120]٠ وحين يوظف التراث الشعبي و الأساطير في مسرحه، فلديه دافع نبيل، وهو الوعي "لإبداع أدب وفن قوميين، في مواجهة التيارات الأجنبية الوافدة"[121] ، ويذهب د٠عبد الحميد إبراهيم إلى تأويل تأثر صلاح عبد الصبور في مسرحية "مأساة الحلاج" بمسرحية إليوت "جريمة قتل في الكاتدرائية" ـ إلى أن صلاح عبد الصبور كان يؤسس فلسفة عربية نقدية جديدة، "يكفي عبد الصبور أنه راد ميدانها، وأنه بدءا من مسرحيته هذه خاض معارك مع أداته، التي بدأت تلين مع مسرحياته التالية"[122]٠

وبسبب من كثرة الدراسات التي رصدت مصادر شعر صلاح عبد الصبور، وكثرة قصائده، سيتوقف الباحث عند أول ديوان له، "الناس في بلادي"، كشاهد على تداخل هذه الثنائية٠

تمثل ثنائية المرجعية التراثية والأوربية (التراث والمعاصرة) جوهر هذا الديوان، فيقع بين طرفين: شعر تقليدي، مبني على معطيات الخطاب النقدي التراثي، حيث الحرص على تحقق مبدأ الوضوح، ومراعاة وجه الشبه إلى صورة تصل أحيانا إلى درجة

النثرية، وفي المقابل شعر جامح الخيال ـ وهذا هو الغالب ـ مبني على معطيات الخطاب الغربي بنظرياته المتعددة في فن الشعر. ومن حيث الشكل، فإن الديوان ضم في أول طبعة له (١٩٥٧) إحدى وثلاثين قصيدة، منها إحدى عشرة مكتوبة بالشكل التقليدي، وزنا وصياغة، وواحدة ، وهي"أناشيد غرام" "قام الشاعر فيها بالجمع بين أكثر من وزن، جمع فيها بين الشكل الحر والشكل الكلاسيكي"[١٢٣]، من جهة الوزن والصياغة والروح، لذلك تقع القصيدة " بين طرفي النقيض : أقصى التحرر إلى حد القرب من النثرية، وأقصى الالتزام إلى حد النمطية" وتسع عشرة قصيدة جاءت في قالب الشعر الحر، وزنا ومضمونا وصياغة[١٢٤]

ومن حيث المضمون، فإنه يزاوج بين " قراءاته في الشعر العربي وخاصة لأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء - وقد كان أكثر تعلقا بآخرهم، لعمق تفكيره في الإنسان وهمومه في الحياة - وأيضا من خلال قراءاته في الشعر الغربي وخاصة لإليوت، وفي الفلسفة الغربية وعلم النفس. "[١٢٥]. وهو مضمون ثري يدعمه وعي الشاعر بضرورة الانفتاح الثقافي، الذي لم يعد ترفا، بل واقعا، فيرى أن التراث الأجنبي جزء من موروث الشاعر، فيقول: "أضيف إذن موروث جديد إلى موروث الشعر العربي عن طريق الترجمة والقراءات المباشرة للشعر الأجنبي في لغته"[١٢٦]. وعن طريق هذه الازدواجية المؤلفة من التراث القومي والتراث الأوربي ينبع صوت الشاعر، أو بتعبيره هو، فإن " الشعر ينمو داخل التراث الشعري، والحوار الذي يدور في نفس الشاعر هو حوار بين تراثه الشعري وبين العالم: وإذا لم يرتبط الشاعر بتراثه الشعري كما يرتبط بالعالم فلا مجال لعده شاعرا"[١٢٧]. وهذه جعلت صلاح عبد الصبور" يلجأ في هذا الديوان كثيرا إلى وسائل التصوير التقليدية، من تشبيه واستعارة وكناية، وإن كان في معظم الأحوال يوظف هذه الأشكال توظيفا فنيا جديدا للإيحاء بأبعاد نفسية، وشعورية لم تكن هذه الوسائل عادة توظف للتعبير عنها وكان هذا يدفعه أحيانا إلى الإغراب في تشكيل هذه الصورة وتأليفها من عناصر متباعدة لا يبدو بينها للوهلة الأولى ترابط واضح"[١٢٨]. وهذا الذي يصفه الدكتور على عشري- في النص السابق- قد أصبح بعد ذلك من الركائز الرئيسة لإبداع الشعر الحر، عند الشاعر نفسه وعند غيره من الشعراء.

وبإمكان القارئ أن يقف على ثنائيات كثيرة من هذا النوع، كما في قصيدة "لحن" التي تصور الشعور بالعجز، والتردد الإنساني بين الإرادة والرغبة، لذلك ليس

مصادفة أن يضمنها الشاعر أجزاء من شكسبير وإليوت· وروميو وجولييت نموذج على الرغبة المدعومة بالإرادة، لكن التناص هنا يحيلها إلى عجز، عجز كلي فادح، وإليوت في الأرض الخراب أعلن إفلاس العصر وعجز القيم التي يتبناها أبناء الحضارة الحديثة، وهذا ما يستمده منه ومن أرضه الخراب، وكذا من " أغنية العاشق ج· ألفريد بروفروك" يقتبس الشاعر مشهدا، لكن بعد أن يفرغه من مضمونه· وهذا يقوي المعنى العميق للقصيدة:

جارتي مدت لي من الشرفة حبلا من نغم
نغم قاس رتيب الضرب منزوف القرار
نغم كالنار
نغم يقلع من قلبي السكينة
نغم يورق في نفسي أدغالا حزينة
بيننا يا جارتي بحر عميق
بيننا بحر من العجز رهيب وعميق
وأنا لست بقرصان ولم أركب سفينة
بيننا يا جارتي سبع صحارى
وأنا لم أبرح القرية مذ كنت صبيا
أُلْقِيَتْ في رجلي الأصفادُ مذ كنت صبيا
أنت في القلعة تغفين على فرش الحرير
وتذودين عن النفس السآمة بالمرايا واللآلي والعطور
وانتظار الفارس الأشقر في الليل الأخير
- أشرقي يا فتنتي
- مولاي· · !
- آه· · لا تقسم على حبي بوجه القمر
ذلك الخداع في كل مساء
يكتسي وجها جديدا
وأنا لست أميرا
لا، ولست المضحك المزاح في قصر الأمير
إنني خاو ومملوء بقش وغبار[١٢٩]

والقصيدة لا تظهر العجز صراحة، وليس فيها لفظ العجز ولا مشتقاته، ولكنها كلها "كناية كبيرة" عن هذه الفكرة. ويتحقق هذا الشعور من خلال المزج بين مقتبسات شتى، فمطلع القصيدة (خمسة أبيات) تناص مع روميو وجوليت واضح، وخصوصا مشهد الغرفة، و كيف مدت له الحبل من غرفتها، الذي تحول هنا إلى حبل من نغم. والبيت السابع مقتبس من " الأرض الخراب" لإليوت. والأبيات السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، كلام شكسبير من المشهد الثاني من الفصل الثاني من مسرحية روميو وجولييت. والبيتان الثاني والعشرون والثالث والعشرون ، مقتبسان من " أغنية العاشق.ج. ألفريد بروفروك" لإليوت.

كذا في "الحزن" التي أرادها صلاح أن تكون "الأرض الخراب" بالعربية، لكن الجو الثقافي لم يكن على استعداد للتضحية بمجد اللفظة الشعرية وتراث الفصاحة، ليسمع هذه الجرأة اللغوية، برغم أن القصيدة- فنيا- تنجح في كشف ما أراده الشاعر، وفي كشف تفاهة الحياة العصرية، واغتراب الإنسان، وشعوره الحاد والقهري بوطأة الزمن، وفساد الحياة ثقافيا وسياسيا واجتماعيا، والقصيدة كلها كناية، عن سطحية الحياة وابتذالها، وتفاهة الناس، وضحالة وعيهم الفكري والعقلي. ويعترف صلاح عبد الصبور بأنه كتبها تحت إلحاح إعجابه بقصيدة إليوت .

وصلاح عبد الصبور واحد من أهم الشعراء الذين تبنوا هذا التحول في مفهوم علاقة الشاعر بتراثه، فيرى أن الأديب هو الذي يملك التراث وليس العكس، ووسع من مفهوم هذا التراث فجعله " التراث العالمي"، ومارس هذه الرؤيا عمليا في إبداعه، منذ وقت مبكر، فنقف في ديوان الناس في بلادي" (١٩٥٧) على "السندباد" وهي اللوحة الرابعة من قصيدة "رحلة في الليل" وهي تناص مع التراث الشفوي لألف ليلة وليلة، و"شنق زهران" التي يذكر عنها الأستاذ عبد الرحمن فهمي " أنها مستوحاة من موال دنشواي المعروف"، و"أغنية حب" وهي تناص مع الكتاب المقدس، و"أغنية ولاء" التي تتقاطع مع التراث الصوفي.

لكن: ما فائدة هذا التناص؟ ولماذا يكثر منه الشعراء؟. الواقع أن طبيعة الإبداع الأدبي الحديث أصبحت مكونة من بنيتين من المكونات Constituents بنية خارجية External وبنية داخليةInternal، وأصبحت هاتان البنيتان تشملان كل الأبنية اللغوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومن مجموع هذه الأبنية - مجتمعة-

يتم إنتاج السياق Context الذي يحكم إنتاج هذا الخطاب Discourse اللغوي الذي توظف فيه اللغة على نحو خاص. وتؤول البنية الداخلية إلى التراث، أما البنية الخارجية فتشير إلى أوربا والعالم بشكل عام.

وبالتالي أصبحت اللغة تعكس الإشارات الصريحة والضمنية إلى هذه الازدواجية الحضارية والثقافية، والنتيجة أن تزداد الدلالات التي تبثها المرسلة اللغوية إلى المتلقي، مما يؤدي إلى تكثيف الدلالة، وهذا ما يشير إليه دارسو الشعرية فيلمحون إلى أنه " لم تعد الشعرية في تنظيرها الجديد نابعة من سنن محددة، أو منبعثة من ذات نقية لا تلتبس بسواها، بل أصبحت مجال تقاطع شفرات متعددة، تتبادل وتتفاعل، وتؤدي من خلال هذه الممارسة إلى توليد النصوص وبالتالي تتوارى أسطورة النقاء الثقافي والإبداع من غير مثال، أو الفرادة المطلقة، ليحل محلها اعتراف بالاختلاط والهجنة والتداخل، مما يؤدي إلى وثبات معرفية عالمية"[١٢٠].

وينعكس هذا التداخل واضحا على المضمون الشعري، ولنأخذ الرثاء، ذلك الموضوع القديم، وكيف تحول هنا إلى مضمون عصري جديد، كما في قصيدة " نام في سلام" ، التي قالها في رثاء طيار شهيد. وتتكون القصيدة من ثلاث لوحات، الأولى استلهام واستحضار لأرسطو، الذي كان " معلما ورائدا في سنة الكمال" ، ويذكر الشاعر:

ألم يقل لنا المعلم حكمة الأجيال

يا أيها الإنسان.... اعرف نفسك!"

وهو يموت وادعا لأنه عرف..

فمات في سبيل سُنّة الكمال

وفي اللوحة الثانية، يبدو الحديث متعلقا بالنبي عيسى، وفكرة التضحية في الصلب، والخلاص:

وجر آخرٌ صليبَه، ووجهُه يفور بالزبد

والجهد والرمضاء يفريان منكبين عاريين

لأنه قد وهب الحياة

أيامه القليلة

واللوحة الأخيرة، تتحدث عن المرثي· فتتداخل الحدود وتغيب الفواصل بين الأشخاص الثلاثة، فيبدو المرثي وجها من وجوه تجليات أرسطو وعيسى في آن:

أما أخي " محمد نبيل"

فقد طوى جنازه شوارع المدينة

في ظهر يوم قائظ، والناس مطرقون

أحبابه، أحبابنا، وأهل حينا القديم[١٣١]

٤- ٥ نازك الملائكة·

تمثل كتابات نازك موقفين متضادين من المصادر· فقد أثبت الجدول الذي وضعه عبد الجبار داود البصري "أن نظرية الشعر عند نازك تطورت تطورا يشبه المحو"[١٣٢]· فكل فكرة بدأت مع حياتها الأدبية تراجعت إلى ضدها من بعد· لكن الشيء الوحيد الذي ظل ثابتا هو موقفها من المصادر؛ منذ مقدمتها الشهيرة لديوانها (شظايا ورماد)١٩٤٩م، والذي يعتبره البعض بيان الحداثة العربية، إلى كتابها الأخير (سايكولوجية الشعر) ١٩٩٣م، مرورا بكتابها ذائع الصيت (قضايا الشعر المعاصر)·

يرى دارسو شعرها " أن نازك الملائكة كانت أكثر رواد الحداثة الشعرية العربية من العراقيين اطلاعا على الثقافة العربية، تراثية ومعاصرة· وعلى الثقافة الأجنبية التي زودتها بها معرفتها باللغة الإنجليزية والفرنسية واللاتينية ـ وربما الفارسية ـ بمفاتيح الدخول إلى رحابها الواسعة"[١٣٣]· وقد انعكس هذا الوعي الثقافي على شعرها ونثرها· ففي دراسة الواسطي ١٩٩٥م عن المؤثرات الإنجليزية في شعرها يرى تشابها واضحا بين آرائها النقدية النثرية وآراء شيلي في "دفاع عن الشعر"، وكأنها تردد فقرات من كتابه في رسالتها "إلى الشاعر الناشئ"·[١٣٤] وفي قصيدتها " إلى العام الجديد" أصداء من قصيدة إليوت "الرجال الجوف"· وينتهي الدارس إلى هذه النتيجة :" في ضوء دراستي المعمقة لمطولة "مأساة الحياة" وديواني "عاشقة الليل" و"شظايا ورماد" وجدت أن نازك الملائكة قد اطلعت اطلاعا واسعا على شعر الكثير من الشعراء، لكنها اختارت مجموعة صغيرة من البارزين من الشرقيين والعرب والأوربيين وتفرغت لدراستهم دراسة خاصة مفصلة ظهرت آثارها في الأصداء الكثيرة المتداخلة لهذه المجموعة الصغيرة من البارزين· هذه المجموعة تضم طاغور وعمر الخيام (بترجمة أحمد الصافي النجفي) من الشرقيين، وإيليا أبا ماضي وميخائيل نعيمة وجبران خليل

جبران من المهجريين، ومحمود حسن إسماعيل وعلي محمود طه وأحمد فتحي من المصريين ، وتوماس غراي وبايرون وكيتس وإدغار آلن بو من الإنجليز والأمريكان".[135]

وتؤكد نازك على أنها نظمت مطولة "مأساة الحياة" بعد أن أُعجبت بالمطولات الإنجليزية[136]. وفي هذه القصيدة أثر واضح من قصيدة توماس جراي "مرثية في مقبرة ريفية" وقد ترجمتها الشاعرة ونشرتها في "عاشقة الليل"، وفيها أصداء من رباعيات الخيام ، والطلاسم لإيليا أبي ماضي. وفي هذا الديوان استلهام لروح شعراء "مدرسة المقابر" الإنجليزية"[137]. ومنها قصيدة جراي السابقة، والتي تتردد صورها ومعانيها في معظم أشعار نازك.

ويمكن تلمس وجوه التداخل في المرجعيات التي تؤطر شعر نازك الملائكة من خلال هذا النموذج، من قصيدتها " خواطر مسائية" :[138]

إذا زحف الليل فوق السهوب ... ومرت على الأفق كف الغيوم
ولم يبق غير السكون الرهيب ... ونام الدجى تحت جنح الوجوم
ولم يبق إلا نواح اليمام ... وهمس السواقي وأناتها
ووقع خطى عابر في الظلام ... تمر وتخفت أصواتها
جلست أناجي سكون المساء ... وأرمق لون الظلام الحزين
ولأرسل أغنيتي في الفضاء ... وأبكي على كل قلب غبين

فهنا روح علي محمود طه في قصيدته " أغنية ريفية":

وإذا داعب الماء ظل الشجر ... وغازلت السحب ضوء القمر
ورددت الطير أنفاسها ... خوافق بين الندى والزهر
وباحت مطوقة بالهوى ... تناجي الهديل وتشكو القدر
....
هنالك صفصافة في الدجى ... كأن الظلام بها ما شعر
أخذت مكاني في ظلها ... شريد الفؤاد كئيب النظر[139]

وفيها أثر من شعراء الرومانسية الإنجليز، خصوصا شعراء " مدرسة المقابر"، الذين رسموا في قصائدهم مناظر طبيعية داكنة الألوان، كئيبة، وتكون فيها، عادة، البوم، طير المساء المتفرد بكآبته، أو الشاعر نفسه يقف وحيدا ليراقب سيرورة الحياة في عبثيتها وعدميتها"[140].

ومن قصيدة "مأساة الحياة" يمكن اكتشاف أكثر من موطن للتأثر. وعلى سبيل المثال، هذه مقطوعة من إيليا أبي ماضي من قصيدته ذائعة الصيت "الطلاسم":[141]

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيتَ

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري!

وتتقمص نازك هذه الروح، لتصبح عندها:

هكذا جئت للحياة وما أدري إلى أين سوف تمضي الحياة

وسأحيا كما يشاء لي المجهول حيرى تلهو بي الظلمات

ها أنا الآن حيرة وذهول بين ماض ذوى وعمر يمر

لست أدري ما غايتي في مسيري آه لو ينجلي لعيني سر[142]

ويمكن ملاحظة التشابه بين كلام نازك وهذه الرباعية من الخيام، بترجمة الصافي النجفي:

أتى بي لهذا الكون مضطربا فلم	تزد لي إلا حيرةٌ وتعجّبٌ
وعدت على كره ولم أدر أنني	لماذا أتيت الكون أو فيم أذهب[143]

كما يمكن ملاحظة التقارب بين كلامها وكلام توماس جراي، بترجمتها هي:

أو ليست هذي الحياة سرابا	أو ليس الفناء عقبى سناها؟
أو تنجي الألقاب أو منح الـ	مجد إذا ما الحمام أحنى الجباها؟
يا لَوَهم الأحياء كم من حضا	رات أطاف البلى بها فمحاها !!
كل ما في الحياة ينهى إلى القبر	فما مجدها ؟ وما جدواها؟[144]

وتعترف نازك أنها اقتبست تكنيك قصيدة "الجرح الغاضب" من إدجار آلن بو[١٤٥]. ويذهب دارسوها إلى أبعد من ذلك؛ إذ تبدو روح بو في "الخيط المشدود في شجرة السرو" و"رسالة إلى الشاعر الناشئ". وأعلنت، صراحة، في نهاية مقدمتها لديوانها " شظايا ورماد" وهي تتحدث عن أهمية النظريات الغربية الحديثة في الفلسفة والفن وعلم النفس: " نحن بين اثنين: إما أن نتعلم ونتأثر بها ونطبقها، أو لا نتعلمها إطلاقا".

إن ثنائية الموقف من التراث، لدى نازك ظلت هدفا تتوخاه. وفي كتابها الأخير "سايكولوجية الشعر" تضع أمام الشاعر الناشئ القاعدة الذهبية ليصبح شاعرا كبيرا، وتتلخص في "معرفة الوزن والقافية معرفة علمية، وضبط أصول اللغة وقواعدها ضبطا محكما، والاطلاع على الموروث الشعري والحديث عربيا وأجنبيا".[١٤٦] وهذا سر ترددها في التجديد، إذ يبدو شعرها ناضحا بقيم الرومانسية[١٤٧]، ميالا إلى التمرد الفردي الرومانسي، لكنه لا يحطم القواعد كلية، وأيما قاعدة تم تحطيمها في هياج الثورة يتم التراجع عنها إبان الهدوء. ومن ثم فإن دراسة البنية الإيقاعية لشعر نازك ـ وهذه أهم صفة فارقة بينها وبين شعر التراث ـ تجعل شعرها يتأرجح بين البنية العمودية والبنية الحديثة، كما أثبتت دراسة متأنية ذلك[١٤٨].

٥- خاتمة

حمّل الخطابُ النقديُّ الشعرَ الحرَّ عبءَ الكشف عن عوالم جديدة، حين وضعه مقابل الشعر العمودي؛ وتم وصف الشعر الحر بالشعر الجديد. وحاول الشعراء من خلال تنقيب لاهث في "تراث العالم" تقديم رؤيا جديدة، تم تمريرها من خلال ألفاظ مجنحة مثل: الحدس والرؤى والصور والكشف والحلم واللاوعي... إلى آخر هذه التراكيب المجازية المتواترة التي زعمت تجربة الشعر الحر أنها بصدد الإمساك بها وتقديمها للقارئ. وركض النقد وراء تجليات هذه التراكيب في الشعر الحر. وانتهى الجميع ـ شعراء ونقادا وقرّاء ـ إلى إقرار بأنه "شعر غامض" ، مبهم. وتم تسطير دراسات عدة في كشف حالات هذا الغموض ودوافعه وملابساته.

وفي زعمي؛ فإن ذلك يرجع ـ في الجانب الأكبر منه ـ إلى انتقاء المرجعية التي مارسها الشاعر الحديث بحرية تصل إلى درجة الفوضى. ومن مظاهر هذه الفوضى ـ النقدية ـ "محاولة تسويغ المُحدَث وابتغاء العذر له، وكأنه مما يعتذر عنه، أو محاولة تهجينه والتماس أوجه القربى بينه وبين القديم، أو بجعل الحداثة رافدا موازيا للتراث،

تقاسمه في تشكيل البنية المفكرة أو المبدعة"[149] ؛ فتداخلت المدارس النقدية والأدبية كلها معا، وغابت الحدود الفاصلة بين الشعر والفلسفة، كما غابت بين الشعر والأيديولوجيا. ومن ثم أصبح المعنى الشعري مسألة شخصية مرتبطة بمشاغل الناس الذاتية، وتحكمت هذه الذاتية في تأويل الشعر. فكما أن للشاعر مطلق حق في انتقاء مصادره، فيحق للقارئ أن ينتقي هو الآخر، ولن تلتقي الحريتان على مصادر، ومن ثم تتعدد زوايا التأويل ويختفي "الفهم المشترك". خاصة فيما يتعلق بالمستوردات الثقافية، وعلى قمتها الأساطير التي تم التعامل معها كطائفة من المصطلحات المشتتة، وليس ككل معقد.

لقد تم تقديم إشكالية مصادر الشاعر الحديث، في صورة تهويلية لا تخلو من التضخيم، وتم الربط بين مفردات التجربة الشعرية الحديثة، والمصادر، وإنقاذ الشعر من سقطته بصورة مفتعلة. وساهم جمعٌ من النقاد في تأكيد هذا التهويل. كما في حديثهم عن التفعيلة والرموز والأساطير والتصوير... إلخ. وقد مر زمن - ليس بالطويل - وتم إهمال هذه المفردات، وفي مقدمتها: الرموز والأساطير؛ "أما هذه الرموز فهي نفسها تقريبا الرموز العامة الدالة على الخصب والانبعاث أو رموز البطولة العربية في سمتها الاشتراكية، كالصعاليك وأبي ذر والقرامطة. أو الرموز القمعية كالحجاج وتيمور لنك. ولا بأس من الإشارة - في هذا الحيز - إلى أن هذه قد أُبْتُذِلَتْ، ليس لأنها قد أصبحت رموزا عامة متداولة بين النصوص الشعرية الحديثة بمعظمها تقريبا، وإنما لأن الوعي الشعري الذي أنتجها كان في الأساس منزاحا إلى حقول غير شعرية"[150].

أما ارتباط الشعر الحر بتراث العالم، فأغلب الظن أنه خدعة لا يقصد من ورائها إلا إضفاء مسحة من الرهبة على هذا الشعر. فكل الدراسات تشير إلى التراثين الإنجليزي والفرنسي تحديدا -وليس كل تراث العالم- وإلى شعراء معدودين من بين هذين التراثين، وإلى حزمة من الأفكار والرموز متداولة من شاعر لآخر. وهذا ما تؤكده الدراسات المقارنة الحديثة. ولذا يصبح من "التهويل" أن نجد محاولات ربط منجزات قصيدة الشعر الحر العربية بتراث العالم، بزعم أنها "لا تختلف في شكلها وإخراجها الطباعي عن زميلتها الإنجليزية والفرنسية"[151] ، وهذا التهويل يتم تضخيمه من قبل نقاد موثوق بهم، كما في ادعاء د. عز الدين إسماعيل: "قد صارت القصيدة في الشعر الحديث العربي والأوربي نفسا واحدا أو تكاد"[152]. ويبدو الأمر مزعجا في

تبريرات مثل زعم د٠غالي شكري: "علينا أن نستورد أحدث منجزات التكنيك الشعري كما نستورد نظريات التربية ومحطات الكهرباء"٠[153] ولما كان نقاد الحداثة (عكس ما كان عليه النقاد القدامى) أكثر ترحيبا بالمصادر الأجنبية، وداعين إلى انفتاح غير متحفظ، فقد أدى ذلك إلى غربة النقد، بنفس القدر الذي اغترب به الشعر عن قرائه٠

ومن جهة ثانية، فإن الملاحظة البارزة، أن شعراء التجربة الحديثة(= الشعر الحر) أقل عدوانية تجاه التراث العربي من الجيل السابق عليهم، إذ يعكس كلامهم تسامحا ـ نظريا ـ وقبولا للتراث العربي٠ لكنهم يجعلون حرية الانتقاء تتحكم في موقفهم منه، وبالفعل مارس كل الشعراء المحدثين انتقاء رموزهم التراثية٠ فهل ـ بالفعل ـ يمكن القول بأن شعرهم يمثل امتدادا للتراث العربي؟٠

للإجابة على هذا التساؤل يلزم الوقوف على المضامين المتواصلة والممتدة بين القديم والمحدث٠ودراسة "الاهتمام المشترك" بين الشعراء المحدثين وربطه بالتراث٠ وهذا ما لم يحدث٠ ومن ثم فالإجابة ظنية٠ ومن خلال انتقائهم نماذج من الشعراء العباسيين، وتحديدا الشخصيات القلقة مثل المعري والحلاج وابن عربي ومهيار؛ أو الأشعار التي تعبر عن القلق والشك وفقدان اليقين؛ فإن هذا الذي اختاروه تم انتقاؤه لوقوعهم تحت تأثير شعراء أجانب، وكان هؤلاء العرب القدامى مجرد وجه لهؤلاء الأجانب، وقد أكد كلام أدونيس والسياب وعبد الصبور هذا ، فهم لك يفهموا ولم يتعاطفوا ولم يحبوا الشعراء العرب (وكلهم عباسيون) إلا بوحي من حب شعراء أجانب٠ وقد سبق نقل من كلام أدونيس بأن فهمه لأبي نواس مستوحى من فهمه لبودلير، وفهمه لأبي تمام مستمد من مالارميه، وفهمه للتجربة الصوفية بإيعاز من رامبو ونرفال، أما الجرجاني فالفضل في فهمه راجع إلى معرفته بالنقد الفرنسي٠وهذا يضع هذا "الفهم" على محك التساؤل٠

إن "الأريحية" التي يبديها هؤلاء الشعراء ـ نظريا ـ تجاه التراث، يتم تقليصها، كثيرا، على مستوى الممارسة٠ ومن ثم يظل موقع النموذج التراثي قلقا في تجربة الحداثة، بنفس القدر الذي نجد نده الأوربي يعانيه من التوتر، بسبب غياب "الاتجاه العام" للثقافة العربية الحديثة٠

فلقد مرت " الثقافة العربية" بتجربة مماثلة في أول عهدها حين بدأ "الفكر الإسلامي" يتأسس، من خلال انفتاح على ثقافات العالم، خاصة في عصر المأمون،

فنقل المسلمون التراث العلمي والفلسفي اليوناني إلى الثقافة العربية، وطوروه واستخدموه "كأداة وآلة منهجية في فهم التراث الإسلامي نفسه وشرحه وتفسيره متجاوزين، على هذا النحو، مرحلة النقل إلى الإضافة والتجديد"[١٥٤]. ومن ثم تقبل العلماء الفكر اليوناني "في جميع مجالات الفكر العربي، حتى في تلك التي كانت فيه المقاومة على أشدها، كالفقه والتشريع وعلوم الدين"[١٥٥]. ومن ثم لم تكن عملية الانفتاح على الفكر الأوربي "مجرد مزج أو خليط من الفكر المستورد والفكر الأصلي، وإنما كانت تأصيلا وإثراء للفكر نفسه"[١٥٦].

إن الثقافة العربية لم تخلُ قط من الرغبة في التجديد، وهو الأمر الذي لم يتأتَّ إلا عن طريق التبادل والحوار مع الثقافات الأخرى، إلا أن ذلك لم يتم لها إلا على أساس من الاختيارات الأساسية؛ ونقصد بها الاختيارات التي تشكل ما يشبه الاتجاه العام لأي ثقافة، أو النبرة الخاصة التي تتميز بها هوية كل ثقافة لها أهميتها وقيمتها التاريخية. على هذا النحو، ... ، فإن الاتجاه السائد في الثقافة العربية مال دائما في العصور السالفة، إلى الحفاظ على ما يميزها ويحفظ عليها أصالتها[١٥٧]. وفي ضوء هذه المقولة فإن الانتقائية التي مارسها الشعراء المحدثون، يصعب جمعها تحت اتجاه عام. وهذا ما تترتب عليه كل مثيرات التساؤل في تجربة الشعر الحديث.

إن تناول المرجعية هكذا حلٌ لإشكالية طرح القضية كما لو كانت صراعا بين تراث محلي وآخر وافد. لكن هذا الحل لا يعني أن ارتباط الشعراء بتراثهم كان مقنعا. وذلك بسبب الانتقائية، وحرية الفهم والتأويل، وحق إسقاط الحاضر على الماضي، وجلب الماضي إلى الحاضر، ومن ثم فإن المضامين التي يقدمها هذا الشعر الحر ليست امتدادا لنفس المضامين التي قدمها شعراء التراث. بل إنها ليست تطويرا لها، فإذا كانت رؤية صلاح عبد الصبور - نظريا - محكومة بسياج عقلاني مبهر، فإن تجربته الشعرية تبدو " انفلاتا" من أسر هذا التراث الذي استوقفه كثيرا. فالخروج على الشكل والنظام العروضي ليس وحده كل وجوه التمرد. فللشاعر رؤية جديدة في تفسير التراث؛ وقصيدة القناع أشبه بإعادة قراءة التراث وفق مفاهيم جديدة، وإعادة تأويله ضمن سياق ثقافي جديد. وطبيعة التخييل وفلسفة انتقاء المفردات وبناء الصور، وروح التمرد الميتافيزيقي، كلها مما يفصم عرى ارتباط شعر صلاح عبد الصبور

بتراثه، وإن لم يكن الأمر كذلك، فكيف نفهم تعامله مع التراث الديني في حوارية "الموت بينهما"٠ ومنها :

"صوت عظيم" :

والضحى

والليل إذا سجى

ما ودعك ربك وما قلى

وللآخرة خير لك من الأولى

ولسوف يعطيك ربك فترضى

"صوت واهن" :

أين؟

أين عطائي يا رب الكون

ها أنذا أتعثر بين البابين

ها أنذا أسقط في الما بين

قربت فأعطيت

حتى بللت الشفتين بماء التسنيم

وأنبتُّ الريحان على الكتفين

ثم منعت :

قتا وقد الجفوة في القلب، ويا حُرَقَ العينين

في مَلَلي أتقلب يا رب

أتلقى كل صباح خنجر ضجري في صدري مسموم

الحدين

أين هداياك؟ فجاءاتك أين؟

أين ملاكك ذو المنقار الذهبي[158]

الهوامش

1 - رفاعة رافع الطهطاوي (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)١٩٣- دار ابن زيدون - بيروت - ط١.

2 - السابق /٢٩٢

3 - السابق /٢٨٢

4 - فرنسيس فتح الله مراش (رحلة باريس)٨ – بيروت – ١٨٦٧ م

5 - نيقولا فياض (بلاغة العرب والإفرنج) ١٢٤ – المقتطف – مج ٢٤ – ج ٤ – ١٩٠٠م

6 - السابق

7 - نجيب شاهين (الشعراء المحافظون والشعراء العصريون)١٢٤ – المقتطف – مج ٢٤ – جـ٤ - ١٩٠٠

8 - مطران خليل مطران (الكتاب الأمس والكتاب اليوم) المجلة المصرية - ١٩٠٠

9 - خليل مطران (ديوان الخليل)المقدمة صفحة هـ- مطبوعات دار الهلال ١٩٤٩ – القاهرة.

10 - سليمان البستاني (إلياذة هوميروس) جـ١/١٧١ – دار إحياء التراث العربي - لبنان

11 - السابق/١٩٢ وما بعدها.

12 - عباس محمود العقاد(مجلة المجلة) العدد٦٣ صفحة ٢٧

13 - عباس محمود العقاد (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي)١٩٢- مطبعة حجازي- القاهرة - ١٩٣٧

14 - عبد الرحمن شكري (مجلة المقتطف)٢٤ – عدد يونيو ١٩٣٩م

15 - انظر : محمد سليمان أشرف (تأثر الشعر المصري بالشعر الإنجليزي) ١٥٢- البلاغ – أول سبتمبر - ١٩٣٤٠

16 - نقلا عن : د. عبد العزيز الدسوقي (جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث)١٥٢- مطبوعات معهد الدراسات العربية- ١٩٦٠

17 - صالح جودت (ناجي : حياته وشعره ٩٩٥ – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - ١٩٦٠

18 - العقاد ، مقدمة ديوان لآلئ الأفكار ضمن (ديوان عبد الرحمن شكري) جمع نقولا يوسف: ص ١٠٥ – الإسكندرية - ١٩٦٠

19 - عباس العقاد (الطبع والتقليد في الشعر العصري) مقدمة ديوان المازني – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية- القاهرة- ١٩٦١

20 - أبو القاسم الشابي (الخيال الشعري عند العرب) ٣٨ وما بعدها . ط ٢ – تونس ١٩٨٣

21 - ريتا عوض (الكتابة الشعرية والتراث) ٢٠٣ – فصول – المجلد الخامس عشر – العدد الثاني- ١٩٩٦

22 - أبو القاسم محمد كرو (الشابي : حياته وشعره) ٣٤- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت – ط٣- ١٩٦٠

23 - انظر المرجع السبق من ص ٣٠ إلى ص ٣٨

24 - عبد الرحمن شكري (رأي في الشعر الحديث) ٥٤٩ – المقتطف مايو ١٩٣٩

25 - إلياس أبو شبكة (روابط الفكر والروح)١١٨ ط٢ ١٩٤٥ منشورات دار المكشوف

26 - السابق

27 - عباس العقاد (قصائد ومقطوعات) ٣١- دار العودة- بيروت- ١٩٨٢

28 - السابق/١٧

29 - أحمد أمين (النقد الأدبي) ٤٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥٢
30 - انظر د. محمد زغلول سلام (النقد الأدبي الحديث) ١٣٠- منشأة المعارف بالإسكندرية - ١٩٨١
31 - د. محمود الربيعي (قراءة الشعر) - ٨٥ دار الثقافة ١٩٨٤
32 - راجع مقدمة ديوانه عابر سبيل ضمن (خمسة دواوين للعقاد) الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.
33 - د .محمود الربيعي (قراءة الشعر) ٨٤
34 - راجع هذا النقد في مجلة أبولو بتاريخ ١- ٦- ١٩٣٣ تحت باب (ثمار المطابع)
35 - محمد عبد المعطي الهمشري (اتفاقات لا مفارقات في نقد العقاد) أبولو- مارس - ١٩٣٣
36 - أبولو ٣ أغسطس ١٩٣٣
37 - - أبولو ١- ٨- ١٩٣٣.
38 - أبولو ١٩٣٣/٩/١
39 - إسماعيل نجاتي (العقاد في الميزان) أبولو ١٩٣٣
40 - أبولو ١٩٣٣/١٠/١
41 - راجع عدد أبولو الصادر في ١٩٣٤/٧/٢ وكذلك الصادر في شهر سبتمبر من نفس العام.
42 - د. محمد سعيد فشوان (مدرسة أبولو الشعرية في ضوء النقد الحديث) ٤٠ - دار المعارف ١٩٨٢
43 - راجع الملاحظات التي أبداها في تقديمه لديوان السياب المجلد الأول ص ١٠٩ وما بعدها – دار العودة بيروت ١٩٨٢
44 - راجع مقال : ماهر شفيق فريد (أثر ت.س. إليوت في الأدب العربي الحديث) فصول- المجلد الثاني- ١٩٨١
45 - يشير صاموئيل موريه في كتابه (الشعر العربي الحديث) إلى أن إليوت قطع علاقة الشعر العربي الحديث (الحر) بالتراث نهائيا. انظر:
S. Morreh (Modern Arabic Poetry)216-Leiden.E.J.Bill.1978
46 - أنظر : صلاح عبد الصبور (حياتي في الشعر) ضمن ديوانه الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ، والبياتي (تجربتي الشعرية) ضمن ديوانه الصادر عن دار العودة – بيروت - ١٩٧٩
47- S. Morreh (Modern Arabic Poetry)217
48 - انظر ت.س. إليوت (الأرض اليباب) ترجمة ودراسة د. عبد الواحد لؤلؤة- بيروت- ١٩٩٥
49 - انظر: باختين (المبدأ الحواري) ترجمة فخري قسطنطين. الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة- ١٩٩٤
50 - راجع دراسة جادة عنه ضمن كتاب أحمد المديني (في أصول الخطاب النقدي الجديد) بغداد- ١٩٨٧
51 - أدونيس (مجلة أدب) ٨٢- خريف ١٩٦٢
52 - T.S. Eliot (Selected Pros)22- London-1965
53 - Northrop Frye (Anatomy of Criticism) 97 . Princeton, 1957
54 - أدونيس (صدمة الحداثة) ١٤٩ وما بعدها. بيروت- ١٩٧٨
55 - السابق/٢٢٩

56 - السابق/١٣٣

57 - ريتا عوض (الكتابة الشعرية والتراث) ٢٠٢- فصول٠

58 - الشابي (الخيال الشعري عند العرب) ١٠٣

59 - ديون صلاح عبد الصبور ص ٧و ٨و ٩ باختصار شديد ٠القاهرة- ١٩٩٣

60 - السابق/ ٢٧

61 - السابق/ ١٣٨

62 - السابق/١٤٢

63 - السابق / ١٥٩

64 - بلند الحيدري (مداخل إلى الشعر العراقي الحديث) ٦٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٧

65 - السابق /٦٦

66 - انظر (تجربتي في الشعر) فصول مج ٢ ع١ – ١٩٨١ وهي نص المحاضرة التي ألقاها ١٩٧٩ وفيها إشارات مؤكدة إلى ربط التجربة الشعرية بالتجربة الصوفية٠

67 - البياتي (ديون البياتي) جـ٢/ ١٧ دار العودة – بيروت- ١٩٧٩

68 - عبد النبي إصطيف (خيط التراث في نسيج الشعر العربي الحديث) ١٨٧- فصول – مج ١٥ – ع ٢ - ١٩٩٦

69 - ديوان البياتي جـ ١٩١/٢

70 - ديوان البياتي جـ٢٥/٢

71 - ديوان البياتي جـ٣٢٠/١

72 - محمد علي أحمد (روائع الأدب العربي) ١٢٣ دار المنتدى- ١٩٩٢

73 - ديوان البياتي جـ١٧٥/٢

74 - ديوان البياتي جـ١٩٩/٢

75 - ديوان البياتي جـ١٤٨/١

76 - ديوان البياتي جـ٣٧٧/٢

77 - ديوان البياتي جـ٤٣/٢

78 - ديوان البياتي جـ٣٣/٢

79 - المعري (شروح سقط الزند) جـ١/ ٤٢٩- مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٤٥

80 - ديوان البياتي جـ١٧٩/٢

81 - ديوان البياتي جـ٢٣١/٢

82 - ديوان البياتي جـ٢/ ٢٩

83 - ديوان البياتي جـ٩٠/٢

84 - د٠ غازي القصيبي (الغزو الثقافي ومقالات أخرى) ٣٨

85 - جهاد فاضل (أدباء عرب معاصرون) ١٧٨- دار الشروق- القاهرة - ٢٠٠٠

86 - سامي مهدي (أفق الحداثة وحداثة النمط) ١٩٨ وما بعدها- بغداد- ١٩٩٨

87 - أدونيس (الشعرية العربية) ٨٦

88 - ريتا عوض (الكتابة الشعرية والتراث) ٢٠١- فصول

89 - أدونيس (صدمة الحداثة) ٢٥٨

90 - د· عبد الواحد لؤلؤة (من قضايا الشعر العربي المعاصر: التناص مع الشعر الغربي) ٢٢,٢٣ من مجلة الوحدة- العدد ٨٢ لعام ١٩٩٩١- المغرب

91 - السابق/٢٣ · ومقال د· صلاح نيازي منشور في مجلة (الناقد) ٦٣العدد الأول – تموز - ١٩٩٨

92 - علي أحمد الشرع (ملامح الأورفية ومصادرها في شعر أدونيس) ١٠٦- فصول- مج ٧ - ع١- ١٩٨٧

93 - السابق/١٠٧

94 - أدونيس (المسرح والمرايا) الأعمال الكاملة- مج ٢ /٣٧٠- دار العودة – بيروت- ١٩٧١

95 - السابق/٣٩٣

96 - السابق/٣٩٣

97 - السابق/٥٠٢

98 - أدونيس (كتاب التحولات) ٩ ضمن الأعمال الكاملة – المجلد الثاني

99 - علي الشرع (ملامح الأورفية في شعر أدونيس) ١٠٧و ١٠٨- فصول

100 - لمراجعة تفاصيل أورفيوس، ينظر: أوفيد (مسخ الكائنات) ترجمه وقدم له د·ثروت عكاشة· الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤- وأشير إلى أن " تقطيع أوصال أورفيوس" عنوان كتاب لإيهاب حسن، يوحي بأن "أوصال أورفيوس" لها قيمة رمزية، بعد أن ارتضى تمزيق أوصاله ليتحول إلى نغم من قيثارة بلا أوتار· وثمة عرض لهذا الكتاب قدمه ماهر شفيق فريد في مجلة إبداع عدد نوفمبر ١٩٩٢

101 - ماهر شفيق فريد (تقطيع أوصال أورفيوس) ١٩- إبداع – نوفمبر - ١٩٩٢

102 - أدونيس (الأعمال الكاملة) ١٩٢- كتاب التحولات·

103 - د· مسلم شجاع العاني (قراءة في الأدب والنقد) ٦٥- اتحاد الكتاب العرب- ٢٠٠٠- دمشق

104 - على الشرع (التفكيكية والنقاد الحداثيون) ٢١٢ وما بعدها- مجلة دراسات- المجلد الأول- العدد الثالث- ١٩٨٩

105 - د· مسلم شجاع العاني (قراءة في الأدب والنقد)٦٦

106 - انظر: عيسى بلاطة(بدر شاكر السياب : حياته وشعره) دار النهار للنشر- ط٢- ١٩٨١- بيروت·

107 - السابق/٨٣- وهذا جزء من رسالة بعث بها سليمان العيسى إلى المؤلف كما يشير·

108 - السابق/ ٣٨

109 - داود سلوم (الأدب المعاصر في العراق من ١٩٣٨ إلى١٩٦٠) ٢٤٥- بغداد- ١٩٦٢

110 - السياب(أساطير) ٩٣- النجف- ١٩٥٠

111 - عيسى بلاطة (بدر شاكر السياب: حياته وشعره) ٤٤

112 - يمكن الرجوع في ذلك إلى أ- محيي الدين إسماعيل(ملامح من الشعر العراقي الحديث)٤٩- ٥٧ مجلة الآداب – بيروت- كانون الثاني- ١٩٥٥-
ب- جلال الخياط (الأسطورة والكائن الخرافي) ١٠- ١١ مجلة الآداب- بيروت- كانون الثاني- ١٩٦٧-
ج- مطاع صفدي (الثوري والعربي الثوري) ٦١- دار الطليعة- بيروت- ١٩٦١

113 - ماجد السامرائي (أطياف السياب العراقية ··واقعا وأسطورة) الحياة – ٢٠٠٤/١٢/٢٣

114 - عبد الواحد لؤلؤة (من قضايا الشعر العربي المعاصر)١٧- الوحدة- أغسطس ١٩٩١

115 - السابق / ١٨

116 - بنت الشاطئ (الناس في بلادي) ٥٧- مجلة الأدب- يوليو- ١٩٥٧

117 - د٠ محمد عناني (صانع الحساسية الجديدة في مصر) الأخبار ٢٧ يوليو ١٩٨٠

118 - ماهر شفيق فريد (من الإبحار في الذاكرة إلى الكتابة على وجه الريح) مجلة الثقافة عدد أغسطس ١٩٨٠

119 - صلاح عبد الصبور (مسافر ليل والأميرة تنتظر) ٦٢ – ط٣- دار الشروق - ١٩٨١- القاهرة

120 - نانسي سلامة (تأثير أيونسكو على صلاح عبد الصبور في مسرحية مسافر ليل)١٤٩- فصول- مج ٢- ع١- ١٩٨١

121 - عصام بهي(استلهام التراث الشعبي والأسطوري في مسرح صلاح عبد الصبور) ١٣٩- فصول- مج٢- ع١- ١٩٨١

122 - عبد الحميد إبراهيم (جريمة قتل بين إليوت وعبد الصبور) ٢٠٣- فصول- مج٣ – ع٤- ١٩٨٣

123 - د٠ علي عشري زايد (من أصول الحركة الشعرية الجديدة : الناس في بلادي) ٩١ - فصول – مج ٢ ع١ – أكتوبر ١٩٨١

124 - انظر تفصيل التطور الموسيقي عند الشاعر، وإحصاء أوزانه في كتاب د٠ أحمد عبد الحي ٠ شعر صلاح عبد الصبور : الموقف والأداة) ص ٢٣٨ وما بعدها – الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٨

125 - د٠ شوقي ضيف (صلاح عبد الصبور رائد الشعر الحديث) ٢٣ – مجلة فصول - مج ٢ ع١ – أكتوبر ١٩٨١

126 - صلاح عبد الصبور (تجربتي في الشعر) ١٥ – فصول - مج ٢ ع١ – أكتوبر ١٩٨١

127 - السابق / ١٧

128 - د٠ علي عشري /٨٨

129 - ديوان صلاح / ٢١٩ وما بعدها٠

130 - د٠ وفيق سليطين (من التضمين إلى التناص) ١٧ – دمشق - ١٩٩٩

131 - ديوان صلاح عبد الصبور / ٢٥٧

132 - عبد الجبار داود البصري (نازك الملائكة: الشعر والنظرية) ٢٠٣ وما بعدها- وزارة الإعلام - بغداد - العراق- ١٩٧١

133 - د٠ سلمان داود الواسطي (المؤثرات الأجنبية في شعر نازك الملائكة حتى عام ١٩٥٠)٤٣- وزارة الثقافة والإعلام – بغداد - ١٩٩٥

134 - منشورة ضمن كتاب نازك (سايكولوجية الشعر)

135 - د٠ سلمان داود الواسطي (المؤثرات الأجنبية في شعر نازك) ٤٧

136 - نازك الملائكة (الأعمال الكاملة) جـ١/ ٦ – ط٢- بيروت - ١٩٨١

137 - السابق /٦٠

138 - ديوان نازك الملائكة – الجزء الأول / ٥٦٦ – دار العودة – بيروت – ط٢ - ١٩٨١

139 - انظر القصيدة وتعليقا عليها في مقال د٠ شكري محمد عياد (انكسار النموذجين الرومنسي والواقعي في الشعر) ٧١ – عالم الفكر – الكويت – عدد ١٩٨٨ م٠

140 - لمراجعة نبذة عن شعراء مدرسة المقابر، انظر د. سلمان الواسطي (المؤثرات الأجنبية في شعر نازك) بغداد - ١٩٩٥

141 - إيليا أبو ماضي (الجداول) ٢٥ – المطبعة العلمية – النجف – بدون تاريخ.

142 - نازك .(الديوان) ١ / ٢٩

143 - عمر الخيام (رباعيات الخيام المصورة) ١١١ – ترجمة أحمد الصافي النجفي - دار إحياء التراث – بيروت – بدون تاريخ

144 - نازك الملائكة (عاشقة الليل) ٢١٦ – دار العودة – ط٢ – بيروت - ١٩٧١

145 - نازك الملائكة (قضايا الشعر المعاصر) ٣٤٦ وما بعدها- بيروت- دار العلم للملايين- ط٥- ١٩٧٨

146 - خالد مصطفى (تعاليم نازك الملائكة الأخيرة) ٨٨ – دار الشئون الثقافية العامة- ١٩٩٥- بغداد

147 - ماجد السامرائي(قضايا الشعر المعاصر في منظور النقد الأدبي: تقاطعات الوعي التجديدي)٩٣- بغداد - ١٩٩٥

148 - عبد الجبار البصري (تطور البنية الإيقاعية في شعر نازك) بغداد- ١٩٩٥

149 - د. محمد فتوح أحمد (الحداثة من منظور اصطفائي) ٧٨- فصول- مج٤- ع٣- ١٩٨٣

150 - د. سعد الدين كليب (جمالية الرمز الفني في الشعر الحديث) ٤٢- الوحدة- السنة السابعة- العدد٨٢- ١٩٩١ - المغرب

151 - كمال خير بك (حركة الحداثة في الشعر العربي) ٢٧٠- ط١- ١٩٨٣- دار الشرق- بيروت.

152 - د. عز الدين إسماعيل(الشعر العربي المعاصر) ٦٣- ط١- ١٩٦٧- دار الكاتب للطباعة والنشر

153 - د. غالي شكري (شعرنا الحديث إلى أين)٢١- ط١- ١٩٨٥- دار المعارف- القاهرة.

154 - محمد الكردي (الترجمة وحركة المثاقفة في العالم العربي) ٣٠٦- العدد٦٤- صيف ٢٠٠٤

155 - عبد الرحمن بدوي (أثر الفلسفة اليونانية على الأدب العربي) ١٢٢- باريس- ٢٠٠١

156 - محمد على الكردي (الترجمة وحركة المثاقفة في العالم العربي) ٣٠٩- فصول

157 - السابق/٣١٠ فصول

158 - ديوان صلاح عبد الصبور / ٦٠٧

النبر فى القوافى العربية
بين القدماء والمعاصرين

د. علي السيد يونس

بحث كثير من المعاصرين عن الأساس الذى يقوم عليه الإيقاع الشعرى ؛ ورأى كثير منهم أنه يقوم على كم المقاطع أو على الحركة والسكون ، بينما رأى آخرون أن أساسه نبرى ، أو نبرىّ كمى [1] . ويميل كاتب البحث إلى الرأى الأول ، إلا أنه يرى للنبر مكانة خاصة فى مقاطع القافية مقطعا زائد الطول كان هذا المقطع منبوراً ، وإلا فالمقطع الذى يسبقه مباشرة هو المنبور غالبًا ؛ وقلما يشذُّ بيت عن هذه (القاعدة) [2] ويسبب هذا الثبات يبرز النبر بحيث يؤدى كل تغيير فى موقع النبر إلى إحساس بالخروج على النسق .

ومما جعل اختلاف النبر يظهر فى القوافى أكثر مما يظهر فى سائر البيت أن الشاعر يلتزم فيها ما لا يلتزمه فى غيرها ؛ فمن المألوف المقبول فى القصيدة كلها – ما عدا القافية – أن تتناظر بعض المقاطع الطويلة المفتوحة مع بعض المقاطع الطويلة المغلقة ، ولا نكاد نجد بيتًا خاليًا من هذا التناظر ؛ ففى بيت (أبى نواس) :

لا أذود الطير عن شجرٍ ... قد بلوت المرّ من ثمره

يتناظر المقطع (لا) مع المقطع (قد) .

وفى بيت (المعرّى) :

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي ... نوح باكٍ ولا ترنّم شادي

يتناظر المقطع (دن) الذى يقع فى آخر التفعيلة الأولى (غير مجدٍ) مع المقطع

(دى) فى آخر التفعيلة الثالثة (واعتقادى) ومع المقطع (كن) فى آخر التفعلية الرابعة (نوح باكٍ) ؛ وكذلك يتناظر المقطع (غيـ) فى أول البيت المذكور مع المقطع (صا) فى أول هذا البيت من القصيدة نفسها :

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عادِ

أما القوافى فلا يجوز أن تكون إحداها مكونة من مقاطع كلمة (عاملُ) = (عا/ م/ لو) وأن تكون أخرى فى القصيدة نفسها مكونة من مقاطع كلمة (منزَلُ) = (من/ ز/ لو) على سبيل المثال ؛ كذلك لا يجوز أن تتكون إحدى القوافى من مقطعى كلمة (شادى) = (شا/ دى) ، وأن تتكون أخرى من مقطعى كلمة (وحدى) = (وح/ دى) على سبيل المثال .

وكثيراً ما يؤدى الزحاف إلى اختلاف كمّىّ بين التفاعيل المتناظرة ؛ ففى بحر الرمل – على سبيل المثال – تسلم بعض التفاعيل فتكون (فاعلاتن) وتزاحف بعضها فتكون (فعلاتن) ، فيتناظر بذلك المقطع الطويل (فا) مع المقطع القصير (فَ) ، ولا نكاد نجد بيتًا واحداً من الرمل يخلو من مثل هذا الزحاف . وما يقال عن الرمل يقال عن سائر الأوزان ، كلها أو معظمها .

أما مقاطع القافية فيلتزم فيها التساوى بين مقادير المقاطع المتناظرة التزاما يكاد يكون تاما ؛ فإذا ختم بيت بـ (مفاعيلن) – على سبيل المثال – امتنع أن يختم بيت آخر فى القصيدة نفسها بـ (مفاعلن) ، وبالمثل إذا ختم بيت بـ (مفاعلن) امتنع أن يختم آخر بـ (مفاعلين)[٣] .

فالشاعر إذن يلتزم فى القافية ما لا يلتزمه فى سائر البيت ، لأن للقافية أهمية ليست لغيرها ، فهى ذروة البيت أو تاجه إذا اقتبسنا تعبير (د . أحمد كشك)[٤] . فليس غريبا أن اختلاف مواقع النبر يبدو بارزاً أو ناشزاً إلى حد ما ، إذا كان فى مقاطع القافية ، لكنه لا يكاد يلفت النظر إذا وقع فى غيرها[٥] ؛ ففى قول (كشاجم) مثلا :

يقولون تب والكأس في كفِّ أغيد وصوت المثاني والمثالث عالي
فقلت لهم لو كنت أضمرت توبةً وأبصرت هذا في المنام بدالي[٦]

قد نجد اختلافا نبريًا[٧] بين التفعيلة الأولى (فَ/ قلْ/ تُ) والتفعيلة الثانية (و/ أبْ/ صَرْ) ؛ ففى التفعيلة الأولى يظهر النبر فى المقطع الثانى (قلْ) ، وفى الثانية يظهر فى المقطع الأخير (صَرْ) ، ولكن القارئ لا يكاد يلحظ هذا الاختلاف ؛ أما قافيتا البيتين فالاختلاف النبرى فيهما أبرز وأوضح إذا جعلنا النبر فى قافية البيت الأول (عا / لى) بالمقطع الأول ، وجعلنا النبر فى قافية البيت الآخر (دا / لى) بالمقطع الأخير (وهو ما يفعله المتكلمون بالعربية - كلهم أو معظمهم - فى مثل هذا السياق الصوتى فى لغة النثر) ، ولذلك يتجنبه كثير من القراء عند قراءة مثل هذا الشعر ويجعلون النبر فى المقطع الذى يقع قبل الأخير ليتشابه النبر فى البيتين[٨] .

ومثل ذلك يقال عن التصريع[٩] فى بيت (عمر بن أبى ربيعة) :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي　　　أتحب القتول أخت الرباب[١٠]

وفى بيت ينتهى بكلمة مكونة من مقطع طويل مغلق كبيت (بشار) :

نفسي يا عبْدَ عنيَّ واعلمي　　　أنني يا عبدَ م لحمٌ ودمْ[١١]

يميل الناطقون بالعربية عموما - فيما أرجح - إلى نبر المقطع الأخير (دَمْ) ، وعدم نبر المقطع الذى يسبقه (وَ) ، أما قافية البيت التالى فى قصيدة (بشار) :

إنّ في برديّ جسما ناحلا　　　لو توكأت عليه لانهدمْ[١٢]

فمقطعها الأخير (دمْ) ينطق بغير نبر ، وينطق المقطع الذى يسبقه (هـَ) منبورًا .

وشبيه بذلك قول (أبى نواس) :

إلهنا ما أعدلكْ
مليك كلّ من ملكْ
لبيك قد لبيت لكْ[١٣]

فالمقطع المنبور فى قافية البيت الأول هو المقطع الذى يسبق الأخير (دَ) ، أما المقطع الأخير فغير منبور ، وفى البيت الثانى أيضا نجد المقطع الذى قبل الأخير

(مَ) منبورا ، والمقطع الأخير غير منبور ، أما البيت الثالث فآخره (لكْ) هو المنبور ، وما قبله غير منبور .

وقريب من ذلك قوله :

فقطب حين أبصرني	ونكس رأسه وبكى
فلمّا أن حلفت له	بأنى صائم ضحكا [١٤]

إذ يكون المقطع الثانى (حين نبدأ من الآخر) فى البيت الأول (ب) هو المنبور ، والمقطع الثالث فى البيت الثانى (ضـ) هو المنبور بين مقاطع القافية .

ولا تكاد قصيدة مقيّدة تخلو من اختلاف النبر فى قوافيها ، ولكن هذا الاختلاف لم يستوقف الدارسين إلا عند (تشديد) [١٥] الروى فى بعض الأبيات وعدم (تشديده) فى بعضها الآخر ، وفى هذه الحالة يكون المقطع الأخير منبوراً إذا كان مضعف الآخر ، وإلا فالمنبور - غالبا - هو المقطع الذى قبل الأخير .

* * *

وفيما يلى أمثلة لذلك وردت فى دواوين عدد من أعلام الشعراء ينتمون إلى شتى عصور الشعر العربى . وقد وجدت أن حرف الروىّ - الذى يعد فى الأصل مشدداً - يكتب فى هذه الدواوين التى نقلت منها بشدة أحيانا ، وبغير شدة فى أحيان أخرى ، فرأيت أن أحافظ على الضبط كما هو ، فربما دلت هاتان الطريقتان المختلفتان فى الكتابة على طريقتين مختلفتين فى النطق :

أمرؤ القيس :

أحار بن عمرٍ كأنى خَمِرْ	ويعدو على المرء ما يأتمرْ
لا وأبيك ابنة العامرىِّ	لا يدّعى القوم أنى أفرّْ [١٤]

طرفة :

أجدر الناس برأس صلدم	حازم الأمر شجاع في الوغَمْ

كـــــامل يحـــــمل آلاء الفـــتى نبـــه سـيّـــد ســادات خـــضمْ (١٧)

الأعشى :

فـــإن يتـــبـعـــوا أمـــره يرشـــدوا وإن يســـــألوا مــــــا لـه لا يضـنْ
وإن يتـــضـــافـــوا إلى حكمـــه يضـــافـــوا إلى هـادنٍ قـــد رزنْ (١٨)

أبو النجم العجلى :

وجـبـل طال مـعــداً فـاشــمـخـرْ
أشمّ لا يسطيـعـه الناس الدهَرْ (١٩)

عمر بن أبى ربيعة :

ليت هـذا أنجـــزتنا مــــا تعـــدْ وشـــــفت أنفـــسنا مما تجـــدْ
واســـتــبـــدّتْ مـــرة واحــــدة إنما العــاجـــز من لا يســتـبـدْ (٢٠)

أبو نواس :

لما رأى الأمـــــر اقـــــمطر قـــام كـــريما فـــانتـــصـــر
كـــــهـــزة العـــضب الذكـــرْ مــــا حسّ من شىء هبـــر (٢١)

الشريف الرضى :

أبيـــــــعك بيـع الأديم النـغـلْ وأطـوى ودادك طىّ الســـــجلّ
وأنفـض ثقـلـك عـن عـــــاتقى فـــقـــد طالما أدتنى يا جـــبـل (٢٢)

أحمد شوقى

لا تـردّوا يـدهـم فــــــارغـــــةً طـالـب العـــون لمصـــرٍ لا يُردّ
سـيـرى الناس عـجـيـبـا فى غـدٍ يغـــرس القـــرش ويبنى ويلد (٢٣)

حافظ إبراهيم :

وحـــروبٌ طاحنات كلمـــا | أطفـئت شبّ لظاها واستـعـرْ
ضـــجت الأفـــلاك من أهوالهـــا | واستـعـاذ الشمس منهـا والقـمـر

. . . .

. . . .

فـاصـمـدوا ثم احـمـدوا الله على | نعـمـة الأمن وطيب المسـتـقـرّ
نعـمـــة الأمن ومـــا أدراك مـــا | نعـمـة الأمن إذا الخطب اكـفـهـرّ (٢٤)

عباس محمود العقاد :

خـــبـــــرّوني عـن الصـنـم | ذلـــــك الأروع الأشـــــمْ
ذلـك الـشـــــاهق الـذي | قـــصـــرت دونه الـهـــمـمْ (٢٥)

أبو القاسم الشابىّ :

وناجي النسـيم وناجي الغـيـوم | وناجي النجـوم وناجي القـمـر
وناجي الحـيــاة وأشـواقـهـا | وفـتـنة هذا الوجـود الأغـر (٢٦)

نازك الملائكة :

وناجي النسـيم وناجي الغـيـوم
وناجي الحـيــاة وأشـواقـهـا

* * *

يبدو من الأمثلة السابقة - وهى قليل من كثير - ان اختلاف القوافى على هذا النحو كان معروفا منتشراً فى شتى العصور ، فماذا كان موقف الدارسين منه؟

لم يذكر القدماء النبر بطبيعة الحال ، لكنهم تعرضوا لاختلاف القوافى إذ يكون الروىّ فى بعضها مشدّدا وفى بعضها الآخر مخففًا .

وربما كانت أقدم إشارة إلى هذا الأمر ما جاء فى (كتاب القوافى) لـ (الأخفش) :
«وهذا الذى لا يجوز إطلاقه - يقصد الرویّ فی القوافی المقیدّة - يجوز فيه المرفوع والمنصوب والمجرور والمجزوم والخفيف والثقيل . قال الشاعر :

أصحوت اليوم أم شاقتك هرّْ ومن الحب جنون وسُعُرْ

فراء (هر) مثقلة ، وراء (سُعُر) مخففة مرفوعة . وقال فيها :

أيها القلب تناه وانزجر إنما للمرء فالعم ما قدر [٢٨]

من الجلىّ أن (الأخفش) قبل اختلاف القوافى على هذا النحو (والتصريع صنو التقفية) وجعل ذلك نظيراً لانتهاء بيت بكلمة مرفوعة وآخر بكلمة مجرورة أو منصوبة أو مجزومة ما دامت كلها ساكنة . وكأنها لا يرى فرقا صوتيا بين المشدّد والمخفف فى حال التسكين ، أو رأى فرقا لا يعتدّ به . وقد سمّى المشدّد بالثقيل أو المثقل ، وسمّى غير المشدّد بالخفيف .

وليس (الأخفش) وحده فى قبول الجمع بين المشدد وغير المشدد فى القوافى المقيدة ، فقد رُوى عن (أبى العلاء المعرّى) أنه قال : «وُجد بخط (ثعلب) تشديدة على الرویّ فی قول (لبيد) :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهوديّ المصلّْ [٢٩]

كذلك روى (أبو الفرج بن المعافى) فى أماليه أن صديقه (الحسن بن خالويه) قال : «كتب (الأخفش) إلى صديق له يستعير منه دابة ، و(دابّة) لا يقع فى الشعر ، لأنه يُجمع فيه بين ساكنين ، فقال :

أردت الركوب إلى حاجة فمرْلي بفاعلة من دببت

وعلق (ابن المعافى) على ذلك بقوله : إنما امتنع دخول (دابّة) ونحوها فى الشعر لئلا يلتقى فيه ساكنان فى غير القافية ، أى أنه أجاز التقاء ساكنين فى القافية دون سائر البيت ، واستشهد بقول (امرئ القيس) :

لا يدّعي القوم أنّي أفر

فهو يرى أن التشديد قائم فى هذا الروىّ لم يتخفف منه الشاعر ، وأنه هنا يعنى التقاء ساكنين هما الراءان [٣٠] .

كذلك روى (أبو الحسن العروضى) أنه سمع شيخا من مشائخ أهل العلم ممن له رواية وسماع يشدّد اللام (الروىّ) وهو ينشد هذا البيت من شعر (لبيد) :

يلمس الأحلاس فى منزلهِ بيديه كاليهودىّ المصلْ [٣١]

وعلى الجانب الآخر وقف (أبو الحسن العروضى) نفسه ، إذ أنكر قراءة ذلك الرواية العلامة وقال إن القراءة الصحيحة يجب أن تكون بالتخفيف لا بالتشديد ؛ قال (أبو الحسن) عن ذلك الشيخ : «فشدد اللام ، وهى مخففة فى هذا الموضع ، والشعراء تفعل ذلك كثيراً فى الشعر المقيدّ ؛ ألا ترى أنه قال فى أوّل القصيدة :

إن تقوى ربنا خير نَفَلْ وبإذن الله ريثى وعجلْ

فخفف قوله (المصل) ليلحقه بسائر ضروب أبيات القصيدة .

وهذه القصيدة من الرمل فى الضرب الثالث منه ، وهو (فاعلن) ، فإذا شددت لا يجوز أن تختلف فى قصيدة البتة . والحرف المشدد إن وقع فى مثل هذه القافية وهى موقوفة حذف التشديد ، لأن الحرف المشدد بمنزلة حرفين ، كما حذف (لبيد) أحد اللامين ؛ والذى أنشدنيه لم يدْرِ ما عليه فيه . ومثل هذا البيت فى تخفيف المشدد قول (امرئ القيس) :

لا وأبيك ابنة العامريّ (م) لا يدّعي القوم أنّى أفِرْ

يخفف الراء ، وقال بعده :

تميم بن مرّ وأشياعها وكندة حولي جميعا صُبُرْ

وهذا فى الشعر أكثر من أن يحصى . ومثله قول طرفة :

أصحوت اليوم أم شاقتك هرْ ومن الحبّ جنون وسُعُرْ

ويروى (مستعر) مخفف الراء ، وهى مشددة [٣١] .

وذهب هذا المذهب (أبو يعلى التنوخى) ، فعنده أن الصواب تخفيف الحرف المشدّد «إذا كان فى ضرب البيت»[٢٢] .

وذهب المذهب نفسه (القزاز القيروانى) إذ قال : «ومما يجوز له - أى للشاعر - تخفيف المشدّد فى القافية ، وذلك أن المشدد حرفان ، فلما تمّ للشاعر الوزن بأحدهما حذف الآخر . ومنه قول الشاعر :

أصحوت اليوم أم شاقتك هِرْ

وكقوله :

أرْق العين خيال لم يقرْ

فخفف وأصله التشديد[٢٣]» .

ومثلهم (ابن عصفور) الذى جعل من الضرائر الشعرية تخفيف المشدّد فى القوافى ، واستشهد على ذلك ببيت (امرئ القيس) الذى استشهد به (القزاز) :

لا وأبيك ابنة العامرى (م) لا يدّعى القوم أنّى أفرْ

كما استشهد ببيت آخر لـ (امرئ القيس) هو :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا | تحرقت الأرض واليوم قرْ

وقال : «يريد (أفرّ) و(قرّ)» . وعلل ذلك بأن الشاعر لو شدّد (أفر) لكان آخر أجزائه على (فعول) من الضرب الثانى من المتقارب ، وغيره من الأبيات آخره (فعل) من الضرب الثالث من المتقارب ، واختلاف الأضرب فى قصيدة واحدة ليس بالجائز ، فخفف لتكون الأبيات كلها عن ضرب واحد[٢٤] .

وفى العصر الحديث درس (د . سعد مصلوح) ظاهرة التفاوت الكمى بين مقاطع القافية فى القصائد المقيدة ؛ وبالتحديد بين صوائت هذه المقاطع ، وبخاصة إذا كان الروى مشدداً فى بعض الأبيات خاليا من التشديد فى بعضها الآخر مستعينا ببعض أجهزة قياس الزمن ، ولم يكن هم الباحث تقويم هذه الظاهرة والحكم

عليها بالحسن أو القبح ، بل تفسير هذا التفاوت الذى وجده بيّنا ، إذ يبلغ طول الصائت فى المقطع المنبور (ولا سيما ما ينتهى بحرف مشدد) ضعف طول الصائت فى نظيره غير المنبور (ولا سيما ما ينتهى بحرف غير مشدد) حسب نتائج البحوث التى أجراها الباحث ، أما الصوامت الأخيرة فلم ير الباحث فرقا كميا بينها ، ولو كان بعضها مشدداً ، وبعضها مخففا . ويلاحظ أنه لم يجزم بما توصل إليه من نتائج ، بل استعمل صيغة الترجيح .

ويفسر الباحث قبول الشعراء لهذا التفاوت الكمى بأنه اتباع للتقليد القديم ، واستمرار لظاهرة تستعصى ظروفها وقوانين إعمالها على التحديد . ثم إن بعض أشكال التقفية لا يتحدد - فى رأيه - بالعامل الأكوستيكى وحده ، بل أيضا بعوامل أخرى ؛ منها علاقتها بغيرها من الكلمات المشتقة من الجذر نفسه ، وبالجدول التصريفى الذى تنتمى إليه ، وبالمظهر الكتابى الذى تبدو عليه حال تدوينها ، ولهذا الاعتبار نظائر فى نظم التقفية عند أمم كثيرة [٣٥] .

أما (الآلوسى) فقد تابع الذين رأوا أن التشديد فى روىّ القوافى المقيدة يجب أن يخفف ، وأن هذا التخفيف يعدّ من الضرائر ، ونقل كلام (ابن عصفور) الذى أوردته فيما سبق ، وخطأ من قال إن (أفر) فى بيت امرئ القيس مشدّدة الآخر [٣٦] .

كذلك (د . عونى عبد الرءوف) جعل تخفيف التضعيف من ضرائر القافية ، وكأن الشعراء - فى نظره - كانوا يرون أن التخفيف ضرورى للمحافظة على النظام الإيقاعى وإن كان خروجًا على اللغة [٣٧] .

أما (د . طه حسين) فوقف موقفا لا أعرف أحداً شاركه إياه ، ويبدو لى أن هذا الموقف ناتج عن رهافة سمعية فطر عليها ، ثم زادت وربت بعد أن فقد بصره ، فصار جل اعتماده على السمع . وظهر هذا الموقف فى معرض حديث له عن قصيدة لـ (إيليا أبو ماضى) ، إذْ شدد عليه النكير لأن بالقصيدة أبياتا رويها الدال المشددة أو المدغمة كما يقول (د . طه حسين) ، «وسكون الدال ثقيل . . . ولكن الشاعر

يضيف إلى هذا الثقل الطبيعى أثقالا أخرى ، فانظر إليه كيف يضيف سكونا إلى سكون ، وانقطاع نفس إلى انقطاع نفس فى هذا البيت :

لك في عالم النهار أمان ورؤى والظلام فوقك ممتد

فهذه الدال المدغمة لا تطاق ، وأنت إن قبلتها على إدغامها كلفت نفسك جهداً ثقيلا ، وأنت إن خففت الإدعام أفسدت اللغة إفساداً بغيضا» .

وقال مثل ذلك أو أشد عن هذين البيتين فى القصيدة نفسها :

أنت مثلي من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد

وأرى للنمال ملكا كبيراً قد بنته بالكدح فيه وبالكد[٣٨]

وحديث (الدكتور طه حسين) لا يقتصر على الدال الساكنة حين تكون رويًا ، بل يفهم منه أنه يعد الحرف الساكن المشدد - عموما - حرفين ساكنين ، وأنه يستثقل تشديد الروىّ الساكن بوجه عام (وإن كان تشديد الدال أثقل عنده من تشديد غيرها) ، كما يفهم منه رفضه تخفيف الروىّ الساكن المشدد ، ولو كان لضرورة شعرية ، فهو - عنده - إفساد بغيض للغة .

* * *

اختلاف النبر فى القوافى المقيدة نوعان ؛ أولها ينشأ عن تخفيف الروىّ فى بعض أبيات القصيدة وتشديده فى أبيات أخرى ، والثانى يرجع إلى سبب آخر غير التشديد والتخفيف ، كأن ينتهى بعض الأبيات ببعض الكلمات ذوات المقطع الواحد ، مثل (لى - بى - دمْ - لكْ) ، وتنتهى الأبيات الأخرى فى القصيدة بكلمات كل منها مقطعان أو أكثر ، مثل (عالى - الرباب - لانهدم - أعدلك) ، وقد تقدمت أمثلة لهذا وذلك .

أما النوع الثانى فلا أعرف أحداً أنكره أو توقف عنده ، إما لأنهم لم يشعروا به شعوراً قويا لمكانة النبر الثانوية إذا قيس بالكم ، وإما لأنهم شعروا به شعوراً قويا

ولكنهم لم يدركوه إدراكا محدداً ، لعدم وضوح مفهوم النبر عند القدماء وعند بعض المعاصرين .

وأما النوع الأول فقد أثار شيئا من الاهتمام ، وشيئا من الخلاف ، كما رأينا فيما سبق ، وذلك لأنهم عدّوه اختلافا كميا لارتباطه بما يسمى التشديد وما يسمى التخفيف ؛ لهذا كان من الضرورى أن نقف عند (التشديد) لنبين حقيقته .

* * *

لا يدل مصطلح (التشديد) على ظاهرة واحدة ، بل على ظاهرتين مختلفتين أشد الاختلاف ؛ فشتان ما بين المشدد المتحرك الذى نجده فى كلمات مثل : (يتعلم - تحسن - مبكر) ، والمشدد الساكن الذى يقع فى آخرها كالذى نجده فى (استعد - معتز - شاب) . فى الحالة الأولى يدل الحرف المضعف على صامتين متتاليين يليهما صائت (بغير فاصل بينهما) ، يقع أولهما فى نهاية مقطع ويقع الآخر فى بداية مقطع آخر ؛ فى كلمة (يتعلم) تقع اللام الأولى فى آخر المقطع (عَلْ) ، وتقع الثانية فى أول المقطع (لـ) . وفى كلمة (تحسُّن) تقع السين الأولى فى آخر المقطع (حَسْ) ، والثانية فى أول المقطع (سُنْ) . وفى كلمة (مبكِّرْ) تقع الكاف الأولى فى أول المقطع (بكْ) ، والثانية فى أول المقطع (كِرْ) ؛ وهكذا .

ويرى بعض العلماء أن الحرف المشدد فى هذه الحالة (وربما فى غيرها أيضا) هو صامت واحد طويل ، أى أنه يستغرق فى نطقه زمنا أطول مما يستغرقه مثيله غير المشدّد(٣٩) .

وسواء أخذنا بهذا الرأى أم ذاك فلا خلاف على أن الحرف المشدد المتحرك يختلف عن نظيره غير المشدد اختلافا جوهريا فونيميًا ، واستبدال المخفف بالمشدد إما أنه يفقد الكلمة معناها ، كما يحدث إذا خففنا التشديد فى الكلمات : (شدة - اتحاد - إن) ، وإما أنه يغير المعنى تغييراً جوهريًا ، كما يحدث عندما نحول كلمة (علاّمة) إلى علاَمة) ، و(نوّار) إلى (نَوَار) ، و(سَمَّى) إلى (سَمَا) .

أما تضعيف الحرف الساكن (ولا يكون إلا فى آخر الكلمة) فقد ذهب العلماء فى شأنه مذاهب شتى :

١ - فعند بعضهم أن هذا (الحرف) المشدد هو صامتان ؛ وقد رأى هذا الرأى بعض علماء التجويد[٤٠] ، وكذلك العروضيون الذين رفضوا الجمع بين التخفيف والتشديد ، لأنهم رأوا أن ذلك الجمع يؤدى إلى اختلاف الأضرب واختلاف النظم ؛ وقد أوضحت ذلك فيما تقدّم .

وذهب هذا المذهب أيضا بعض علماء الأصوات ؛ فالدكتور (تمام حسان) يذكر من أنواع المقاطع نوعا يتكون من : (صامت + صائت قصير + صامت + صامت) ، ويمثل عليه بالمقطع الأخير فى كلمة (استقل) ، ومن الواضح أنه يقصد تشديد الدال وتسكينها وإن وردت فى كتابه بغير ضبط[٤١] .

والدكتور (أحمد مختار عمر) يذكر نوعا آخر يتكون من : (صامت + صائت طويل + صامت + صامت) ، ويمثل عليه بكلمة (راد)[٤٢] ، ويقصد كذلك تشديد الدال وتسكينها وإن كتبت أيضا بغير ضبط .

ومثله (د . داود عبده) الذى مثل على هذا النوع من المقاطع بكلمة (جادّْ) ، وقد وردت عنده مضبوطة بالشدة والسكون[٤٣] .

٢ - وعند بعض العلماء أن هذا (الحرف) الساكن المشدد ليس صامتين ، بل صامتا واحدا لكنه مضعف الكمية[٤٤] ، أى أنه يستغرق فى نطقه ضعف ما يتسغرقه نظيره غير المشدد .

وكأن هذا هو ما رآه بعض علماء التجويد ؛ قال (ابن الجزرى) : « . . . الوقف بالتشديد ليس كالنطق بساكنين غيره ، وإن كان فيزنة الساكنين ، فإن اللسان ينبو بالحرف المشدد نبوة واحدة فيسهل النطق به لذلك . وذلك مشاهد حسّا . ولذلك ساغ الوقف على نحو (صواف) و(دواب) بالإسكان»[٤٥] .

٣ - ويبدو أن (د . إبراهيم أنيس) لم يكن يرى أن الحرف المشدّد الساكن صامتان ، ولذلك لم يذكر بين أنواع المقاطع ما يتكون من : (صامت + صائت طويل + صامت + صامت) ، فهذا النوع من المقاطع لا يكون إلا إذا كان آخره حرفًا مشددًا ساكنا ، وعددنا هذا الحرف صامتين [٤٦] .

وكذلك ذهب (أحمد حسانى) هذا المذهب متابعا (د . أنيس) [٤٧] .

أما (د . سعد مصلوح) فقد صرح بأن الصامت المشدد لا يختلف عن نظيره غير المشدد [٤٨] .

٤ - وقد تردد بعض العلماء فى أمر هذا الحرف ؛ فالدكتور (تمام حسان) - مع رأيه الذى ذكرته من قبل - يقول فى الكتاب نفسه فى معرض الحديث عن أوجه الوقف : إن الوقف قد يكون بالتشديد ، وينفى أن يكون هذا التشديد تضعيفًا ، وإنما هو أشبه بقلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه [٤٩] .

ود . عونى عبد الرءوف مع أنه يجعل تخفيف الروىّ المضعف الساكن ضرورة ، يقول فى الكتاب نفسه إن القافية إذا انتهت بساكنين وكان هذان الساكنان حرفا مضعفا فإن المقطع الذى ينتهى بهذا الحرف يعد طويلا لا شديد الطول [٥٠] .

* * *

والرأى الذى أميل إليه أن الفرق المهمّ بين هذين النوعين من المقاطع هو الفرق بين النبر لا فى الكم ، فالمقطع الذى يعد مشدد الآخر هو مقطع قوى النبر ، بخلاف المقطع الذى يعد مخفف الآخر ، ويصحب هذا التفاوت النبرى تفاوت كمى ، لكنه ليس فونيميا ؛ فليس فى حجم الفرق بين الفتحة والألف ، أو الضمة والواو ، على سبيل المثال ؛ يدل على ذلك ما يلى :

١ - اختلاف العروضيين واللغويين فى وصف التشديد الساكن ، واختلافهم فى القوافى المقيدة حين يجتمع فيها التخفيف والتضعيف ، وتردد بعضهم فى موقفه من هذا التشديد كما أوضحت فيما سبق ، فلو كان هذا الاختلاف فونيميا لما اختلفوا

فيه هذا الاختلاف ولرفضوه كما رفضوا الكمى الفونيمى فى المقاطع الأخيرة فى القصيدة الواحدة ؛ فلم يُعرف أن أحدا من العروضيين أجاز أن ينتهى بيت بمقطع طويل كالمقطع الأخير فى كلمة (سَحَرْ) أو (سَفَرْ) ، وأن ينتهى بيت آخر فى القصيدة نفسها بمقطع زائد الطول مثل (دارْ) أو (شعْرْ) .

٢ - المقطع الذى ينتهى بصامت (أى بحرف ساكن) غير مشدد إذا نطق منبورا يبدو مشابها للمقطع الذى ينتهى بحرف مما يعد مشدداً ، حتى ليصعب التمييز بينهما ؛ وقد سألت - مشافهة - عددا من المتخصصين فى اللغة العربية من الأساتذة والطلاب الذين ينتمون إلى بلاد عربية مختلفة عن معنى كلمة (ألم) بعد أن نطقتها منبورة المقطع الأخير ، فأجاب فريق منهم بأنها همزة الاستفهام مع حرف النفى (لم) ، وأجاب آخرون بأنها الفعل الماضى ساكن الآخر (ألّـ) ، وأجاب فريق ثالث بأنها تحتمل المعنيين ، والسياق هو الذى يحدد المعنى .

وسألت آخرين من الفئة نفسها - مشافهة أيضا - عن الفرق بين (ألم) و(ألمّ) بعد أن نطقت الكلمتين بنبر المقطع الأخير فى كل منهما ، فأجاب أكثرهم بعد تردد بأنه لا يجد فرقا ، وأضاف بعضهم بأن الفرق لا يظهر إلا إذا أدرجت كلتاهما فى سياق . وتلقيت الإجابة نفسها حين سألتهم عن الفرق بين (شابّ) و(شابْ) وبين (جادّ) و(جادْ) .

ثم سألت هؤلاء وهؤلاء شفويا كذلك - عن الفرق بين (ألمْ) بعد أن لفظتها كا تلفظ عادةً حين تكون اسما ، و(ألم) بعد أن لفظتها كما تلفظ عادة حين تكون فعلا ماضيا ساكن الآخر ، أو حين تكون همزة استفهام متبوعة بحرف النفى (لم) ، فوجدتهم يجيبون بغير تردد مدركين الفرق الصوتى والدلالى بين اللفظين .

ومعنى ذلك كله أن أهم ما يميز بين المقطع مخفف الآخر ونظيره مشدد الآخر هو النبر ، أما الفرق الكمى فيهو هنا أقل شأنا من النبر .

٣ - قد يكون الروى فى أحد أبيات القصيدة أو الأرجوزة المردوفة ساكنا مشددا ، وفى سائرها ساكنا بغير تشديد ، كقول (رؤبة) :

يهــدي هواديهم بتــمّــهـا التــامْ

بنـو نجــــوم نـوّرت وأعـــــلامْ

مــعــاقل للناس عند الإعــدامْ[٥١]

لكن هذا الاختلاف ليس بارزا كنظيره فى القصائد غير المردوفة (وقد أوردت شيئا منها فى الصفحات السابقة) ، ويبدو أنه لم يسترع انتباه القدماء ، فليس فى أمثلتهم شىء منه .

والسبب - فيما يبدو - أن المقاطع التى تنتهى بها هذه الأرجوزة وما شابهها ليست متفاوتة النبر ، ولهذا لا نشعر هنا باختلاف واضح كالذى نشعر به فى نظائرها التى أثارت هذا الاهتمام .

٤ - بعض الكلمات التى لا تشديد فيها مثل (دَمْ) تبدو لنا مضعّفة الآخر عند نطقها ساكنة ، وذلك لأنها تكون عادة منبورة إذا سبقها مقطع آخر (أو أكثر) كقولنا :

الـــــدم = ادْ / دَمْ
يـــــدمْ = ب / دَمْ
سال الدم = سَا / لَدْ / دَمْ

فنحن نتوهم أن هنا تضعيفا ، لأن النبر يؤدى إلى شئ من الإطالة ، (لكنها إطالة غير فونيمية) ؛ وبسبب هذه الإطالة يبدو المقطع (دمْ) شبيها بالمقطع الأخير فى كلمة مثل (ملمْ) أو (خضمْ) ، ويبدو هذا الشبه إذا قارنا بين المقطع الأخير فى قولنا : «لحمٌ ودَمْ» والمقطع الأخير فى قولنا : «مدحٌ وذمْ» على سبيل المثال ؛ وبسبب هذا التوهّم صارت الميم مضعفة تضعيفا حقيقيا فى العامية ، بل فى نطق كثير من الناس لهذه الكلمة فى سياق فصيح ، وذلك عند تحريك الميم ، فى مثل قولنا فى العامية المصرية (وفى عاميات عربية أخرى) : (دمَّى - دمُّه - دمّ الشهيد)[٥٢] .

وما يقال عن (دم) يقال عن (أبْ) و (أخْ) و (يدْ) وغيرها .

٥ – قد نسمع مقطعا انجليزيا منبورا ، فنظنه مضعفا مثل المقطع الأخير فى :

A dish

The miss

a shock

The book

وحين يُستعمل أحد هذه الألفاظ فى سياق عربى ينطق آخر مضعفا ، فى مثل قولنا : (الدش الكبير) و(المس الجديدة) و(الشك الجامد) و(البك الصغير)[٥٣] .

وهذه الألفاظ لا تضعيف فيها حين ينطقها الإنجليز ، لكن جاء التضعيف من اعتياد المتكلمين بالعربية أن يحسبوا مثل هذه المقاطع مشددة المقطع الآخر إذا وقع فى أواخر الكلام .

٦ – مما يدل على (ألوفينية) التشديد فى الحرف الساكن أن بعض أئمة القراد روى أن (عاصما) كان يقف على قوله تعالى : ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ (القمر : ٥٣) . بتشديد الراء . قال (الأهوازى) : ما يذكر من جميع القرآن إلا هذا الحرف فقط ، ويلزمه أن يقف على جميع ما أشبه ذلك إذا تحرك ما قبل آخر حرف من الكلمة ، إلا أن القراءة سنة ليست بالقياس[٥٤] .

ومن ذلك أن النحاة يجيزون تضعيف الحرف الأخير عند الوقف ، بشروط يلخصها قول (ابن مالك) :

. . . أوقفْ مُضْعفا ما ليس همزا أو عليلا إن قفا

فيقال (جعفرّ) بدلاً من (جعفر)[٥٥] .

وإذن فما عدّه بعض الدارسين اختلافا كميا هو على الأرجح اختلاف نبرى .

* * *

إن الاختلاف النبرى - إذن - لا يحدث تغييراً واضحًا ملموسا إذا وقع فى حشو البيت ، فلا نكاد نتبينه ؛ ويكون أشدّ بروزاً إذا وقع فى مقاطع القافية ، لكن العروضيين - وبخاصة قدماؤهم - لم يتوقفوا عنده إلا عندما حسبوه اختلافا كميا ناشئا عن الجمع بين التخفيف والتشديد ، فقبله بعضهم ورفضه آخرون على نحو ما بينته فيما تقدّم .

فكأنهم لم يقفوا عند الاختلاف النبرى إلا عندما بدا لهم اختلافا كميا ، وهو اختلاف حسبه بعضهم فونيميا ، لأن الحرف المشدد عند كثير منهم حرفان ، وهو تصور يرجع إلى سبب ذهنى نظرى أكثر مما يرجع إلى سبب سمعى ، فكأنهم هنا (نظروا) أكثر مما (سمعوا) ؛ فحين نظروا إلى كلمة مثل (دَمْ) ، وأخرى مثل (دْمّ) تصوروا الأولى مختومة بميم واحدة والثانية مختومة بميمين مدغمتين ، وإن كان الحرفان متشابيهين أو متقاربين من الناحية السمعية البحتة ؛ لأنهم نظروا إلى كلمة (دم) وعيونهم على الأصل الثلاثى المفترض (د م ى) ، وكذلك على أخوات للكلمة تنتمى إلى الأصل نفسه مثل : (دماء - دميان - دامى - دموى) ، وكل ذلك يوحى بأن الميم واحدة ؛ كما أنهم نظروا إلى كلمة (دم) وفى أذهانهم أصلها الثلاثى (ذ م م) ، وصورة الكلمة عند تحريك الآخر (ذ مَّ) ، وكذلك أخواتها مثل : (يذمُّ - دامٌّ - دميم - مذمَّة - مذموم) ، وكل ذلك يوحى بأن الميم المشددة الساكنة ميمان[٥٦] .

* * *

من كل ما سبق يتضح أن النبر ليس أساسيًا فى النظم الشعرى العربى ، لكنه عنصر من عناصر التنوع له أثر لا ينكر فى منطقة القافية ، ولا سيما عندما يختتم بعض الأبيات بصامت مشدد ، ويختتم بعضها الآخر بصامت غير مشدد . ويرى الباحث أن القدامى والمحدثين قد أحسوا بالتنوع النبرى المرتبط بما سموع التشديد والتخفيف ، لكن بعضهم تصوره اختلافا كميا ؛ وقد رفضه فريق منهم وقبله فريق ، لكن الجميع شعروا بأثر الاختلاف النبرى فى إيقاع الشعر عند وقوعه فى مقاطع القافية ، ولعلهم أحسّوا به كذلك عند وقوعه فى مواقع أخرى من الأبيات .

الهوامش

(١) انظر :

- د . علي يونس : النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥م - ص ٩ وما بعدها .

- د . علي يونس : نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣م - ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) هذا هو السائد فى أداء أكثر المعاصرين من المتكلمين بالعربية على اختلاف لهجاتهم ، ولعله كان سائدا كذلك فى أداء القدماء . ومن المعروف أن نظم النبر فى العربية تختلف باختلاف اللهجات ، لكنى وجدت - بعد معرفة واسعة بشتى اللهجات العربية - أن هذا الاختلاف محدود .

(٣) وكل ذلك فى الشعر الذى يلتزم النظام العروضى التقليدى .

(٤) د . أحمد كشك : القافية تاج الإيقاع الشعرى - دار غريب - القاهرة - ٢٠٠٤ م .

(٥) بعض العناصر الصوتية لا تعبر عنها الكتابة العربية الكثير ، ولهذا يصعب أن نحدد خصائص هذه العناصر فى العربةى كما كان ينطقها القدماء ، ولكن من المرجح أن اللغة العربية لم تتغير تغيرا جذريا على المستوى الصوتى . وثمة دلائل تشير إلى أسلوب النبر عند القدماء ، وسوف يورد البحث بعضا منها فى الصفحات التالية .

(٦) كشاجم : ديوان كشاجم - شرح : مجيد طراد - دار صادر - بيروت - ط ١ - ١٩٩٧م - ص ٢٥٠ .

(٧) جعلت مرجعى فى تحديد مواقع النبر أداء المصريين المعاصرين فى القاهرة وغيرها من المدن والمناطق المصرية . وهو - فى الغالب - مشابه للنبر فى سائر اللهجات العربية كما ذكرت من قبل . ومع ذلك فتطبيق نظام النبر فى لهجة عربية أخرى غير لهجة القاهرة لا يغير نتائج البحث تغييرا جوهريًا .

(٨) فى قرص حاسب آلى (CD) يتضمن برنامج (الشعر من مصادره الأصلية) الذى أنتجته شركة (عبد اللطيف للمعلومات AFI) قرئ بيت (المتنبى) التالى بنبر المقطع الذى يقع قبل المقطع الأخير ، وخلا المقطع الأخير من النبر :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي   وأنثنى وبياض الصبح يغري بي

(٩) معروف أن التصريع كالقافية ، إلا أنه يكون بين شطرين فى بيت واحد .

(١٠) عمر بن أبى ربيعة : ديوان عمر بن أبى ربيعة - تحقيق محيى الدين عبد الحميد - دار الأندلس - بيروت - ط٢ - ١٩٨٣م - ص ٤٣٠ .

(١١) بشار بن برد : ديوان بشار - جمعة : محمد بن الطاهر بن عاشور - المكتبة التونسية والشركة الوطنية - تونس والجزائر - ١٩٧٦ م - ص ١٨٧ .

(١٢) السابق - ص ١٨٨ .

(١٣) أبو نواس : ديوان أبى نواس – تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالى – دار الكتاب العربى – بيروت – بدون تاريخ – ص ٦٣٢ .

(١٤) أبو نواس – ص ٥٣٥ .

(١٥) يحاول الباحث أن يوضح معنى (التشديد) فى موضع قادم من هذا البحث .

(١٦) امرؤ القيس : ديوان امرئ القيس – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة – ط ٤ – ١٩٨٤ – ص ١٥٤ .

(١٧) طرفة : ديوان طرفة – شرح الأعلم الشنتمرى – تحقيق : درية الخطيب ولطفى الصقال – مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٩٧٥م – ص ١١٠ .

(١٨) الأعشى : ديوان الأعشى الكبير – تحقيق : د . محمد محمد حسين – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط ٧ – ١٩٨٣ م – ص ٦٩ .

(١٩) أبو النجم العجلى : ديوان أبى النجم العجلى – صنعه : علاء الدين أغا – النادى الأدبى – الرياض – ١٩٨١ م – ص ١٠٦ .

(٢٠) عمر بن أبى ربيعة : ديوان عمر بن أبى ربيعة – تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد – دار الأندلس – بيروت – ١٩٨٣ م – ص ٣٢٠ .

(٢١) أبو نواس – ص ٢٤٢ .

(٢٢) الرضى : ديوان الرضى – صححه : د . إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٩٤ م – ص ٢٤٠ .

(٢٣) أحمد شوقى : ديوان شوقى – توثيق : د . أحمد محمد الحوفى – دار نهضة مصر – القاهرة – بدون تاريخ – إيداع ١٩٨١م – ج٢ – ص ٢٩ .

(٢٤) حافظ إبراهيم : ديوان حافظ إبراهيم – تحقيق – أحمد أمين وأحمد الزنى وإبراهيم الأبيارى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – ١٩٨٠م – ج١ – ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٢٥) عباس محمود العقاد : أشجان الليل – دار العودة – بيروت – ١٩٨٣م – ص ٥٨ .

(٢٦) أبو القاسم الشابى : ديوان أبو القاسم – دار العودة – بيروت – ١٩٨٦ م – ص ٤١٢ .

(٢٧) نازك الملائكة : ديوان نازك الملائكة – دار العودة – بيروت – ١٩٨٦ م – ج٢ – ص ٤١٢ .

(٢٨) الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة) : كتاب القوافى – تحقيق : د . عزة حسن – مديرية إحياء التراث – دمشق – ١٩٧٠ م – ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٢٩) أبو يعلى التنوخى : كتاب القوافى – تحقيق : د . عونى عبد الرءوف – مكتبة الخانجى بمصر – القاهرة – ط ٢ – ١٩٧٨ م – ص ٨٤ .

(٣٠) السيد محمود شكرى الآلوسى : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر – شرحه : محمد بهجة الأثرى البغدادى – المكتبة العربية والمطبعة السلفية بالقاهرة – ١٣٤١ هـ – ص ٨٦ : ٨٨ .

(٣١) أبو الحسن العروضى : كتاب فى علم العروض - دار الغرب الإسلامى - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥م - ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ . وقد صححت بعض الأخطاء التى ربما كانت مطبعية أو نتيجة للسهو ، وأضفت بعض علامات الترقيم .

(٣٢) أبو يعلى التنوخى - السابق - ص٨٤ .

(٣٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمى القزاز : ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر فى الضرورة - تحقيق : د . محمد زغلول سلام ، ود . محمد مصطفى هدارة - منشأة المعارف - الإسكندرية - الإيداع بتاريخ ١٩٧٣ - ص ١٢٢ .

وقد جعل القزّاز من هذا القبيل تحويل (السرىّ) إلى (السرى) ، وتحويل (علىّ) إلى (على) ، وسمى هذا وذاك تخفيف الياء . والتخفيف هنا ليس كالتخفيف فى (هرْ) و(يقر) ، فقد تحولت الياء الصامتة أو شبه الصامتة هنا إلى ياء صائتة ، وهذا التحول ضرورى بلا مراء ، وإلا اختلف الروىّ فصار ياءً فى بعض الأبيات وراءً فى غيرها ، وهو - بلا شك - مرفوض فى الشعر العمودى .

(٣٤) ابن عصفور الإشبيلى : ضرائر الشعر - تحقيق : د . السيد إبراهيم محمد - دار الأندلس - بيروت - ط ٢ - ١٩٨٢م - ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣٥) د . سعد مصلوح : التناسب الزمنى بين الحركات القصيرة والطويلة ، دراسة صوتية معملية فى القوافى العربية - مجلة معهد اللغة العربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٩٨٤ م .

د . سعد مصلوح : دراسة السمع والكلام - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٠م - ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٣٦) السيد الآلوسى - نفسه .

(٣٧) د . عونى عبد الرءوف : القافية والأصوات اللغوية - مكتبة الخانجى بمصر - القاهرة - ١٩٧٧م - ص ١٥٥ .

(٣٨) د . طه حسين : المجموعة الكاملة لمؤلفات د . طه حسين - المجلد الثانى : حديث الأربعاء - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ط٢ - ١٩٧٤ م - ص ٧٧٩ .

(٣٩) ج . فندريس : اللغة - تعريف : عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٠ م - ص ٤٩ . د . عونى عبد الرءوف : السابق نفسه . وقد عارض هذا الرأى (د . داود عبده) : دراسات فى علم أصوات العربية - مؤسسة الصباح - الكويت - بدون تاريخ - ص ٢٥ وما بعدها .

(٤٠) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر - حقق نصوصه : د . محمد سالم محيسن - مكتبة القاهرة - القاهرة - بدون تاريخ - ج٢ - ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٤١) د . تمام حسّان : اللغة العربية ، معناها ومبناها - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - ١٩٧٩م - ص ١٧٣ .

(٤٢) د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى - عالم الكتب - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨١م - ص ١٧٣ .

(٤٢) د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوى - عالم الكتب - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨١م - ص ٢٥٦ .

(٤٣) داود عبده : السابق – ص ١٠٨ .

(٤٤) د . عونى عبد الرءوف – السابق – ص ١٥٥ .

(٤٥) ابن الجزرى : السابق – ج٢ – ص ٢٩٠ .

(٤٦) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ص ٦ – ص ١٦٣ .

(٤٧) أحمد حسان : مباحث فى اللسانيات – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزئر – ١٩٩٤ م – ص ٩٤، ٩٥ .

(٤٨) د . سعد مصلوح : دراسة السمع والكلام – ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٤٩) د . تمام حسان – السابق – ص ٢٧٢ .

(٥٠) د . عونى عبد الرءوف : السابق – ص ٠٦ .

(٥١) رؤبة بن العجاج : ديوان رؤبة بن العجاج – ضمن : مجموع أشعار العرب – صححه ورتبه : وليم بن الورد البروسى – مطبعة دروجولين – مكتبة روطرور يخرد – برالين – ص ١٣٩ .

(٥٢) يلاحظ أن بعض العاميات العربية تتخلص من التشديد فى بعض المواقع .

(٥٣) فى بعض اللهجات العربية تنطق الحروف الأخيرة من هذه الألفاظ وما شابهها مشددة فى بعض السياقات مخففة فى سياقات أخرى .

(٥٤) أبو جعفر أحمد بن على الأنصارى ، ابن الباذش : كتاب الإقناع فى القراءات السبع – تحقيق : د . عبد المجيد قطامش – مركز البحث العلمى وإحياء التراث بجامعة أم القرى – طبعة دار الفكر بدمشق – ط ١ – ١٤٠٣ هـ – ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٥٥) على سبيل المثال : الأشمونى : شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بدون تاريخ – ج ٢ – ص ٥١٤ .

د . محمد خليل نصر الله فراج : الوقف ووظائفه عند النحويين والقراء – حوليات الآداب والعلوم – جامعة الكويت – ٢٠٠٠ م – ٢٠٠١ م – ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٥٦) وقد أشار (د . سعد مصلوح) إلى شيء قريب من ذلك (التناسب الزمنى بين الحركات) .

* * *

المصادر والمراجع

١ - د . إبراهيم أنيس : الأصوات الغلوية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط ٦ - بدون تاريخ .

٢ - ابن الجزري : النشر في القراءات العشر - حقق نصوصه : د . محمد سالم محيسن - مكتبة القاهرة - القاهرة - بدون تاريخ - ج ٢ .

٣ - ابن عصفور الإشبيلي : ضرائر الشعر - تحقيق : د . السيد إبراهيم محمد - دار الأندلس - بيروت - ط ٢ - ١٩٨٢ م .

٤ - أبو الحسن العروضي : كتاب في علم العروض - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥ م .

٥ - أبو جعفر أحمد الأنصاري ، ابن الناذش : كتاب الإقناع في القراءات السبع - تحقيق : د . عبد الحميد قطامش - مركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى - طبعة دار الفكر بدمشق - ط ١ - ١٤٠٣ هـ .

٦ - أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمى القزاز : ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الرضورة - تحقيق : د . محمد زغلول سلام ود . محمد مصطفى هدارة - منشأة المعارف - الاسكندرية .

٧ - أبو القاسم الشابي : ديوان أبو القاسم - دار العودة - بيروت - ١٩٨٦ م .

٨ - أبو النجم العجلي : ديوان أبو النجم العجلي - صنعة : علاء الدين أغا - النادى الأدبي - الرياض - ١٩٨١ م .

٩ - أبو نواس : ديوان أبى نزاس : تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالى - دار الكتاب العربي - بيروت - بدون تاريخ .

١٠ - أبو يعلى التنوخي : كتاب القوافي - تحقيق : د . عوني عبد الرءوف - مكتبة الخانجي بمصر - القاهرة - ط ٢ - ١٩٧٨ م .

١١ - أحمد حساني : مباحث في اللسانيات - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ١٩٩٤ م - ص ٩٤ ، ٩٥ .

١٢ - أحمد شوقي : ديوان شوقي - توثيق : د . أحمد محمد الحوفي - دار نهضة مصر - القاهرة - بدون تاريخ - إيداع ١٩٨١ م - ج ٢ .

١٣ - د . أحمد كشك : القافية تاج الإيقاع الشعري - دار غريب - القاهرة - ٢٠٠٤م .

١٤ - د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي - عالم الكتب - القاهرة - ط ٢ - ١٩٨١ م .

١٥ - الأخفش (أبو الحسن سعيد بن مسعدة) : كتاب القوافي - تحقيق : د . عزة حسن - مديرية إحياء التراث - دمشق - ١٩٧٠ .

١٦ - الأشموني : شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون تاريخ - ج٢ .

١٧ - الأعشى : ديوان الأعشى الكبير - تحقيق : د . محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٧ - ١٩٨٣م .

١٨ - امرؤ القيس : ديوان امرئ القيس - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - ط ٤ - ١٩٨٤م .
١٩ - بشار بن برد : ديوان بشار - جمعة : محمد بن الطاهر بن عاشور - المكتبة التونسية والشركة الوطنية - تونس والجزائر - ١٩٧٦م .
٢٠ - د . تمام حسان : اللغة العربية ، معناها ومبناها - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - ١٩٧٩م .
٢١ - ج .فندريس : اللغة - تعريف : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٠م .
٢٢ - حافظ إبراهيم : ديوان حافظ إبراهيم - تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٠م .
٢٣ - د . سعد مصلوح : التناسب الزمني بين الحركات القصيرة والطويلة ، دراسة صوتية معملية في القوافي العربية - مجلة معهد اللغة العربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٩٨٤م .
٢٤ - د . سعد مصلوح : دراسة السمع والكلام - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٠م .
٢٥ - د . طه حسين : المجموعة الكاملة لمؤلفات د . طه حسين - المجلد الثاني : حديث الأربعاء - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط ٢ - ١٩٧٤م .
٢٦ - د . علي يونس : النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥م .
٢٧ - د . علي يونس : نظرة جديدة في موسيقي الشعر العربي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٣م .
٢٨ - د . عوني عبد الرءوف : القافية والأصوات اللغوية - مكتبة الخانجي بمصر - القاهرة - ١٩٧٧م .
٢٩ - د . محمد خليل نصر الله فراج : الوقف ووظائفه عند النحويين والقراء - حوليات الآداب والعلوم - جامعة الكويت - ٢٠٠٠م - ٢٠٠١م .
٣٠ - رؤبة بن العجاج : ديوان رؤبة بن العجاج - ضمن : مجموع أشعار العرب - صححه ورتبه : وليم ابن الورد البروسي - مطبعة دروجولين - مكتبة روطرور يخرد - برالين - ١٩٠٣م .
٣١ - السيد محمود شكرى الآلوسي : الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر - شرحه : محمد بهجة الأثرى البغدادى - المكتبة العربية ببغداد والمطبعة السلفية بالقاهرة - ١٣٤١هـ .
٣٢ - الشريف الرضي : ديوان الشريف الرضي - صححه : د . إحسان عبّاس - دار صادر - بيروت - ١٩٩٤م .
٣٣ - طرفة : ديوان طرفة - شرح الأعلم الشنتمرى - تحقيق : درية الخطيب ولطفى الصقال - مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٥م - ص ١١٠ .
٣٤ - عباس محمود العقاد : أشجان الليل - دار العودة - بيروت - ١٩٨٣م .
٣٥ - عمر بن أبى ربيعة : ديوان عمر بن أبى ربيعة - تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الأندلس - بيروت - ١٩٨٣م .
٣٦ - كشاجم : ديوان كشاجم - شرح : مجيد طراد - دار صادر - بيروت - ط ١ - ١٩٩٧م .
٣٧ - نازك الملائكة : ديوان نازك الملائكة - دار العودة - بيروت - ١٩٨٦م - ج٢ .

رفع الأستار عن دماء الحج والاعتمار

للعلامة أحمد بن محمد النشيلي الشافعي
(ت سنة ٩٣٨هـ)
ثم شرح العلامة عطية السلمي المكي
(ت سنة ٩٨٣هـ)
على أبيات في دماء الحج
لإسماعيل بن المقري
(٧٥٤ - ٨٣٧هـ) تحقيق د . أحمد بن صالح البراك

مقدمة التحقيق

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. وبعد

فإن أفضل ما تقضى فيه الأوقات ما كان في خدمة العلم والتفقه في الدين كما ورد عن النبي ﷺ: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

وأحق الأمور بالعناية والاهتمام قواعد الإسلام الخمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

هذا ولما كان الحج من أشق العبادات على الإطلاق فقد شاء الله تعالى الرحيم بعباده أن يكون في العمر مرة واحدة، ولكن للأسف فكثير من الناس لا يؤدون هذه الشعيرة على وجهها

المطلوب، فمن سلم من الشركيات التي تحبط العمل ربما وقع في المفسدات التي تفسد العمل والتي تختلف في أشكالها.

ومن هذا المنطلق تأتي أهمية هذا الكتاب، والذي اشتمل على منظومة، لإسماعيل بن المقري في دماء الحج، ثم يليها شرحان:

الأول: رفع الأستار عن دماء الحج والاعتمار، للعلامة أحمد ابن محمد النشيلي الشافعي ت سنة ٩٣٨هـ.

والثاني: للعلامة عطية السلمي المكي ت سنة ٩٨٣هـ.

وقد ظفرنا بطبعة قديمة لهذا الكتاب طبعت بمطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر. وهو يتضمن شرح النشيلي، وبهامشه شرح آخر للشيخ عطية السلمي؛ لذا فهو بمثابة كتابين في كتاب.

ولما كانت هذه الطبعة القديمة في حكم النادرة الآن رأينا أن نهتم بإعادة طبعه مع العناية به قدر الطاقة ليعم الانتفاع به؛ لا سيما وأنه يمس موضوعا هاما وخطيرا ألا وهو موضوع دماء الحج والاعتمار كما قلنا آنفا.

* * *

عملنا في الكتاب

- قدمنا له بمقدمة تبين أهميته والحامل على إعادة نشره.

- ترجمنا للناظم ولكلا الشارحين.

- استخلصنا المنظومة وأثبتناها بتمامها في صدر الكتاب ثم أتبعناها بالشرحين المذكورين على الترتيب السابق.

- راعينا تقسيم النص، ووضع علامات الترقيم الحديثة التي تساعد على فهم النص وتقريبه للقارئ العادي.

- علقنا على المواضع التي رأيناها تستدعي التعليق، وهي قليلة، وكذلك خرجنا الأحاديث التي وردت في الشرح وهي قليلة أيضا.

- ترجمنا للأعلام ترجمة مختصرة عندما يذكر لأول مرة.

- ثم وضعنا فهرسا للموضوعات في نهاية الكتاب.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجزي خيراً كل من أعان على نشره، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ترجمة الناظم[1]

اسمه وكنيته:

هو شرف الدين أبو محمد إسـماعيل بن أبي بكر بن عبد الله ابن علي بن عطية الحسيني اليماني الشافعي المعروف بابن المقري.

وكنيته فيما وقفنا عليه من ترجمته: أبو محمد. في حين كتب على المطبوع: لأبي الذبيح إسماعيل بن المقري!

وقد جـهدنا في البـحث عن هذه الكنية فلم نظفـر بها إلا في منظومة في الضوء اللامع[2] وفيها:

أبي الذبيح إسماعيل بن المقري

الشـاوري الشـغدري المقـري

منزلته:

علامة اليمن في عصره، فقـيه، أديب ، شاعر ناظم، مشارك في كثير من العلوم.

---

(١) مصـادر ترجمـته: البذر الـطالع، للشوكـاني(١/ ١٤٢)، الأعلام، للزركلي (١/ ٣١٠ - ٣١١)، معجم المـؤلفين، لكحالة(١/ ٣٦٠)، مصادر الفكر الإسلامي، للحبشي ص ٢٢٠ .

(٢) الضوء اللامع، للسخاوي(٦/ ١٣٤).

تلقى علومه على جمال الدين الريمي وغيره.

وقد ولاه الملك الأشرف التدريس بالمدرسة المجاهدية بتعز، والنظامية بزبيد.

قال الشوكاني: قيل إن اليمن لم ينجب مثله.

مولده:

ولد بأبيات حسين في اليمن سنة ٧٥٤هـ. ونشأ بها.

مصنفاته:

١- عنوان الشرف الوافي في الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافي، طبع مرارا.

٢- الإرشاد: إرشاد الغاوي إلى مسالك الحاوي، اختصر فيه الحاوي، للقزويني، مطبوع. عليه شروح كثيرة أشهرها شرح ابن حجر الهيتمي(فتح الجواد) طبع سنة ١٣٢٠هـ. في ١٥٠ صفحة.

٣- ديوان شعر، طبع.

٤- روض الطالب: مختصر الروضة للنووي. عليه شروح كثيرة أشهرها شرح الشيخ زكريا الأنصاري(أسنى المطالب) طبع بالقاهرة سنة ١٣١٣هـ. في أربعة مجلدات.

والأصل مخطوط بالجامع(١٢٢٨).

٥- القصيدة التائية في التذكير.

٦- إخلاص الناوي شرح إرشاد الغاوي، مخطوط بدار الكتب برقم(٢٣٥٢) فقه.

٧- منظومة في دماء الحج، عليها شرح مجهول. مخطوطة بجامع الغربية برقم(٢٢) مجاميع، وأخرى بمكتبة الأوقاف ببغداد. وهي كتابنا هذا.

٨- تمشية الجمل: التمشية على إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي، مخطوط بمكتبة العبيكان باليمن(١٧٥)، وأخرى بالجامع(١٣٠١)، وثالثة بالغربية(٤٨٥) فقه.

وفاته:

توفي سنة ٨٣٧هـ.

* * *

ترجمة الشارح

أحمد بن محمد النشيلي[1]

(ت سنة ٩٣٨هـ)

لقد جهدت في البحث عن ترجمته فلم أظفر إلا بما يلي:

قال في شذرات الذهب(٨/ ٢٢٨): شهاب الدين أحمد النشيلي المصري الشافعي الإمام العالم العلامة، توفي بمكة هذه السنة (يعني سنة ٩٣٨هـ).

وقال في الضوء اللامع(٢/ ٥٧): أحمد بن عمر بن محمد شهاب الدين النشيلي ثم القاهري الشافعي، أخو محمد دلال الكتب، ممن اشتغل وقرأ على الخيضري ونحوه، وعلى النشاوي وعبد الصمد الهرساني. والله أعلم.

* * *

(١) مصادر ترجمته: شذرات الذهب (٨/ ٢٢٨)، الضوء اللامع(٢/ ٥٧).

ترجمة الشارح الثاني

عطية السلمي[1]

(ت سنة ٩٨٣هـ)

اسمه:

هو زين الدين عطية بن علي بن حسن السلمي المكي.

مكانته:

فقيه مفسر. يعد عالم مكة وفقيهها في عصره.

مصنفاته:

١- تفسير القرآن العظيم، ثلاثة أجزاء.

٢- شرح الأبيات المذكورة هنا في كتابنا هذا.

وفاته:

توفي سنة ٩٨٣هـ.

* * *

---

(١) مصادر ترجمته: الأعلام، للزركلي(٤/ ٢٣٨)، معجم المؤلفين، لكحالة(٢/ ٣٨١).

نص المنظـومة

لإسماعيل بن القري (٧٥٤ - ٨٣٧هـ)

أربعــة دمــاء حــج تحصــر

فـالأول المــرتب المقــدر

تمـتع فــوت وحــج قــرنا

وتـرك رمـي والمــبيت بمــنى

وتركــه الميــقات والمــزدلفة

أو لم يــودع أو كمشــى أو خـلفـه

ناذره يصــوم إن دمــا فقــد

ثلاثة فيــه وســبعا في البــلد

والثاني ترتيــب وتعــديل ورد

في محصــر ووطء حــج إن فسد

إن لم يجــد قوّمـه ثم اشــترى

به طــعامًا طــعمة للفقــرا

ثم لعــجــز عدل ذاك صــوما

أعني به عــن كـل مــد يــوما

والثالث التخيير والتعديل في

صيد وأشجار بلا تكلف

إن شئت فاذبح أو فعدل مثل ما

عدلت في قيمة ما تقدما

وخيرن وقدرن في الرابع

فاذبحه أو جد بثلاث آصع

للشخص نصف أو فصم ثلاثا

تجتث ما اجتنيته اجتثاثا

في الحلق والقلم ولبس دهن

طيب وتقبيل ووطء ثني

أو بين تحليلي ذوي إحرام

هذه دماء الحج بالتمام

* * *

الشرح الأول
شرح الأبيات المذكورة

للعلامة أحمد بن محمد النشيلي الشافعي

(ت سنة ٩٣٨هـ)

مقدمة المؤلف

أحمد بن محمد النشيلي

الحمد لله الذي جبر بفضله انكسار قلوبنا، وستر بكرمه قبائح عيوبنا، ومن علينا بكثير من مزايا نعمه، وجعلنا من جيرانه وسكان حرمه، أحمده حمدًا يملأ أرجاء الوجود عبيرا، ويوجب لنا في دار القرار نعيما وملكا كبيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها عدة ليوم المعاد، وأتخذها جنة من كل مكروه في الدنيا ويوم التناد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل العباد، وقدوة الأتقياء والعباد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأمجاد، صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم المعاد.

(وبعد) فهذا توضيح لأبيات العلامة المحقق أبي الذبيح إسماعيل بن المقري رحمه الله تعالى في الدماء الواجبة على الحاج والمعتمر، يبين مجملها، ويقيد مطلقها، ويكشف مرادها، ويتمم مفادها.

جعله الله تعالى مقرونا بالقبول، وموجبا للفوز بنيل المأمول.

قال - ولعله بعد البسملة لفظًا أو خطًا -:

(أربعة) من الأقسام (دماء حج) وعمرة ولو عبر بنسك لشملهما (تحصر) لأنها إما على الترتيب أو على التخيير، وكل منهما إما مقدر أو معدل.

فالمرتب ما لا يجوز العدول عنه إلى غيره إلا عند العجز، والمخير ما يجوز العدول عنه إلى غيره مع القدرة عليه.

والمقدر ما قدر الشارع بدله بشيء محدود، والمعدول ما أمر فيه بالتقويم والعدول إلى غيره غالبا.

فالترتيب والتخيير لا يجتمعان، وكذلك التقدير والتعديل؛ فظهر بذلك الحصر في هذه الأربعة كما تقرر .

(فالأول) منها (المرتب المقدر).

وهو تسعة دماء أشار إلى أولها بقوله: (تمتع) أي دم تمتع، وهو واجب عل من أحرم بعمرة في أشهر الحج وفرغ منها ثم حج من عامه، ولم يكن من حاضري المسجد الحرام حين إحرامه بها، ولم يعد قبل الإحرام أو بعده وقبل التلبس بنسك إلى ميقات بلده أو إلى مثل مسافته وإن لم يكن ميقاتا، وكذا إلى ميقات أقرب منه كما صححه في أصل الروضة، وعلله بأنه أحرم من موضع ليس ساكنوه من حاضري المسجد الحرام.

وقضيته: أنه لو عاد إلى الميقات بل إلى مسافة القصر من الحرم على المرجح عنده لا دم عليه، وإن كان أقرب من ميقاته.

وحاضرو المسجد الحرام أهل الحرم ومن هو منه على دون مرحلتين على المرجح.

والمعتبر في الحاضر الاستيطان؛ فلو خرج مستوطن مكة إلى بعض الآفاق لحاجة ثم رجع وأحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم حج من عامه فلا دم عليه للتمتع.

أو ورد غريب مكة ثم نوى الاستيطان بعدما اعتمر وكذا قبله فليس بحاضر.

ولو استوطن غريب مكة فحاضر، أو مكي الشام فليس بحاضر

فائدتان:

(الأولى) قد يجب الدم على غير محرم كالدم اللازم للمستأجر بسبب تمتع الأجير وقرانه عنه بإذنه، وكالدم اللازم للولي بسبب تمتع الصبي وقرانه وإحصاره، وارتكاب المميز لسائر المحظورات.

(الثانية) الدم الواجب حيث أطلق فهو شاة.

فإن كان من الضأن فجذع ذو سنة، فإن أجذع قبلها كفى.

وإن كان من المعز فذو سنتين، أو سبع بدنة أو بقرة ملكه حيًا، وسن الأولى خمس، والثانية كالمعز.

والسبع يقوم مقام الشاة في سائر دماء الحج إلا في جزاء المثلي من صيد وشجر، بل لا تجزئ البدنة عن شاته؛ فلو نحر بدنة أو بقرة عن سبع شياه لزمته بأسباب مختلفة جاز .

ثانيهما: دم الفوات، وإليه أشار بقوله (فوت) حاذفا للعاطف . ويجب على من أحرم بحج أو قران ففاته الوقوف بعرفة إذا أحرم بالقضاء، ويمتنع تقديمه عليه، وإن كان واجبه الصوم صام الثلاثة في حجة القضاء .

ويجب على من فاته الوقوف أن يتحلل بعمل عمرة إن لم يقدم السعي، فإن قدمه بعد طواف القدوم لم يعده - خلافا لابن الرفعة[1] والبلقيني[2] - وعليه القضاء فوراً سواء فاته بعذر أو بغير عذر فلا يحسب ذلك عمرة .

---

(١) ابن الرفعة: هو نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي ت سنة ٧١٠هـ. فقيه له عدة مؤلفات منها: «كفاية النبيه في شرح التنبيه». انظر طبقات الشافعية (٥/ ١٧٧)، والأعلام (١/ ٢٢٢).

(٢) البلقيني: هو سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان الشافعي ت سنة ٨٠٥هـ. فقيه محدث، له عدة مؤلفات منها: التدريب، وتصحيح المنهاج. انظر طبقات الشافعية (٤/ ٣٦)، و شذرات الذهب (٧/ ٥١)، والأعلام (٥/ ٤٦).

(تنبيه) قال في المجموع: أعمال العمرة محصلة للتحللين، أما الأول فيحصل بواحد من الحلق أو الطواف يغني مع السعي إن لم يكن سعى لسقوط حكم الرمي.

قلت: وقضيته سقوط الترتيب بين الطواف والحلق، وتعبيرهم بعمل عمرة، واستدلالهم بقول عمر ﷺ (ثم احلق)[1] يأباه.

(فائدة) إذا فات القارنُ الحج بفوات الوقوف فالعمرة فائتة تبعًا له لكن يلزمه ثلاثة دماء: دم للفوات ودم للقران ودم في القضاء، وإن أفرد؛ لالتزام القران بالفوات وهو متبرع بالإفراد.

ثالثها: دم القران، وإليه أشار بقوله (وحج قرنا) بعمرة، والألف للإطلاق.

ويجب على من أحرم بهما معًا أو بعمرة ولو في غير أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج في أشهره قبل الشروع في طوافها ولم يكن من حاضري المسجد الحرام ولم يعد من مكة قبل الوقوف إلى ميقاته الذي أحرم منه.

والظاهر أنه يأتي فيه ما سبق في التمتع من الاكتفاء بميقات آخر وإن لم يساو مسافة ميقاته، ويمثل مسافته، وإن لم يكن ثم ميقات، وكذا بمرحلتين من الحرم على مقتضى تعليل الروضة السابق.

---

(١) لم نجده.

(فائدة) الآفاقي[1] إذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج ثم قرن من عامه فعليه دمان: دم للتمتع ودم للقران خلافا للسبكي[2] والإسنوي[3] وغيرهما.

ورابعها: دم ترك الرمي وإليه أشار بقوله: (وترك رمي) لثلاث حصيات فأكثر من حصى الجمار؛ سواء تركها من رمي يوم النحر أو أيام التشريق، وسواء المعذور بمرض أو حبس وغيره.

أما الحصاة ففيها مد، وفي الحصاتين مدان.

وصورة ذلك: أن يتركها أو يتركهما من رمى جمرة العقبة آخر أيام التشريق إن تأخر أو مما قبله إن تعجل.

قال ابن عجيل[4] وجماعة: هذا إن اختار الدم، فإن اختار

---

(١) الآفاقي: غير المكي من أهل الآفاق الأخرى.

(٢) السبكي: هو تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي الشافعي، شيخ الإسلام في عصره ت سنة ٧٥٦هـ. من مؤلفاته: الابتهاج في شرح المنهاج. انظر طبقات الشافعية (٦/ ١٤٦)، و الأعلام (٤/ ٣٠٢).

(٣) الإسنوي: هو جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الشافعي ت سنة ٧٧٢هـ. فقيه أصولي انتهت إليه رئاسة الشافعية. من مؤلفاته: المبهمات على الروضة، ونهاية السول.

انظر الدرر الكامنة (٢/ ٣٥٤)، والأعلام (٣/ ٣٤٤).

(٤) ابن عجيل: هو أحمد بن موسى بن علي اليمني الشافعي ت سنة =

الصوم فيوم، أو الإطعام فصاع للواحدة.

وتعقبه ابن الخياط[1] فقال: هذا في الحلق، أما الرمي فمد إن اختار الدم، وإن اختار الصوم فأربعة أيام، ولا إطعام كدم التمتع.

وتعقب ابن الخياط الشيخ عمر بن المفتي[2] في تعبيره بأن اختار وتبعه بعض أهل العصر إذ دم الرمي دم ترتيب وتقدير؛ فلا تخيير فيه.

وصوابه: فمد إن قدر عليه، وأربعة أيام إن عجز عنه.

ووجهه: أن في الثلاث الحصيات دما، فإن عجز فصيام عشرة أيام. ففي الحصاة الواحدة ثلثها، وهي بتكميل المنكسر أربعة، فيصوم ثلاثة أعشارها معجلا، وهو يومان بتكميل المنكسر، وسبعة أعشارها في بلده، وهو ثلاثة أيام بتكميل المنكسر.

وأخذ ذلك من فرع الروضة فيما إذا استأجر اثنان واحدا يحج

٦٨٤هـ. فقيه من صلحاء اليمن. انظر: طبقات الشافعية (٢/ ١٦٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٤٠). ولم نقف على شيء من مؤلفاته.

(١) ابن الخياط: هو شهاب الدين أبو بكر بن محمد اليماني الشافعي ت سنة ٨١١هـ. فقيه كبير، كان يقرر دروسه من الرافعي بلفظ الأصل. انظر طبقات الشافعية (٤/ ٩).

(٢) عمر بن المفتي: لم أتميزه.

عن أحدهما، ويعتمر عن الآخر، وأذنا له في التمتع، فأتى به: أن الدم عليهما، فإن عجزا صاما، وعلى كل واحد خمسة، وتفريقها بالنسبة السابقة ببعضها، فيكمل المنكسر، فسبعة أعشارها أربعة بتكميل المنكسر وثلاثة أعشارها يومان بتكميل المنكسر انتهى.

قلت: وفيه نظر بل لك أن تقول بدل الحصاة ثلاثة أيام وثلث، وثلاثة أعشارها يوم ولا كسر، وسبعة أعشارها ثلاثة أيام بتكميل المنكسر؛ فيكون الصوم أربعة فقط كما قاله ابن الخياط.

هكذا ظهر لي، ثم رأيت في كلام شيخنا السمهودي[1] رحمه الله تعالى نحوا من ذلك.

وخامسها: دم ترك مبيت ليالي التشريق بمنى، وإليه أشار بقوله: (والمبيت بمنى) أي تركه بلا عذر.

ويجب على كل حاج غير معذور ترك حضور معظم كل ليلة من ليالي منى إن نفر النفر الأول أو الثالث إن نفر النفر الثاني.

أما أصحاب الأعذار فلهم ترك المبيت ولا دم عليهم كالرعاء إن خرجوا نهاراً، وأهل سقاية العباس مطلقا، وكذا لو حدثت سقاية فلها حكم سقاية العباس، وكمن ضاع له مال، أو أبق له

---

(١) السمهودي: هو نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني الشافعي ت سنة ٩١١هـ. فقيه مؤرخ، من مؤلفاته: «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى».

انظر: الضوء اللامع (٥/ ٢٤٥)، والأعلام (٤/ ٣٠٧).

عبـد، أو خاف على نفـسه أو ماله، أو كـان به مرض يشق مـعه المبيت، أو له مريض يحتاج إلى تعهده.

أما الليلة الواحدة ففيها مد، وفي الليلتين مدان.

قلت: وينبغي أن يأتي عند العـجز عن المد نحو مـا تقدم في الحصاة فتنبه له فإني لم أره لأحد.

فـإن قلت: فمـا حكم الليلتيـن والحصـاتين عند العجـز عن المدين.

قلت: قياس مـا تقدم أن يقال بدل المدين سـتة أيام وثلثا يوم يعجل ثلاثة أعـشارها، وهي يومان ولا كسـر فيهمـا، ويصوم في بلده سبعة أعشارها وهو خمسة أيام بتكميل المنكسر.

سادسـها: دم مجاوزة الميقـات، وإليه أشار بقوله: (وتركـه الميقات) أي مجاوزته.

ويجب على من جاوز مـيقاته مـريداً للنسك ثم أحرم بعـمرة مطلقا أو يحج في سنته ولم يعد قبل الإحرام ولا بعده قبل التلبس بنسك إلى ميقاته أو إلى ميقات مثل مسافته أو أبعد، وعلى حرمي أحرم بالعـمرة من الحرام ولم يخرج إلـى أدنى الحل قبل التلبس بنسك.

وشمل قولي: (من جـاوز) العالم والعامد وضـدهما ولو كان

كافرا وإن اختلفوا في الآثم.

وقولي: (ميقات) المواقيت الخمسة، ومسكن من مسكنه بين مكة والميقات، وموضع من عن له الإحرام بعد مجاوزة الميقات غير مريد لنسك، ودويرة أهل من نذر الإحرام منها، كما قاله في المهذب، وأقره في شرحه. ومحل إحرام من أحرم فوق الميقات ثم أفسد وأراد القضاء والميقات الشرعي في قضاء من جاوزه ولو غير مريد للنسك ثم أفسد.

ومثل مسافته إن سلك غير طريق الأداء.

وقولي (مطلقا) أي سواء كانت العمرة في سنته أو في سنة أخرى، وسواء أحرم بها قبل دخول مكة أو بعده، ولو بعد الخروج على ميقات، أي دون مسافة الأولى؛ خلافا للشريف العثماني[1]، والمراد المجاوزة لصوب مكة إن لم تكن ميقاته، وإلا فلصوب منى وعرفات، وظاهر أن حذو ما ذكر مثله.

(فرعان)

أحدهما: لو نوى الولي أن يحرم عن الصبي فجاوز به

---

(١) الشريف العثماني: هو محمد بن أحمد بن يحيى الديباجي العمراني الشافعي ت سنة ٥٢٧هـ.

فقيه شافعي. انظر: طبقات الشافعية (٢/ ٢٩٦)، وطبقات الشافعية الكبرى (٧/ ٣٣٧).

الميقات ثم أحرم عنه بعده فهل تجب الفدية في مال الولي أو لا تجب على واحد منهما وجهان نقلهما القمولى بلا ترجيح.

الثاني: لو مر بالميقات فأحرم بالعمرة ثم بعد مجاوزته أحرم بالحج أو عكس على القديم هل يلزمه دم أم لا؟ وجهان.

قال السبكي: ينبغي أن يقال إن كان مريدا لهما على وجه القران ابتداء ترجيح الوجوب، وإن لم يكن مريدا وإنما عنّ له بعد المجاوزة الإدخال فالوجه القطع بعدم الوجوب انتهى.

قلت: والظاهر أنه لا دم عليه في الحالين؛ إذ المحذور مجاوزة الميقات غير محرم، وهذا إنما جاوزه محرما، والله أعلم.

سابعها: دم ترك المبيت بمزدلفة، وإليه أشار بقوله (والمزدلفة) أي ترك المبيت بها على الوجه الآتي بيانه.

ويجب على محرم بحج غير معذور لم يحضر بالمزدلفة لحظة من النصف الثاني ليلة النحر بعد الوقوف.

أما المعذور فله تركه ولا دم عليه، كمن اشتغل بالوقوف عن المبيت، ومن اشتغل بطواف الإفاضة وفاته المبيت، كما قاله القفال وصاحب التقريب، وفيه احتمال للإمام متجه لعدم الضرورة، نعم ينجه ما قاله القفال فيمن تخاف الحيض، وأعذار مبيت منى أعذار هنا.

ثامنهـا: الدم الواجب بسبب ترك طواف الوداع، وإليـه أشار بقـوله (أو لـم يـودع) ويجب على غيـر حائض ونفسـاء، وكذا المتحيرة على ما اعتمده البلقيني تبعًا للروياني.

والخائف من ظالم أو فـوت رفقة أو غريم وهو معسر ونحو ذلك على ما قـاله الطبري[1]؛ سافـر من مكة أو من منى وهو من غيـر أهلها ولم يطف للوداع، أو طاف ومكث بعـده لغيـر عذر، والعذر، كشغل سفر وصلاة أقيـمت إلى مسافة القصر على ما في الشرحين والروضة، ومطلقا على ما في المجموع.

وتوسط السـبكي فقـال: إن سافر إلى منزله فـلا فـرق، وإن سافـر إلى ما دون مـسافـة القصـر على قـصد الرجـوع ولم يكن منزله فلا وداع.

وحـمل الشيخ زكـريا[2] كلام المـجمـوع على ذلك، والحق

(١) الطبري: هو محب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالله الطبري المكي الشافـعي ت سنة ٦٩٤هـ. صنف كتـابًا كبيراً في الأحكام في ست مجلدات. انظر طبقات الشافعية (٢/ ١٦٢).

(٢) الشيخ زكريا: هو أبو يحـيى زكريا بن محمد الأنصـاري الشافعي ت ٩٢٦هـ. فقـيه قاض مفـسر حافظ مكثـر من التأليف، اشتهـر بشيخ الإسـلام، له مؤلفـات كثـيرة مشـهورة ومطبـوعـة أشهـرها «منهج الطلاب». انظر: الأعلام (٣/ ٤٦).

بمنزله محلا يقيم فيه، وإنما يتقـرر ببلوغه مسافة القصر، فإن عاد قبلها وطاف سقط عنه الدم، وهو ظاهر على اعتبار مسافة القصر، أما من لا يعتبرها وكـان سفره دونها فببلوغ المقصـد - كما بحثه السيد السمهودي - أو باليأس كما قاله الشيخ زكريا.

ونازع الأذرعـي[1] الطبري فيما قـاله، واقتصر على الحائض والنفساء، وفرق بأن منعهما عزيمة بخلاف غيرهما.

واعلم أن الأكثرين لم يقيدوا المكث للعذر باليسير، لكن قال الزركشي تبعًا للأذرعي: ينزل كلام المطلقين عليه.

(فرع) طواف الوداع لا يدخل تحت غيره حتى لو أخر طواف الإفاضة وفعـله بعد أيام منى و أراد السفر عقيـبه لـم يكف، ذكره الرافعى في أثناء تعليله، وأسقطه في الروضة.

وهل هو من المناسك أو ليس منهـا، رجح الشيخـان الثاني، والمتأخرون الأول، وأطالوا في ترجيحه نقلا وبحثا.

تاسـعهـا: إذا نذر المشي وأوجبناه فـركب لعذر وعليه دم في الأظهر، وإليه أشـار بقوله **(أو كمشي أخلفه، ناذره)** قال الإمـام الزركشي: وهذا الدم شاة على الأصح وقيل بدنة.

---

(١) الأذرعي: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حمدان بن أحمد ت سنة ٧٨٣هـ. فقـيه شافعي له عـدة مؤلفات في الفقـه. انظر الأعلام (١/ ١١٩).

وحكى الماوردي[1] ثالثا أنها فدية كدم التمتع إن قدر، وإلا صام عدة أيام. وعلى ذلك مشى الناظم.

قلت: ويصلح أن يكون مبينا للأول والله أعلم.

أما لو نذر الحج راكبا فقال في الروضة: إن قلنا المشي أفضل أو سوينا بينهما فإن شاء مشى وإن شاء ركب. وإن قلنا: الركوب أفضل - وهو الراجح - لزمه الوفاء، فإن مشى فعليه دم.

وقال البغوي[2]: عندي لا دم عليه؛ لأنه عدل إلى أشق الأمرين، فإن نذر أن يحج حافيا فلبس نعلين فلا شيء عليه.

ثم بين حكم العادم للدم في هذه الأمور التسعة بقوله: (**يصوم**) وجوبا فوراً عشرة أيام (**إن دما فقد**) في الحرم حسا أو شرعا؛ بأن كان ماله غائبا، أو لم يجد الدم، أو وجده مع من لا يبيعه، أو يبيعه بأكثر من ثمن المثل، أو كان محتاجا إليه أو إلى

---

(١) الماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت سنة ٤٥٠هـ. من أعلام الفقهاء الشافعية، وكان أقضى القضاة في زمانه. له مؤلفات كثيرة منها: «أدب الدنيا والدين»، والحاوي في الفقه. انظر طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٠٣)، والأعلام (٤/ ٣٢٧).

(٢) البغوي: هو محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي فقيه محدث مفسر ت سنة ٥١٠هـ وقيل سنة ٥١٦هـ. له مؤلفات مشهورة منها: التهذيب في الفقه، وتفسيره المشهور. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩)، والأعلام (٢/ ٢٥٩).

ثمنه ولو لمؤن سفره، وكذا لو وجد الثمن وعدم الهدي في الحال وعلم أنه يجده قبل فراغ الصوم على الأصح في المجموع، وكذا إن كان يرجوه، لكن هل يستحب له التأخير؟ قولان كالتيمم.

(ثلاثة فيه) أي في الحج حيث أمكن وتعلق بحج فيحرم به ثم يصوم، فلو قدمه لم يجزه بخلاف الدم بعد فراغ العمرة، وينوي به صوم التمتع إن تمتع، والقران إن قرن كما في المجموع، وكذا في الجميع على قياسه، ويبيت النية، ويستحب أن يحرم قبل السادس ليكون يوم عرفة مفطراً.

وهل يجب تقديم الإحرام على السابع أو يستحب؟ المشهور الاستحباب كما قاله الشيخان[1]؛ لأن الصوم قبل الإحرام لا يجب فلا تجب وسيلته، وقيل يجب أن يحرم ليلة السابع ليصومه هو

---

(١) الشيخان: هما الرافعي والنووي.

انظر: الفوائد المكية للكردي ص ٤١، والخزائن السنية للأندونيسي ص ٢٨.

أ- الرافعي: ستأتي ترجمته ص ٤٣.

ب- النووي: هو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف المتوفى سنة ٦٧٦هـ. من أشهر علماء الشافعية، وغالب مؤلفاته مما وضعت له الشهرة والقبول.

انظر الأعلام (٨/ ١٤٩).

والثامن والتاسع، فإن شرع في صوم الثلاثة فوجد الهدي لم يلزمه لكن يستحب، ولو أحرم بالحج ولا هدي ثم وجده قبل الشروع في الصوم وجب الهدي.

(تتمة) يخرج وقت صوم الثلاثة بغروب شمس يوم عرفة على الجديد. فإن قيل: في المجموع لا يجوز تأخير الثلاثة ولا شيء منها عن يوم عرفة، نص عليه الشافعي والأصحاب للآية.

قلنا: الوجوب إنما يتحقق فيمن أحرم بزمن يسعها قبل يوم النحر، فإن وسع بعضها أو لم يسع شيئا منها كمن أحرم يوم عرفة فلا يقال: واجبه صومها قبل يوم النحر، فإن أمكن تحصيل شيء منها قبل يوم النحر وجب، وصومها أو بقيتها وقت الإمكان، وهو بعد أيام التشريق.

وكذلك قال البارزي[1]: إن دم المبيتين والرمي صومه بعد أيام التشريق.

وسيأتي في كلام البلقيني وقتها بالنسبة لطواف الوداع.

(فرع) قال الشيخان: لو مات المتمتع قبل فراغ الحج لم يسقط عنه الدم في الأظهر، ويخرج من تركته، أو بعد فراغه

---

(١) البارزي: هو شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحيم ت سنة ٧٣٨هـ. من أكابر الفقهاء الشافعية، له بضع وتسعون كتابًا.

انظر: الأعلام (٨/ ٧٣).

فقطعا، أو قبل التمكن من الصوم سقط عنه الدم في الأظهر، أو بعده ولو في سفره فكصوم رمضان على المذهب، ولا يكون السفر عذرا فيه بخلاف رمضان على الراجح في الروضة، وخالف في ذلك الإمامَ، وتبعه ابن الرفعة.

فعلى الجديد[1]: يطعم عنه من تركته لكل يوم مد، فإن لم يتمكن من العشرة فالقسط، ولا يتعين صرفه إلى فقراء الحرم في الأظهر انتهى.

قلت: والظاهر جريان ذلك في بقية الدماء الملحقة بدم التمتع، وأما بقية الدماء فلا يخفى قياس حكمها والله أعلم.

(وسبعة) بحذف التاء لحذف المعدود (في البلد) ويستحب تعجيلها عقب وصوله وتتابعها، كما يستحب تتابع الثلاثة إن اتسع الوقت.

والمراد بالبلد محل الاستيطان؛ سواء الموضع الذي خرج منه أو غيره، فإن استوطن مكة صام بها.

(تنبيه) لو رجع إلى وطنه وقد بقي عليه طواف الإفاضة لم يجز صومها، ولو فاتته الثلاثة في الحج فالأظهر أنه يفرق بينها

---

(١) فعلى الجديد: يعني الجديد في فقه الشافعي رحمه الله بعد ذهابه إلى مصر حماها الله وبلاد المسلمين.

وبين السبعة بأربعة أيام ومدة أماكن السير إلى أهله على العادة الغالبة.

وسئل البلقيني عن المكي اذا وجب عليه صوم العشرة لمجاوزة الميقات أو لترك طواف الوداع أو غير ذلك مما يتصور في حقه كيف يصومها؟ وهل يسقط عنه التفريق أو يجب؟ وإذا أوجبناه فما قدره؟ وعن الآفاقي[1] اذا وجب عليه الصوم لترك طواف الوداع أو غيره مما لا يمكن فيه وقوع الثلاثة في الحج فهل توصف بالأداء أم لا؟ فإن وصفت فإلى متى؟ وبماذا يفرق إذا صامها في وطنه؟ وعما إذا كان الصوم في العمرة لمجاوزة الميقات مثلا متى يصوم الثلاثة؟ ومتى توصف بالأداء؟ وهل يتوقف صومها على الإحرام بالحج؟ وإذا لم يتوقف فكيف يفرق بينها وبين السبعة؟

فأجاب: بأن مجاوزة المكي إذا كانت في الحج صام فيه، ويلزمه التفريق، وصوم السبعة إذا رجع إلى مكة.

وبأن المكي التارك لطواف الوداع يصوم الثلاثة بعد فراق مكة ووصوله لمحل يتقرر عليه فيه وجوب الدم، ويصوم السبعة متى أراد، ويفرق بين الصومين بيوم.

---

(١) الآفاقي: غير المكي.

وبأن الآفاقي التارك لطواف الوداع وغيره مما لا يمكن فيه وقوع الثلاثة في الحج توصف ثلاثته بالأداء إذا فعلت على نظير ما قدمناه في المكي تارك طواف الوداع، وحكم غيره كذلك إلا ما تقدم في تقرير الدم، فإذا جاء وطنه ولم يصمها فرق بين الثلاثة والسبعة بقدر مدة السير إلى وطنه.

وأما ما يتعلق بالعمرة فيصوم الثلاثة إن شاء في العمرة أو عقب التحلل منها، وإن شاء بعد التحلل منها.

وتوصف بالأداء إن صامها في العمرة قبل التحلل.

ولا يتوقف صومها على الإحرام بالحج.

ويفرق بينها وبين السبعة بيوم إن كان مكيا، وبمدة السير إلى أهله إن كان آفاقيا انتهى.

وهو ظاهر إلا في تفريق المكي بيوم في طواف الوداع إذ فيه مدة سيره كالآفاقي بخلاف ترك المبيت أو الرمي نبه عليه بعضهم.

(تتمة) تكرار المتمتع العمرة في أشهر الحج لا يتكرر به الدم كما قاله بعض المشايخ المتأخرين خلافا للريمي[1] رحمه الله تعالى.

---

(١) الريمي: هو جمال الدين محمد بن عبد الله الحثيثي ت سنة ٧٩٢هـ.
من كبار الشافعية باليمن، له مؤلفات منها: «التفقيه في شرح التنبيه»
انظر: الأعلام (٦/ ٢٣٦).

ثم شرع في القسم الثاني فقال: (والثاني ترتيب وتعديل) وقد سبق معناهما ويجب في أمرين:

أحدهما الإحصار، وإليه أشار بقوله: (ورد) أي إيجابه (في محصر) أي عليه وهو محرم منعه عدو أو حبس من سلطان ونحوه ظلما، أو بدين لا يتمكن من أدائه وليس له بينة تشهد بإعساره، أو زوج في غير عدته أو سيد جاز لهما المنع، أو أصل في تطوع عن الإتيان بركن من أركان نسكه، ولم يتيقن انكشاف العدو في مدة يمكن إدراك الحج فيها إن كان حاجا، أو في ثلاثة أيام إن كان معتمرا، أو حدث له عذر كمرض وإضلال طريق ونفاد نفقته، وكان شرط التحلل به عند ابتداء الإحرام بالهدي؛

فإذا قصد التحلل تحلل بالذبح ثم الحلق بنية التحلل بهما إن كان حرا واجدًا للدم، وبالحلق بنيته إن لم يجد دما ولا طعاما لإعساره أو غيره، أو كان فيه رق ولو مُدبّرا وأم ولد ومبعضا ليس بينه وبين سيده مهايأة، أو بينهما وأحرم في نوبة السيد.

أما إذا أحرم في نوبته ووسعت النسك فكالحر ذكره الدارمي[1] وحكاه في البحر عن الأصحاب وتوقف فيه.

---

(١) الدارمي: هو أبو الفرج محمد بن عبد الواحد البغدادي ت سنة ٤٤٩هـ. من العلماء بفقه الشافعية والحساب، له «جامع الجوامع ومودع البدائع» مطول مبسوط. وانظر: الأعلام (٦/ ٢٥٤).

ومعلقـا عتقه بصفـة، ولا ذبح عليهمـا كالرقيق بل واجبـهما الصوم كما يأتي.

وخـرج بقولنا: (في غـير عـدته) مـا إذا كانت في عـدته فله حبسها، وليس لها أن تتحلل فلا دم.

وبقولنا: (جـاز لهمـا المنع) ما إذا لم يجـز، وذلك في صور منها:

ما لو أخبر طبيبان عادلان أنها إن لم تحج هذا العام عضبت[1] فلا منع.

ومنها: مـا لو نكحت بعد التحلل من الفـائت فلا منع له من الإحرام بالقضاء ولا تحلل منه.

ومنها: ما لو أذن السيد لعبده في نسك ثم رجع بعد الإحرام.

وبقيت صور تركناها خوف الإطالة.

وبقولنا: بالهدي ما لو شرطه بلا هدي أو أطلق فلا دم.

والأمر الثاني: الجماع المفسد وإليه أشار بقوله: (ووطء حج إن فسـد) به الحج والعمـرة كالحج، ولو عـبر بنسك بدل حج لشملهما.

---

(١) العضب: القطع والرجوع والإزمان. . القاموس ص ١٤٨.

ويجب هذا الدم على ذكر مميز جامع ولو بحائل عامدًا عالما بالتحريم مختارًا لم يسبق منه جماع مفسد قبل التحلل من عمرة مستقلة أو قبل التحلل الأول من الحج.

والقارن قبل التحلل تتبع عمرته حجه صحة وفسادا؛ فما يفسد الحج يفسدها.

وإن كان بعد أعمال العمرة وهذا الدم بدنة فإن عجز فبقرة فإن عجز فسبع شياه.

ثم أشار إلى ما يجب عند العجز عن الشاه في هذا الدم، وعند العجز عن الدم فيما قبله وهو دم الإحصار بقوله: (إن لم يجد) أي الدم في الأول، والسبع من الغنم في الثاني (قومه) أي الواجب وهو الشاة في الأول والبدنة في الثاني بالنقد الغالب بسعر مكة حال الوجوب كما قاله السبكي والإسنوي وابن النقيب[1]، أو في غالب أحوالها كما نقله ابن الرفعة عن نص المختصر وعن القاضيين أبي الطيب[2]

---

(١) ابن النقيب: هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم ت سنة ٧٤٥هـ. من قضاة الشافعية. له مؤلفات. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٤٤)، والأعلام (٦/ ٥٥).

(٢) أبو الطيب: هو طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ت سنة ٤٥٠هـ. قاض من أعيان الشافعية، من مؤلفاته «شرح مختصر المزني» في أحد عشر جزءًا. انظر: الأعلام (٣/ ٢٢٢).

والحسين[1]، وليس في الشرحين والروضة.

(ثم اشترى به) أي بقيمته (طعاما) يجزئ في الفطرة فإن قدر على بعضه أخرجه وصام عما عجز عنه، ويكون الطعام (طعمة للفقرا) أو للمساكين أو لهما الكائنين في الحرم.

(ثم لعجز) عن الإطعام (عدل ذاك صوما، أعني به عن كل مد يوما) فإن انكسر مد صام عنه يوما (و) القسم (الثالث التخيير والتعديل) أي دمهما.

وهو في أمرين أشار إلى أولهما بقوله (في صيد) ويجب على محرم عند رمي أو إصابة مميز لم يتحلل أو حلال في الحرم أو في الحل والصيد في الحرم أو هما في الحل ومر البسهم في الحرم وكذا الكلب إن تعين الحرم طريقا أتلف أو أزمن أو تلف تحت يده أو بما في يده من حيوان حائل هو أو أحد أصوله بري وحشي وإن تأنس مأكول لا لصياله على ما جاز الدفع عنه أو تخليصه من فم سبع أو نحوه أو مداواته.

فخرج بالمميز غيره من صبي ومجنون وإن كان يشكل على قاعدة ضمان المتلفات.

---

(١) الحسين : هو القاضي أبو علي الحسين بن محمد المروروذي ت سنة ٤٦٢هـ. من كبار فقهاء الشافعية، له تعليقه في الفقه.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٣٥٦)، والأعلام (٢/ ٢٥٤).

ودخل المكره وإن كان يرجع على المكره والناسي والمخطئ والجاهل.

وخرج بالحائل الحامل فتقابل بمثلها من النعم حاملا ويقوم المثل ويتصدق بقيمته طعاما.

واعلم أن المثل يضمن بمثله من النعم، وجزؤه بجزئه، والمريض والمعيب بمثله، وذكر كأنثى، والمماثلة بحكم عدلين حيث لا حكم للسلف، وما حكموا له بمثل يتبع، ومن ذلك الحمام - وهو كل ما عب وهدر - ففيه شاة، وفيما كان أكبر أو أصغر من الطيور القيمة، والنعامة ففيها بدنة، وفي بقر الوحش وحماره بقرة، وفي الظبي تيس، وفي الظبية عنز، وفي الغزال معز صغير، وفي الذكر جدي، وفي كل من الأنثى والأرنب عناق، وفي اليربوع والوبر جفرة.

ثم أشار إلى ثاني الأمرين بقوله عطفا على صيد: (وأشجار).

وهذا الدم واجب على من قلع أو قطع شجرة رطبة حرمية غير مؤذية تنبت بنفسها، وكذا كل ما أنبته الآدميون على الصحيح.

أما المقلوعة من الحل إذا أنبتها في الحرم فلا شيء على قالعها.

ولو قطع غصنًا لطيفا فأخلف في العام فلا ضمان، وإن لم يخلف فعليه ضمان النقصان كعضو الحيوان، وإن أخلف بعد

العام لم يسقط الضمان.

وورق الشجر لا يضمن وإن لم يخلف، وإن جفت ضمنها، هذا إن أخذها باللقط، فإن صغرت جدا فالقيمة، والشاة شاة أضحية.

وأما البقرة ففي الاستقصاء: يجزئ فيها تبيع، ذكره ووجهه في المهمات فقال: إنه يؤخذ من كلام الرافعي[1] في موضع آخر، وإن كان إطلاقه في الدماء يقتضي خلافه.

وقال الأذرعي: ما ذكره صاحب الاستقصاء لم أره لغيره، والمتبادر من كلامهم غيره، واعتبار الأنوثة.

وقال الزركشي[2]: تكون البقرة في سن الأضحية، واستغرب ما في الاستقصاء، وقال: لا وجه له.

وقال ابن العماد[3]: الصواب ما اقتضاه كلام الرافعي في الدماء.

---

(١) الرافعي: هو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ت سنة ٦٢٣هـ. من كبار فقهاء الشافعية. له مؤلفات منها: «فتح العزيز في شرح الوجيز». انظر: الأعلام (٤/ ٥٥).

(٢) الزركشي: هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر ت سنة ٧٩٤هـ. فقيه شافعي له مؤلفات عديدة منها: (الإجابة» و (البحر المحيط). انظر: الأعلام (٦/ ٦٠).

(٣) ابن العماد: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الأقفهسي =

وما عدا الشجر من نبات الحرم الرطب فما كان من شأنه أن يستنبت جاز أخذه، وإن نبت بنفسه، وإلا فلا يجوز أخذه وإن استنبت، فمن أخذه ضمنه بالقيمة إن لم يخلف، فإن أخلف من غير نقصان فلا، وإن أخلف ناقصا فعليه أرش النقص.

وأما الحشيش وهو اليابس من النبات فلا شيء في قطعه، فلو قلعه ضمنه.

وقال الماوردي: إن جف ومات جاز قلعه وأخذه.

وقال السبكي: فيحمل الأول على ما إذا جف ولم يمت، وهو كذلك.

ويجوز تسريح البهائم في حشيش الحرم وأخذه لعلفها ولا يجوز أخذه للبيع كما في المجموع.

قال ابن العماد: ويؤخذ منه أنه لا يجوز أخذ السواك للبيع، وإن جاز أخذه للاستياك؛ فإن كثيرا من الناس يبيعونه في الحرم.

ويحل الإذخر، وما يتداوى به كالسنا، أو يتغذى به كالرجلة والبقلة، وكذا ما يحتاج إليه للتسقيف ونحوه كما قاله الإمام الغزالي[1].

= سنة ٨٠٨هـ. فقيه شافعي كثير الاطلاع. من أشهر مؤلفاته: «المعفوات». انظر: الأعلام (١/ ١٨٤).

(١) الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ت سنة ٥٠٥هـ. =

وقوله (**بلا تكلف**) تتميم للبيت. ولا يخفى مناسبته للتخيير المبين بقوله: (**إن شئت فاذبح**) ما وجب (**أو فعدل مثل ما، عدلت في قيمة ما تقدما**) أي فأخرج عدل الدم أي بقيمته طعاما بسعر مكة، أو صم عن كل مد يوما وكمل المكسر:

ثم أشار إلى القسم الرابع وهو دم تخيير وتقدير بقوله: (**وخيرن وقدرن في الرابع**) ثم بين معنى التخيير والتقدير بقوله: (**فاذبحه**) أي الواجب من الحيوان (**أو جد بثلاث آصع**) من طعام جنسه جنس الفطرة لستة من المساكين أو الفقراء أو منهما.

وحذف التاء من ثلاث للضرورة.

(**للشخص**) الواحد من الستة (**نصف**) من صاع وهو أي النصف مدان (**أو فصم ثلاثا**) أي من الأيام.

وحذف التاء لحذف المعدود.

(**تجتث**) أي تقطع (**ما اجتنيته**) أي أتيت به من الجناية في النسك (**اجتثاثا**).

ودم هذا القسم يجب في ثمانية أشياء أشار إلى أولها بقوله: (**في الحلق**) أي في إزالة الشعر بأي طريق كان.

= من كبار الشافعية، مشهور بحجة الإسلام. له مؤلفات عديدة. انظر: الأعلام (٧/ ٢٢).

ويجب هذا الدم على محرم مميز لم يتحلل أزال من نفسه أو أزيل منه باختياره، ولو مع السكوت، ثلاث شعرات فصاعدا من الرأس أو غيره أو بعض كل منها ولاء في مكان واحد، وعلى من أزال من محرم حي بغير اختياره ذلك كذلك.

نعم يستثنى ما إذا طال شعر حاجبيه أو رأسه فغطى عينيه فقطع المغطي، أو نبت شعر داخل جفنه فتأذى به فلا دم في ذلك.

فخرج بمميز غيره من صبي ومجنون ومغمى عليه فلا فدية على واحد منهم في إزالة شعر ولا ظفر كما في المجموع، وإن استشكله الأذرعي، بخلاف العاقل الناسي أو الجاهل.

قال الأذرعي: والسكران العاصي كالصاحي، ومثله الآثم بمزيل عقله.

ثم قال: وهل المكره على حلق نفسه كالمختار؟ فيه احتمال، والأقرب أنه كالإتلافات.

ومحل إيجاب الفدية في الشعر والظفر ما لم يكن تابعًا، فلو قطع عضوا عليه شعر أو ظفر، أو كشط جلد رأسه فلا فدية، ولو افتدى كان أفضل، نص عليه الشافعي رحمه الله تعالى.

أما إذا أزال شعرة فقط أو ظفرا فقط أو بعضا منه ففيه مد من طعام، وفي الشعرتين أو الظفرين أو بعض كل منهما مدان، وتقدم في الرمي أن مد الحلق والقلم على التخيير، وبعض الشعرة

ككلها، وكذا الظفر.

ولو أخذ شعرة واحدة أو ظفرا واحدا في دفعات فإن تقطع الزمان فالأمداد، وإن تواصل فكالواحدة، ولو أزال ثلاث شعرات أو ثلاثة أظفار في ثلاثة أزمان فالأصح أن الفدية لا تكمل بل تجب ثلاثة أمداد، ولو أضعف قوى الشعر كأن شقها نصفين فمقتضى تعبيرهم بالإزالة عدم وجوب شيء.

(تنبيه) شمل قولي: ولم يتحلل ما لو حلق المحرم رأسه أي في وقته ثم أزال شيئا من شعر البدن، وهو ظاهر كلام الأصحاب.

وقال البلقيني: يحل حلق شعر البدن بعد حلق الركن أو سقوطه لمن لا شعر له في رأسه، وعلى هذا للحج ثلاث تحللات، ولم يتعرضوا لذلك، وقياسه جواز التقليم اذ هو يشبهه، وفيه نظر انتهى.

ثم أشار إلى ثانيها بقوله: (والقلم) والكلام فيه كالحلق بالمعنى السابق؛ ففي إزالة جميع الأظفار دم، وفي ثلاثة ولاء في مكان واحد دم، وفي واحد أو بعضه مد، وفي اثنين أو بعض كل منهما مدان على ما تقرر في الحلق، ولو انكسر بعض ظفر وتأذى به جاز قطع المنكسر منه أو قلمه ولا فدية كشعر داخل الجفن.

ثم أشار إلى ثالثها بقوله: (ولبس) ودمه واجب على محرم مميز عامد عالم بالتحريم مختار ذكر لم يتحلل ستر شيئا من رأسه ولو من البياض الذي وراء الأذن بما يعد ساترا ولو شفافا أو لبس محيطا بالحاء المهملة ولو ببعض بدنه ككيس اللحية واجدًا غيره أو لا وأمكن الاتزار به، وأنثى لم تتحلل سترت شيئًا من وجهها بساتر يلاقيه إلا قدرًا لا يمكن استيعاب الرأس إلا به، ولو أمة، على ما في المجموع، أو لبست قفازًا، أو خنثى ستر رأسه ووجهه معًا أو مرتبا.

فعلم بذلك عدم تعدد الفدية فيما اذا ستر رأسه بقبعة ثم بعمامة ثم بطيلسان في أزمنة أو نزع العمامة أي مع بقاء القبعة ونحوه ثم لبسها وهو الذي أفتى به السبكي ما دام الرأس مستورًا لأن المحرم الستر والمستور لا يستر بخلاف البدن فإن الفدية فيه متعلقة باللبس فيقال للابس لبس، وكلام الطبري يقتضي أن البدن كالرأس، وتبعه على ذلك الإسنوي والأذرعي.

وقال الدميري[1] عقب كلام الطبري المسبوق بكلام السبكي: والمعتمد الفرق، والمتجه ما قال الطبري.

---

(١) الدميري: هو كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى ت سنة ٨٠٨هـ. من فقهاء الشافعية، من أشهر كتبه: «حياة الحيوان»، و«النجم الوهاج في شرح المنهاج». انظر: الأعلام (١١٨/٧).

وحاول ابن العماد تعدد الفديه في البدن والرأس، ووجهه بما لا يظهر.

ودخل فيما يعد ساترا: ما لا يستر به عادة كطين وحناء ومرهم كل منهما ثخين.

ويستثنى من المخيط: الهميان[1] سواء احتاجه أم لا، والمنطقة[2] والمصحف والسيف، وكذا كل سلاح، ويلبس النعل والقبقاب[3] وكذا الخاتم.

وقيد بعضهم القبقاب بأن لا يكون عريض السير، فإن كان بحيث يستر جميع الأصابع حرم.

وله عقد الإزار، وأن يشد عليه خيطًا، وأن يجعل فيه الحجزة[4]، ويدخل فيه التكة، وله أن يدخل يده في كم قميص منفصل عنه ورجله في ساق الخف لإقراره، وليس له عقد الرداء، ولا ربطه بطرف الآخر بخيط ونحوه، ولا خله بخلال[5]، ولو

---

(١) الهميان: كيس النفقة يشدّ في الوسط. القاموس ص ١٦٠٠.

(٢) المنطقة: ما يشد به الوسط. القاموس ص ١١٩٥.

(٣) القبقاب: النعل من خشب. القاموس ص ١٥٦.

(٤) الحجزة، هي موضع التكة من السراويل. والتكة: الحبل الذي يشد به السروال. القاموس ص ٦٥٢.

(٥) خلّه بخلال: ثقبه بعود الخلال كما يفعل بالدبوس. وانظر القاموس ص ١٢٨٥.

اتخذ له شرجا وعرى حرم إن شد.

(تنبيه) تكرر الفدية بتكرر اللبس والستر مع اختلاف الزمان والمكان. وقضيته: أن من ستر رأسه لضرورة واحتاج لكشفه عند مسحه في الوضوء وعند السجود ثم أعاد الستر تكرر عليه الفدية لتعدد المكان والزمان .

قال السيد السمهودي: وما أظن السلف مع عدم خلو زمانهم عن مثل هذه الصورة يوجبون ذلك، ولم أر من نبه عليه، والمشقة تجلب التيسير.

ثم أشار إلى رابعها حاذفا للعاطف بقوله: **(دهن)** بفتح الدال أي دهن شيء من شعر رأسه أو لحيته ولو محلوقين بدهن ما، وإنما تجب على محرم ولو امرأة أو خنثى مميز لم يتحلل عامد عالم بالتحريم، وبأن ما ادهن به دهن مختار؛ فخرج الأقرع فله دهن رأسه، وكذا الأصلع في محل الصلع، وللأمرد دهن ذقنه، ولا فدية عليهم.

وقيد الأذرعي والزركشي مسألة الأمرد بما إذا لم يكن في أول نبات لحيته وإلا فينبغي التحريم.

(تنبيه) ألحق الطبري بشعر الرأس واللحية جميع شعور الوجه بحثا، وتبعه الأذرعي والزركشي.

وقال الإسنوي: إنه القياس.

وقال ابن النقيب: إنه ظاهر فيما اتصل باللحية دون غيره انتهى.

ثم أشار على خامسها وهو الطيب بقوله خاذفا للعاطف: (طيب) ودمه واجب على محرم مميز لم يتحلل استعمل طيبا ولو أخشم[1] عامدًا عالما بالتحريم ويكونه طيبًا يعلق لا بوجوب الفدية مختارًا في ملبوسه ولو نعله وفراشه أو ظاهر بدنه على الوجه المعتاد، أو استعمله في باطنه ولو باستعاط أو احتقان، أو ما فيه طيب ظاهر الرائحة أو الطعم في مأكول لا اللون فقط.

(تنبيه) ما ذكر هو في غير الرياحين، أما هي فاستعمالها بملاقاتها للأنف والطيب كالمسك والعنبر والعود والصندل والكافور والورد والياسمين والزعفران والآس، وهو الفسلة، والخيري بكسر الخاء، واللينوفر والبنفسج، وليس منه السنبل على ما قاله الشيخان، وخالفهما الطبري.

ومنه الكاذي ولو يابسًا، والفاغية[2]، ومنه ماء الورد ودهن الورد ونحوه، والمراد الدهن الذي غلي فيه الورد لا دهن تروح

---

(١) أخشم: الأخشم الذي لا يكاد يشم شيئًا. القاموس ص ١٤٢٤.

(٢) كل ما ذكر سابقًا أنواع من الطيب.

فيه سمسمه ونحوه مثلا خلافا للشيخ أبي محمد .

ولو خفيت رائحة الثوب المطيب فإن كان بحيث لو أصابه الماء ظهرت رائحته حرم استعماله ووجبت الفدية وإلا فلا.

ثم أشار إلى سادسها وهو مقدمات الجماع بقوله: (وتقبيل) أي ونحوه، ودمه واجب على محرم ذكر مميز باشر بشهوة عامداً عالما بالتحريم أنزل أو لم ينزل ولو بين التحللين ولم يجامع بعد ذلك أو استمنى فأنزل.

أما لو جامع بعد ذلك اندرجت فدية المقدمة في فدية الجماع طال الزمان بينهما أو قصر كما اقتضاه كلام المجموع فيما إذا كان واجب الجماع بدنة.

والظاهر أن ما واجبه شاة كذلك كالجماع بين التحللين.

وينبغي تقييد الاندراج مع طول الزمان بما إذا كانت تلك المقدمة معدودة من مقدمات ذلك الجماع عرفا، وبه يلوح قوله: (المقدمة) بلام العهد.

وهل الفدية في ذلك على كل من الزوجين مثلا أو تختص بالزوج كالبدنة في الجماع؟ لا نقل فيه، والظاهر أنه مثله.

ثم أشار إلى سابعها وهو الوطء بعد الوطء المفسد وقبل

---

(١) أبو محمد الجويني: هو عبد الله بن يوسف ت سنة ٤٣٨هـ. من كبار أئمة الشافعية، وهو والد إمام الحرمين الجويني. له مؤلفات كثيرة. انظر: الأعلام (١٤٦/٤).

التحلل بقوله: (ووطء ثني) أي أتى به بعد الوطء المفسد سواء كان ثانيا أو ثالثا أو أكثر.

وتتعدد الفدية بتكرار الجماع وإن كان على التوالي المعتاد مع اتحاد المكان وعدم سبق التكفير على الصحيح.

وعبارة المجموع: ولو وطئ مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة أو أكثر ففيه هذه الأقوال، الأظهر: يجب بالأول بدنة، ولكل مرة بعده شاة، ودمه واجب على محرم ذكر مميز جامع ولو بحائل عامدا مختاراً عالما بالتحريم في الحج قبل التحلل الأول أو في العمرة قبل فراغها بعد جماع مفسد منفصل وكذا متصل إن قضى وطره في الأول، أما إذا لم يقض وطره في الأول بل كان ينزع ويعود والأفعال متواصلة وقضى وطره آخره فالجميع جماع واحد.قال الإمام: بلا خلاف، وأقره في المجموع.

ثم أشار إلى ثامنها وهو الوطء بين التحللين في الحج بقوله: (أو بين تحليلي ذوى إحرام) ودمه واجب على محرم بحج ذكر مميز جامع ولو بحائل عامدا مختارا عالما بالتحريم بين التحللين فخرج ما قبل التحللين، وقد تقدم حكمه، وما بعدهما فلا تحريم ولا فدية وإن بقي عليه رمي الجمار والمبيت بمنى، نعم يستحب أن لا يطأ حتى يرمي أيام التشريق،كما قاله،ونقله ابن الرفعة عن الجمهور.

وقال المحب الطبري: لا معنى لهذا إذ يشكل عليه حديثان أحدهما: «أيام منى أيام أكل وشرب وبعال»[1].

الثاني بعثه ﷺ أم سلمة رضي الله عنها لتطوف قبل الفجر[2]، وكان يومها، فأحب رسول الله ﷺ أن توافيه ليواقعها، وعليه بوب سعيد بن منصور في سننه: باب الرجل يزور البيت ثم يواقع أهله قبل أن يرجع إلى منى، وذكره. ويؤيده استحباب التطيب بين التحللين لفعل النبي ﷺ[3].

(فائدة) لو تكرر منه الجماع بين التحللين: قال البلقيني رحمه الله تعالى: لم يذكروه، والظاهر الاتحاد انتهى.

قال بعض المتأخرين: والظاهر أن حكمه حكم تكرره بعد الإفساد، وقد تقدم.

---

(١) رواه الدارقطني (٢/ ٢١٢) عن عبد الله بن حذافة رضي الله عنه، (٤/ ٢٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطحاوي (٢/ ٢٤٤) عن سعد، وابن أبي شيبة (١٥٢٦٥)، وابن راهويه (١/ ٢٦٦) (١/ ٢٦٦)، وعبد بن حميد (١٥٦٢) عن عمر بن خلدة الأنصاري عن أمه.

(٢) رواه البيهقي (٥/ ١٣٣)، والطحاوي (٢/ ٢٢٠) عن عائشة رضي الله عنها، وابن أبي شيبة (١٣٧٥٦)، والطحاوي (٢/ ٢١٨، ٢١٩) عن عروة.

وانظر التلخيص الحبير (٢/ ٢٥٧).

(٣) رواه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١١٨٩).

وإطلاق الجلال[1] شامل لما يكون في مكانين ومع تخلل الزمان القاطع للتوالي، وأدنى مراتبه أن يكون كمقدمات الجماع، وفيه التفصيل المذكور في كلام الأصحاب.

ثم ختم الأبيات بقوله: (**هذي دماء الحج**) والعمرة (بالتمام) لم يبق دم منها واجب على الراجح من المذهب.

ونختم هذا التوضيح بفوائد تتعلق بالدماء.

الأولى: المراد بالعالم الذي جعل علمه شرطا في وجوب فدية الجماع ومقدماته وغيرهما من علم المسألة حقيقة، أو لم يعلمها ولكنه نزل منزلة العالم بها؛ بأن كان غير معذور لكونه لم ينشأ ببادية بعيدة، ولم يكن قريب عهد بالإسلام، وكون المسألة من الفروع الظاهر التي لا يخفى مثلها غالبا دون الفروع النادرة والمسائل الدقيقة.

قلت: ولك أن تقول: العامي البعيد الدار الذي لا يعرف من الإحرام إلا اسمه يخفى عليه وعلى أمثاله وهم الأكثرون هذا غالبا والله أعلم.

---

(١) الجلال: لعله: جلال الدين أبو بكر محمد بن عمران النصيبي ت سنة ٩١٦هـ. قاض من فقهاء الشافعية. له «الإبهاج» في الفقه جعله تعليقًا على «المنهاج» في أربع مجلدات. انظر: الأعلام (٦/ ٣١٥).

الثانية: يجب على الولي إحضار الصبي المواقف؛ فإن ترك مبيت مزدلفة أو منى أو غير ذلك وجب الدم في مال الولي. ويجب على الولي منعه من جميع المحرمات، فإن فعل محرما فإن كان غير مميز فلا فدية عليه ولا على وليه، وإن كان مميزا فإن تطيب أو لبس ناسيا فلا فدية عليه قطعا وإن تعمد ذلك بنى على القولين في عمد الصبي؛ إن قلنا عمد الصبي عمد وجبت وهو الأصح، وإن قلنا خطأ فلا.

ولو حلق أو قلم أو قتل صيدا وجبت الفدية، وحيث وجبت ففي مال الولي، وهي كالواجبة عليه بفعل نفسه، فإن اقتضت صوما أو غيره فعله.

ولو طيب الولي الصبي أو ألبسه أو حلقه فالفدية في مال الولي، وإن كان ذلك لحاجة الطفل على الأصح. ولو طيبه أجنبي فالفدية في مال الأجنبي.

والمجنون كالصبي فيما سبق، والسفيه يكفر بالصوم.

وأما العبد إذا ارتكب محظوراً أو فاته الحج ففرضه الصوم، وللسيد منعه في حال الرق، وإن كان إحرامه بإذنه لأنه لم يأذن في التزامه.

قال في المهمات: ومحل منعه إذا كان أمة أو عبدا يضعف عن الخدمة أو يناله ضرر وإلا فلا منع كما نبه عليه الإمام الرافعي

في كتاب الأيمان.

ثم قال: وعلى هذا لا يمنعه من صوم التطوع وصلاته في هذه الحالة في غير زمان الخدمة انتهى باختصار.

قال الأذرعي: والأمة غير المستباحة كالعبد. ولو قرن أو تمتع أو أحصر فإن كان بغير إذن السيد فكدم المحظورات، وإن بإذنه ففرضه الصوم، وليس للسيد منعه، ولو ذبح السيد عن عبده أو أطعم عنه في حياته لم يجز على الراجح، أو بعد موته جاز قولا واحدا، فلو عتق قبل صومه ووجد هديا لزمه على الأظهر، فإن عتق بعد الشروع في الصوم فقياس ما تقدم في عدم الهدي عدم اللزوم، ولم أره منقولا.

الثالثة: ما كان إتلافا محضا كالصيد ففيه الفدية مع الجهل والنسيان، وما كان استمتاعا أو ترفها كالطيب واللبس فلا فدية فيه مع الجهل والنسيان، وما كان فيه شائبة من الجانبين كالجماع والحلق والقلم فخلاف، والأصح في الجماع أنه كالطيب، وفي الحلق والقلم أنه كالصيد.

الرابعة: مكان جواز الذبح جميع الحرم إلا دم الإحصار فيجوز حيث أحصر، والأولى بعثه إلى الحرم، ومكان الأفضلية المروة للمعتمر، ومنى للحاج ولو متمتعًا أو قارنا، والأفضل أن يكون قبل الحلق، ويأتي بالصوم في أي مكان شاء من حل أو

حرم، لكن في الحرم أولى.

وأما زمان الذبح فبعد جريان سببه إلا دم الفوات فيذبحه في حجة القضاء، ويجب صرف ذلك إلى فقراء الحرم ومساكينه القاطنين أو الغرباء، والقاطن أولى إلا أن يكون الغريب أحوج.

ويجب الدفع لثلاثة فأكثر، فإن دفع لاثنين مع قدرته على ثالث ضمن أقل ما يقع عليه الاسم، وقيل الثلث.

والطعام كالدم فيختص به فقراء الحرم ومساكينه إلا ما تقدم في الإطعام عن التمتع إذا مات، وإذا فرق الطعام فهل يتعين لكل مسكين مد كالكفارات أم لا ؟ وجهان: الأصح في المجموع لا يتعين بل تجوز الزيادة على مد والنقص عنه.

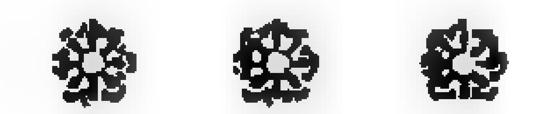
وقال السبكي: لو كانت الأمداد ثلاثة لم يجز دفعها لأقل من ثلاثة مساكين، وإن كان مدين دفعهما إلى مسكينين ويجوز لثلاثة فأكثر، فإن كان مداً فواحد فأكثر انتهى.

والظاهر أنه في غير دم الحلق وما ألحق به إذ الواجب فيه ثلاثة آصع لستة مساكين كما تقدم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وليكن ذلك آخر هذا التوضيح المبارك، والله تعالى أسأل أن ينفعني به والمسلمين، ويجعله سبباً للنجاة من أهوال يوم الدين، والدخول في خاصة عباد الله المقربين، الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يحفظ علينا ما به

علينا منّ من دين الإسلام، وأن يدخلنا في شفاعة نبينا محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى السلام، والحمد لله على ما منح وعلم وبصر في أحكام دينه وفهم، وعلى كل حال من الأحوال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

تم الكتاب بعون الله تعالى



الشرح الثاني
شرح الأبيات المذكورة

للعلامة الشيخ عطية السلمي المكي

(ت سنة ٩٨٣هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الشيخ عطية السلمي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

(وبعد) فهذه تعليقة على دماء الحج للشيخ العارف بالله تعالى الشيخ العلامة إسماعيل المقري في دماء الحج.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

أربعة دماء حج تحصر
فالأول المرتب المقدر

تمتع فوت وحج قرنا
وترك رمي والمبيت بمنى

وتركه الميقات والمزدلفة
أو لم يودع أو كمشى أو خلفه

ناذره يصوم إن دما فقد
ثلاثة فيه وسبعا في البلد

- هذا هو الدم الأول: من الأربعة وهو دم الترتيب والتقدير. ونعني بالترتيب أن الشرع جعله مرتبا على مرتبتين فلا يجوز

النزول إلى المرتبة الثانية وهي الصوم إلا بعد العجز عن المرتبة الأولى وهي الذبح. وهو يجب في تسعة أحوال:

(الأول): التمتع وهو مختص بآفاقي مسكنه على مرحلتين من الحرم وأحرم بعمرة في أشهر الحج وفرغ منها ثم حج من عامه ولم يعد لإحرام حجه إلى مرحلتين من الحرم، فلا دم على مستوطن مكة، ومن وطنه دون مرحلتين من الحرم، ولا على آفاقي أحرم بالعمرة في غير أشهر الحج، أو في وقته ولم يحج من عامه أو حج وعاد لإحرام الحج إلى مرحلتين من مكة، فلو كرر العمرة في أشهر الحج وحج فدم.

(الثاني): الفوات فمن فاته وقوف عرفة لزمه دم يذبحه في حجة القضاء.

(الثالث): القران وهذا الدم أيضا يختص بمن وجب عليه دم التمتع لكن لا يشترط إيقاع عمرته في أشهر الحج ولا الحج من عامه حتى لو أحرم بعمرة في رمضان وأدخل عليها الحج شول لزمه الدم، وكذا لو لم يحج من عامه بأن فاته الوقوف فعليه دم القران الفائت؛ فتحصل أن له شرطين: أن يكون آفاقيًا، وأن لا يعود من مكة إلى ميقات أو إلى مرحلتين من مكة.

(الرابع): ترك جميع الرمي أو ثلاث حصيات، وأما الحصاة الواحدة ففيها مد طعام إن أيسر به؛ وإلا فعليه صيام ثلاثة أيام وثلث، فيصوم ثلاثة أعشارها مقدما، وذلك يوم فقط، ثم يفطر

بقدر طريق وطنه وأربع أيام النحر والتشريق، ثم يصوم السبعة الأعشار ويكمل المنكسر، وذلك ثلاثة أيام؛ فيحصل أربعة أيام.

وفي الحصاتين سبعة إلا ثلثا يقدم ثلاثة أعشارها، وذلك يومان، ويصوم في وطنه كما تقدم خمسة أيام يكمل المنكسر وجملة ذلك سبعة.

(الخامس): ترك المبيت بمنى كل ليالي التشريق، وفي الليلة الواحدة ما في الحصاة الواحدة، وفي الليلتين ما في الحصاتين. والمعتبر في المبيت هنا معظم الليل أي أكثر من نصفه.

(السادس): ترك الميقات، فمن أراد النسك وجاوز الميقات بغير إحرام بالحج في تلك السنة أو بعمرة مطلقا لزمه دم إن لم يعد إلى الميقات قبل أن يتلبس بنسك لا بعده ولو طواف القدوم.

(السابع): ترك مبيت مزدلفة، وذلك واجب على من لم يكن بها لحظة من نصف ليلة النحر الثاني، ولا عبرة بكونه بها قبله، ولا يشترط معظم الليل.

ودم مبيت مزدلفة ومبيت منى يسقط عن أهل العذر، فمن أبق عبده أو ند بعيره أو أشرف مريضه أو كان لا متعهد له جاز له ترك المبيت، ولا دم عليه.

(الثامن): ترك طواف الوداع وهذا الدم واجب على من أراد الخروج إلى مرحلتين من مكة، أو أراد مسكنه ولو دون ذلك،

وعلى حاج نفر من منى بلا وداع، ولا وداع على حائض ونفساء، وإن طهرتا قبل مجاوزة السور لزمهما.

(التاسع): مخالفة النذر؛ فمن نذر أن يحج ماشيا فركب، أو نذر قرانا فتمتع، أو تمتعا فقرن، أو إفرادا فتمتع، أو قرن مثلا لزمه دم. والمقصود أن يخالف نذره كما أشار إليه المصنف بالكاف المشبهة، و أشار إلى الترتيب بقوله: (**يصوم إن دما فقد**) ثم بين صومه بقوله: (**ثلاثة فيه**) أي في الحج بعد إحرامه (**وسبعا في البلد**) أي في بلده.

وهذا في القران والتمتع وخلاف النذر والفوات وترك الميقات ظاهر لأنه يمكن إيقاع الثلاثة في الحج.

وأما ترك المبيتين والرمي وطواف الوداع والميقات في العمرة فهذا يصوم الثلاثة بعد وجوب الدم حيث شاء، ثم يفطر بقدر مسافة وطنه وأربعة أيام العيد والتشريق، ثم يصوم السبعة في وطنه.

والمكي يفرق بأربعة أيام فقط إذ لا يحتاج إلى مسافة.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

والثاني ترتيب وتعديل ورد

في محصر ووطء حج إن فسد

إن لم يجد قوّمه ثم اشـــترى

به طـعاماً طـــعمة للفقـــرا

ثم لعــجز عدل ذاك صـــوما

أعني به عـن كـل مـد يــوما

هذا الدم الثانــي من الدماء الأربعة، وهو دم ترتـيب وتعديل، وهو واجب في حالين:

(الأول): الإحصار، فمن حصره أو منعه عدو عن إتمام نسكه تحلل بذبح شاة ثم حلق أو تقصير

(الثـاني): دم الوطء فرجا أي فرج كان عالما مختاراً لزمه دم وهو بدنة إن وجدها، وإلا فبـقرة إن وجدها، وإلا فسـبع شياه إن وجدها، وإلا قوم البدنة بدارهم واشتـرى بالدراهم طعاما وتصدق به على فقراء الحرم ولو غرباء؛ فـإن عجز عن الدراهم أيضا صام عن كل مد يوما ويكمل المنكسر.

وهكذا يفـعل المحـصر لكن دمـه شاة، فـإن فقـدها قومـها واشتـرى بها طعـاما، فإن عـجز صـام عن كل مد يومـا ويتوقف تحلله على الذبح أو الإطعام، ولا يحلق إلا بعد ذلك.

ويجوز صرفه حيث أحصـر، فإن عجز فلا يتوقف تحلله على الصيام للمشقة.

وبمــا تقــرر علم أن التــرتيب هنا بين ثلاث مــراتب: الأولى الذبح، الثانية الإطعام، والثالثة الصيام.

وسمى دم ترتيب لذلك، ودم تعــديل لأن بدله غير مــقدر من جــهة الشــرع بقدر مــعلوم بل جــعل الأمر راجــعا إلى التــمثــيل والتقويم، وهذا هــو المراد بالتعديل بخلاف الدم الــسابق فإن بدله مقدر من جهة الشرع بعشرة أيام.

والعبرة في التقويم بسعر مكة ونقدها الغالب.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

والثالث التخيــير والتعــــــــديل في
صــيد وأشــــــجار بلا تكــلف
إن شـــــئت فاذبح أو فعـــــدل مثـل ما
عـدلت في قيمــــــة ما تقــدما

هذا دم التخيــير، وهو نقيض الترتيب؛ لأنه راجع إلى اخــتيار الشخص كما أشار إليه بقوله: (**إن شئت فاذبح**) فجعل الأمر إلى مشيئتك، وإن شئت فعدل أي قوم الشاة الواجبة والبدنة الواجبة أو البقــرة الواجبة بدراهم، واشــتر بها طعــاما، وتصدق على فــقراء الحرم، وإن شئت فصم عن كل مد يوما.

واعلم أن الصيد حرام في الحل والحرم، وعلى الحلال أيضا في الحرم.

وأما الأشجار فلا تحرم على المحرم في غير الحرم، وأما في الحرم فهي حرام مطلقا على الحلال والمحرم.

والتخيير بين الأحوال الثلاثة هو فيما له مثل كالنعامة ففيها بدنة.

والحمامة ففيها شاة عنز.

والضبع ففيها كبش.

وفي الشجرة الكبيرة بقرة، وفي الصغيرة القريبة من سبعها شاة.

ودون ذلك من الشجر والطير القيمة.

فإن شاء أطعم به طعاما، وإن شاء صام عن كل مد يوما.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وخيرن وقدرن في الرابع

فاذبحه أو جد بثلاث آصع

للشخص نصف أو فصم ثلاثا

تجتث ما اجتنيته اجتثاثا

في الحلق والقلم ولبس دهن

طيب وتقبيل ووطء ثني

أو بين تحـــليلي ذوي إحـــرام

هــذه دمـاء الحـــج بالتمـــام

هذا هو الدم الرابع، وهو دم التـخيـيـر والتقديـر، وقد علمت التخيـير والتقدير مـما مر، لكنا نزيد ونقول: إن البـدل هذا مقدر بإطعام ستة مساكين ثلاثة آصع لكل مسكين نصف صاع، والصاع نحو القدحين بالمصري، هذا إن أردت الإطعام وإلا فالصيام وهو يقدر أيضا بصيام ثلاثة أيام.

وهذا الدم واجب في ثمانية أحوال:

(الحـال الأول): الحلق والمراد جميـع شعور البدن في وقت واحـد ومكان واحـد، وكـذا يجب في ثلاث شعـرات قطعت متواليـة، فإن كانت متفـرقة ففي واحدة مد من الطعـام، أو صيام يوم. ولا فرق في ذلك بين العامد والناسي والعالم والجاهل.

(الحال الثاني): القلم فمن قلم أظفاره في وقت واحد ومكان واحد فـعليه دم، وكذا يجب في ثلاثة من الأظفـار متواليـة؛ فإن فرق فكالشعر السابق، وسواء في ذلك العالم وغيره.

(الحال الثالث): اللبس فعلى من ستر رأسه دم وإن لم يلبس قميصـا، وكذا على من لبس قميصا أو خفا أو قـباء وإن لم يستر رأسه، وكذا لو لبس وستر رأسـه معًا في زمن واحد ومكان واحد وإلا فدمـان، ولا بد من العلم والتعمـد والاختيـار؛ فلا دم على جاهل بالتحريم أو ناس للإحرام.

(الحال الرابع): الدهن، فعلى من دهن رأسه أو لحيته بأي دهن كان دم، ولا بد من العلم بالتحريم والإحرام، فلا شيء على جاهل ومكره وناس، ولا في دهن سائر شعور البدن غير الرأس، واللحية والعارض والعنفقة والعذار لهما حكم اللحية.

(الحال الخامس): الطيب، فعلى من تطيب في ثوبه أو بدنه دم، ولا بد أن يتطيب على الوجه المعتاد في ذلك الطيب، فلا شيء في حمل الورد وشمه من غير مس؛ لأن العادة فيه التضمخ والرش، ولا شيء على من حمل طيبا إذا لم يفح ريحه كالمسك في فأرته المشدودة، ولا شيء في حمل الرياحين من غير إلصاق بالأنف، ولا شيء في دهن البادية ونبتها الطيب؛ لأنه لا يعد طيبا في العرف.

وعليك أن تتبع العادة في كل طيب، فحمل العود ليس بطيب، ولا وضعه في النار من غير أن يحتوي عليه على العادة، نعم يكره الجلوس عند الكعبة وهي تبخر، ولا بد من العلم، فلا شيء على جاهل وناس.

(الحال السادس): مقدمات الجماع، فعلى من قبل أو لمس بشهوة دم، لا إن كان جاهلا أو ناسيا أو بغير شهوة.

(الحال السابع): الوطء المفسد، وهو معنى قول الشيخ: (ووطء ثني)؛ وإلا فالثالث والرابع كذلك في وجوب الدم بكل مرة، واحترز به عن الوطء الأول فإنه ليس من هذا النوع، فإن

ذلك يجب به بدنة ويفسد الحج، ويكون على الترتيب والتعديل، وهذا لا يفسد؛ لأن الحج لا يفسد أكثر من مرة، والواجب فيه شاة إن اختارها، وإلا فبدلها كما تقدم.

(الحال الثامن): الوطء بين التحللين، فعلى من وطئ بعد فعله اثنين من ثلاثة: وهي الطواف، ورمي جمرة العقبة، والحلق.

واحترز الشيخ بقوله: بين التحللين عما بعدهما فلا شيء فيه، وإن بقي مبيت منى ورمي أيام التشريق، وعن الوطء قبل التحللين فإنه يفسد الحج، ويجب به بدنة كما تقدم.

وتكرر الشاة بتكرر الوطء.

ولا شيء على الموطوء بل هو على الواطئ المحرم مطلقا، وقيل يجب على الموطوء إذا لم يكن الواطئ محرما ولا زوجًا ولا سيدا، وصححه جماعة، وجزم به في العباب، وهو المعتمد.

وكل هذه الدماء تذبح في الحرم، ويفرق الطعام به أيضًا إلا في حال الإحصار فله ذلك حيث أحصر.

وأما الصيام فلا يتعين له مكان.

هذا آخر ما أردناه، والله سبحانه أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قواعد اللهجات العربية الحديثة

تأليف كرستن بروستاد، ترجمة محمدالشرقاوى

عرض ونقد : عباس على السوسوة

أستاذ اللسانيات

جامعة تعز – اليمن

الكتاب من إصدارات المجلس الأعلى للثقافة فى مصر ، ضمن المشروع القومى للترجمة (٢٠٠٣)، وعدد صفحاته ٣٢٨.

لم يصدّره المترجم بمقدمة له ، بل ترك المؤلفة تبدأ مقدمتها بنفسها ، ثم تتوالى فصوله العشرة ، وفي نهاية كل فصل تلخيص لأهم نتائجه. من الواضح أن المؤلفة قد بذلت جهداً كبيراً فى تأليفه ؛ فقد كان فى الأصل أطروحة دكتوراه ، (انظر ص ٣٢١)، مستفيدةً من الأبحاث اللهجاتية من أواخر القرن التاسع عشر حتى العقد الأخير من القرن العشرين ، إضافة إلى ما كتبه المستشرقون عن نحو الفصحى.

تقوم فكرة الكتاب على أن العرب بينهم لغة مشتركة هى اللغة العربية الفصحى بالإضافة إلى اللهجات الحديثة التى تجمع بينها ظواهر صرفية ونحوية مشتركة ليست بالقليلة . ومن استعراض أبحاث الفصول يتبين ما يأتى .

الفصل الأول يدرس علامات التعريف والتنكير والتحديد والتفريد ؛ وتعليم النكرة المحددة ، وأداة النكرة المحددة (شي) ، والتنوين بوصفه علامة نكرة محددة ، كما يدرس المبتدأ الذى يذكر لأول مرة ، ويقف وقفة متأنية مع المغربية.

أما الفصل الثانى فيدرس العدد والمطابقة والملكية ، فيعرض للمثنى غير المحدد والمثنى التحليلى ، والمثنى مبتدأ جديداً ، وشبيه المثنى ،والمثنى الآخر ، كما يعرض لأنماط المطابقة فى الأسماء المجموعة، وتحييد المطابقة ، ثم المطابقة بين الفعل والفاعل فى العدد. ثم يدرس تراكيب الإضافة والملكية متلبثا عند دراسة هارننج عارضاً لأداة الإضافة التحليلية، والوظائف المقاصدية (يسميها

المترجم البرجماتية)، ويتحدث عن التفريد والأدوات التحليلية عارضاً للدوافع اللغوية الاجتماعية .

يدرس الفصل الثالث مركبات الصلة ، فيشرح استخدام (اللى) مع الأسماء النكرة المحددة ، وجملة الصلة غير الوصفية ، والموصول الحلبى (ال) ، ثم وصل الأسماء غير المحددة الدالة على الزمن ، و (اللى) أداة تكميل ، ويختتم الفصل بحديث عن (فاش) المغربية ، وأداة الوصل المغربية (د).

أما الفصل الرابع فيدرس الإشاريات وأدواتها ، عارضاً لإشاريات القريب والبعيد والإشاريات غير المنبورة (ما) و (هاد) ، كما يشرح وظائفها النحوية ووظيفتها فى الخطاب ، والإشارة غير المنبورة للبعيدة ، وديك وداك فى المغربية، ثم يعرض للإشارة الزمنية غير المحددة ومواقعها ، ومركبات الإشارة المزدوجة مع وظائفها .

والفصل الخامس مخصص لتصنيف الأفعال ، وأهم مافيه الحديث عن الأفعال المساعدة وأفعال الحركة ، والأفعال الدالة على الزمن ، وشبيه الفعل ، والضمائر وعلامات الكينونة ، ويركز على شبيه الفعل فى اللهجات الريفية غربى سوريا ، ثم يتحدث عن فقدان مكانة الفعل واسم الفاعل.

والفصل السادس يتحدث عن الجهة معجمياً ونحوياً ، ومن جهة نظر المتكلم ، كما يدرس جهة التمام واسم الفاعل ، وأسماء أفعال الحركة ، والجهة فى سياقات القصة ، ثم المفاجأة مع اسم الفاعل ومع المضارع.

ويدرس الفصل السابع الزمن النحوى والإشارة الزمنية ، فيعرض للإشارة الزمنية المنسية فى العربية مع الظروف ومع المركبات المكملة ، وتحييد هذه الإشارة فى الخطاب ، ثم يتحدث عن الأفعال الدالة على الزمن بصورها المختلفة تقديماً وتأخيراً.

والفصل الثامن يدرس الصيغة ، فيبدأ بالمضارع المُعَلَّم وغير المُعَلَّم وأشكاله ، وينتقل إلى صيغة المستقبل ،والبنية ،والوصف ، والقسم ،والشرط والافتراض ، متلبثاً مع أدوات الشرط وعلاقتها بالجهة والصيغة.

ويدرس الفصل التاسع النفى ، فيشرح ثلاث استراتيجيات له ، عارضاً لنفى الفعل وشبيه الفعل ، وأسماء الأفعال ، ونفى الخبر ، وفعل الأمر ، والجنس سواء فى المركب الفعلى أو التركيبات المتوازية ، أو الوحدة المفردة فى الجملة.

الفصل العاشر (أنواع الجملة) وهو آخر فصول الكتاب ، وأكبرها حجماً ، إذ يجاوز ثلث حجم الكتاب (٢٧٧-٣١٢) ، والعنوان يوحى تماماً بما فيه.

يلى ذلك خاتمة تحاول استخلاص من الظاهر فى اللهجات الأربع المدروسة.

ونأتى إلى ملاحظاتنا على المؤلفة ، ولكنها تدور حول اضطرابها فى المنهج وفى إجراءات الدرس. فقد ذكرت (ص ٦) أنها ستدرس قواعد لهجات أربع : السورية والمصرية والمغربية والكويتية ، مع تطبيق للنحو الوظيفى ، معتمدة على المقاصدية وتحليل الخطاب، وأن دراساتها ستكون مقارنة (تقصد تقابلية).

وتذكر (ص ١٥) أن المقارنة (= المقابلة) بين أكثر من لغة ووصف لايعطى نفس التركيز على الظواهر الواحدة: وتقول (ص ١٦) إن كمية المادة المجموعة ونوعيتها تعجز عن أن تفى بمتطلبات هذا التحليل المقارن.

وتذكر (ص ١٧) أن الدراسة تقوم علىٍ مادة لهجات عربية منطوقة ، فى أربع مناطق مختلفة ، ولكنها لا تمثلها تمثيلاً أميناً (!) ... وأن كلمات من مثل العامية المغربية والعامية السورية لا تعبر عن الوضع اللغوى القائم فعلاً (ومثل ذلك فى صفحتى ١٨، ١٩). بل إنها بعد ذلك تقول : لهجة حلب ، لهجة دمشق ، لهجة ريف سوريا.

وبما أنها تدرس نحو لهجات منطوقة حية ، فإن المنهج الوصفى أفضل منهج لدراستها، وهذا لا يتناقض مع الاستفادة من المقاصدية والنحو الوظيفى. لكنها تخرج أحياناً إلى المقابلة مع الفصحى ، وتخرج أحياناً إلى ادعاء التاريخية لا اعتماداً على نصوص ، بل ارتكازاً على الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً.

قالت (٣٢٠ فـ٢) : ويدلل استخدام اللهجات الشيعية والدرزية لشين النفى على أن تلك السمة كانت مستخدمة فى مصر الفاطمية قبل هجرة تلك الجماعات من مصر !!! وهذا الخلط فى المناهج والإجراءات لو اقترف بعضه لسانى عربى الوجه واللسان ما رحمه أحد ، ولكن للسانى الأمريكى رب غفور. ولعل المؤلفة قد شعرت بعدم التجانس فى بعض القواعد ، لذلك كانت تقوم – فى كل فصل – بإفراد حيز خاص للمغربية.

وما قدمناه لاينفى أن هذا بحث جاد ، فيه آراء ثاقبة ، ومعالجة لظواهر مألوفة لدينا نحن العرب ، لا نلتفت إليها ولا نحس أنها تستحق الدراسة. وفوق هذا فإن الباحث يمكنه الاستفادة من تعدد الأنظار اللسانية التى اعتمدت المؤلفة بعضها ، فى عمل دراسات مشابهة أو متجاوزة .

ونأتى إلى عمل المترجم ، وجهده فى النقل واضح غير منكور ، غير أن الاستعجال شاب عمله فأوقعه فى هذه الأخطاء.

(الرقم الأول للصفحة والثانى للسطر ، و ف للفقرة ، وهـ للهامش)

أولاً : لم يصنع المترجم مقدمة يبين فيها أهمية الكتاب ومكانته فى إطار علم اللهجات ، وكذلك لم يذكر كلمة واحدة عن المؤلفة ، ولم يبين خطته فى الترجمة ولا أسس اختياره للمصطلحات.

ثانياً : حذف المترجم قائمة المراجع ، فأصبحنا على جهل تام بعناوينها ، ولا نستطيع التأكد من صحة أى كلام منقول.

ثالثاً : نقل الأمثلة بالكتابة الألفبائية العادية، مما أدى إلى طمس التمايزات اللهجية. ونحن نعلم أن كتابة النصوص اللهجية ينبغى أن تتم بخط موحد يكون الرمز الواحد ممثلاً لصوت واحد (أو صيّت واحد = فونيم واحد) ، أما ما فعله المترجم فيعنى ترك كل قارئ يقرأ بحسب خلفيته الثقافية وعاداته الكلامية. وللتذكير فإن (أبّ) فى المحكية القاهرية إن نطقت مفخمة كان معناها : الوالد ، أما نطقها مرققة ففعل يعنى الارتفاع إلى أعلى. كذلك فإن (رائد) مرققة تعنى : نائم ، أما مفخمة فتعنى : رتبة عسكرية. ولم نكن نطمع فى هذا الكتاب إلا أن نجد الحد الأدنى من هذا التمييز ، وهذا لم يحدث. فمن ذلك : (هذه أمثلة فقط).

٣٥-١١ (جالوها لى) الأصل أنها قاف بدوية رمزها الدولى /g/ وكذلك هى فى كتابات المستشرقين. أما إذا أراد مقابلاً عربية فأمامه الرموز التى اقترحها خليل عساكر، وطبقها كل من : عبد العزيز مطر ، وعبدالمنعم سيد عبدالعال.

٣٧ ف٣ (عنده مما جميعه اشى جبنه ...) ، والأقرب إلى الصواب : (عِنْدُه مِن مَجْميعْه ...)

٣٧- الأخير : لقينا فار قد كدا هو ، حتة فار قد كداهو . أهـ .الصواب : لئينا فار أدّ كدهُه، حتة فار أدّ كدَهُه.

ص ٧٠ جاموسةَ ، صوابَه جَموسَه.

رابعاً : إذا خرجنا من نطاق الأمثلة اللهجية وجدنا العُجمة سائدة في الكلام المترجم ، وإلى جوارها استغلاق العبارة. فمن ذلك :

٥-٤ من كمية اجتماعية لغوية . صوابه : كمية واجتماعية ولغوية.

٥ ف٢ اللغويون العرب محظوظون إذ إن من بينهم علماء لهجات نشطين وفاعلين من أمثال : بينشتيد (الصحيح بن شتيت) وفيشر وجسترو (الصحيح ياسترو) وفويدش. أ.هـ
أقول : أهؤلاء لغويون عرب ؟!

٩ ف٢ الفروق الأقليمية فروق معجمية وصوتية قبل أن تكون نحوية (٤٩٩١ ص٢) ، توافق دراستنا هذه على هذا المنظور لحد كبير، إن لم يكن على نطاق أوسع وأكثر سطحية .. (!) أهـ. ناهيك عن الخطأ في المرجع وصوابه ١٩٩٤ ص٢.

١١-١ تم ذكر مرجع ريت. صوابه : ذكرنا كتاب وليم رايت.

١١-٣ أوردنا ذكر وصف كانتارينو. صوابه : أوردنا وصف كانتارينو.

١٢-١١ يمكن اعتبارها لأول وهلة أخطاء أداء لغوى أو <u>ذلفات</u> لسان. صوابه زلات.

١٢-١٣ أو فشل في طرح ماهو باطنياً نظام نحوى كامل. ومع ذلك فإن هذه الأخطاء تفتح نافذة في بعض الأحيان على الاختيارات البرجماتية التحتية التي يتخذها المتكلم. (لا تعليق)

١٣ ف٣ حتى على المستوى الشكلى الصحة النحوية مسألة درجة أقل وأكثر (لا تعليق)

٢٣-١٠ و١١ هى الإنجليزية التى يكون يمكن وصف أية عمليات نحوية فيها عن طريق تغيير ترتيب الكلمات (لا تعليق)

٢٦ ف٣ أن فى المغربية هناك أداتين ؟ للتنكير.

٢٦ ف أخيرة كول يصنف تلك الأداة على أنها اسم تجزئة وليس على أنها أداة . صوابه : كول يصنفها اسم تجزئة لا أداة.

٣١-١٥، ١٦ تتضمن <u>العمر السنى</u> والجنس أيضا. أهل. أقول : ما لزوم السّنى؟

٣٢-١٨ يرى النحو التعريف بمنظور تقابلية . صوابه : تقابلى.

٣٦-١٥ إذ وقفت عليه امرأة فى إيزار موصلى . صوابه : إزار.

٣٨-٢ من أسفل كلمة بوظة والتى تتعدد. صوابه : التي تُعدّ.
٣١٣- الأخيرة أداة التعبير والتنكير. صوابه : التعريف والتنكير.

خامساً : إيراد اسم العلم بأكثر من صورة كتابية ، فى حين أن المقصود واحد لم يتغير. فهناك بينشتيد وبينشتيدت، وفيغلى وفيغالى ، وكوبيه وكوبيت ، وكانتارينو وكنترينو ، وأيسيل وأيسل. انظر على سبيل المثال صفحات ٥، ٧، ١١، ٥١، ٦٨، ١٥٨، ١٩١، ٢٤٨. وهناك مريم العجروجة ١٨ ف٢ صوابه : العجرودى.

أما المصطلحات المكتوبة بالحرف اللاتينى وما يقابلها من ألفاظ عربية ففيها العجب. فهناك الجحة (بالحاء) والجهة ، والبحة (بالباء والحاء) واليهوية والجحوية. انظر صفحات ٦، ٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢. كل ذلك مقابل aspect و mood.

سادساً : أخطاء نحوية وصرفية فادحة ، فى المفعول به ،وخبر كان واسم إن المقدم على خبرها ، والاسم المنقوص والتمييز ، فمن ذلك :

٣٤-١٠ ليبينوا أن فى عقلهم عنصر معين يتكلمون عنه تحديداً. صوابه : عنصراً معيناً.
٣٧-١٢ يكون الاسمان ... معرفان . صوابه : معرفين.
٣٧-١٣ فالاسم غير العاقل بوظة نكرة فى أول مرة يتوارد فيها فى النص. صوابه : يرد.
٤٣-٤ أن يكون هذا التصنيف مفيد. صوابه مفيداً.
٥٥ف٣ كلا اللهجتين تستخدمان المثنى التحليلي. صوابه : كلتا اللهجتين تستخدم.
٢٣٤-١٦ تعمل الأداة / كون / كأداة للشرك غير الواقعي. صوابه : أداة للشرط.
٢٥٨ف٣ ففى نص غير قصص مكون من ٥٥٠ سطر وجد أن ٤٥ مركب تحتوى على جمل اسمية . صوابه : غير قصصى ... ٥٥٠ سطراً .. ٤٥ مركباً.
٣١١هأ ١٠ يعمل الضمير المصرى هو كداة استفهام . صوابه : أداة.

٣١١ هـ١١ لانستطيع أن نعتبر أن هذا المثل كويتياً.

صوابه : لا نستطيع أن نعد هذا المثل كويتياً.

وهناك مواضع غيرها . انظر مثلا صفحات ٥٠، ١٤١، ١٤٣، ١٦٥، ٢١٣.

* * *

ونأتى الآن إلى أخطاء الطباعة ، التى تتحملها جهة النشر . وهى ليست بالقليلة. وهذه أمثلة :

٢٧ف ٣ فى السنوات الأخيرة التى تلك كتابة هارل. صوابه : تلت بحث.

٣٣-٣ طبقاً لوالد. صوابه : لفالد.

٣٥- الأخير (ثم بقية الصفحات) كورينتى. صوابه : كورنيتى ، بتقديم النون على الياء.

٣٦-٢١ تنتمى لعالمى فنى معين. صوابه : لعالم.

٣٧-١١ فى النكتبة التالية. صوابه : النكتة.

١٠٩هـ٦ راجع نظرية هوبر وتوسن فى التعدية ٨٩١. صوابه : ١٩٨٠.

٢٤٢-١١ وسمعوا كمان العالم. صوابه : كلام.

٢٤٤-١٠ همسة من الستة. صوابه : خمسة .

٣٢٠-٧ الاقتراض اللغوى والصلاة اللغوية. صوابه : والصلات.

وهناك أخطاء طباعية تعود إما إلى زيادة حرف أو حرفين فى الكلمة أو إلى نقص حرف وحرفين . انظر مثلا صفحات ٥٤، ٥٦، ٧٤، ٩٢، ١٨٤، ١٨٩، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٨، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩.

والحمد لله ،،

رقم الإيداع ٦٨١٥

